دراسات فى تاريخ مصر والشرق
الأدنى القديم

(١)

فى
تاريخ مصر القديمة

دكتور

محمد على سعد الله

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد

جامعة الزقازيق

٢٠٠١

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة ـ الأزاريطة

ت ٤٨٤٦٥٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

«وما أُوتيتُم مِّن العلمِ إلاَّ قَليلا»

صدق الله العظيم

إهداء

إلى زوجتى وأبنائى

تـامر وداليـا ودينـا

أهدى إليهم هذا الكتاب

تقديم

يسرنى أن أقدم لأبنائى الطلاب كتابى : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر الفرعونية، وحسبى أن يرى فيه تلاميذى والقراء من المحبين لتراث مصر الحبيبة بعض النفع والفائدة، وقد تناولت الحديث عن مصادر التاريخ الفرعونى، ووجود ما يسمى بعلم المصريات وجهود الرواد الأوائل من العلماء المصريين والأجانب الذين ساهموا فى إثراء المكتبة التاريخية وزيادة الاهتمام بالتراث المصرى القديم، وكان من الضرورى أن نتناول فى الفصول الأولى من هذه الدراسة عصور ما قبل التاريخ فى مصر القديمة لكى يتيسر لنا فهم تراث الاسلاف وجهودهم الرائعة فى السيطرة على البيئة وظهور حضارة مصرية أصيلة متعددة المراحل ليس بينها انقطاع برغم ما فيها من تطور ، ونشاط الإنسان المصرى القديم الذى مارس الجمع والصيد والتحكم فى النيل والاستفادة من خيراته، واُستمرت هذه المجهودات خلال ما قبل الأسرات والعصر التاريخى، وبالتأكيد كان هذا باعثا إلى التعاون والاتحاد وإلى مجتمع منظم انتهى بتحقيق الوحدة السياسية بين شطرى مصر على يد ملوك الأسرة الأولى.

ثم تطرقت إلى عصر بداية الأسرات ومحاولات ملوك هذا العصر لتدعيم الوحدة بين الشمال والجنوب وما اتبعوه من خطوات تحسب لملوك هذا العصر الذين نجحوا فى إزالة عوامل الانقسام وهو ما فشلت فيه مجتمعات أخرى ظلت تعانى الفرقة بين الشمال والجنوب لفترات طويلة، ولعل مما شجع ملوك هذا العصر تضافر العوامل الطبيعية بشكل عام ونهر النيل بوجه خاص على تدعيم هذا الاتجاه، وزيادة الوعى لدى الإنسان المصرى القديم بنعمة الاتحاد ونتائجه المثمرة للجميع ، كذلك فإنه من المفيد القول أن مصر فى تلك المرحلة من تاريخها لم تكن بمعزل عن العالم من حولها ، فلقد كانت العلاقات بين مصر وجيرانها وخاصة فلسطين وسورية منذ عصور ما قبل التاريخ يسودها التبادل التجارى فى المقام الأول، حيث تبادلت مصر المنتجات مع جيرانها وعثر على منتجات مصرية فى تلك البلاد، ومنذ بداية عصر الأسرات ازداد التبادل التجارى، وهو ما أكدته الأدلة الأثرية حيث عثر على فخار مصرى فى تل الشيخ جنوب فلسطين وبيبلوس على الساحل السورى.

فى خلال عصر الدولة القديمة أصبحت مصر من أعظم الحضارات القديمة، ثم هى بحكم موقعها واحدة من أعظم القوى إن لم يكن أعظمها على الإطلاق، حيث وصلت مصر فى تلك الفترة إلى القمة فى المجالات المتعددة: عمارة، نحت ، فلك، طب، علوم

رياضية وهندسية..... الخ، وقد ارتبطت رفاهية مصر وثرواتها القديمة بالنجاح فى شؤون الزراعة والرى وفى وجود إدارة ناجحة تتولى الإشراف والمتابعة فى كافة المجالات .

وعلى الرغم من اتفاق المؤرخين عن غموض الأسباب التى أدت إلى انهيار حكومة الدولة القديمة بانتهاء حكم الأسرة السادسة، إلا أن هذه هى النهاية المنطقية للتطور فى التداعى الذى بدأ فى نهاية الأسرة الخامسة واستمر فى الأسرة السادسة، وتمثل فى إدارة مضطربة وعوامل اقتصادية واجتماعية تضافرت جميعها لتمر البلاد بأظلم فترة سياسية فى تاريخنا وهى الفترة المتوسطة الأولى وتضم الأسرات من السابعة حتى العاشرة وجزء من الأسرة الحادية عشرة، وبرغم مما حفلت به تلك الفترة من أحداث واضطرابات كان لها أثرها فى هبوط الفن من عمارة ونحت وتصوير - باستثناء بعض الأعمال - فإن ما نود التأكيد عليه أن تلك الفترة كانت سببا فى ظهور بعض القيم الجديدة مثل تنمية الروح الحربية، وتقدير الكفاءة، وأهمية العدالة الاجتماعية، والمحافظة على العقائد والتقاليد الموروثة، وربما كانت هذه الأفكار العديدة سبباً فى رخاء البلاد فى الفترة التالية، خلال عصر الدولة الوسطى ، وهو ما سجلته نصوص تلك الفترة، والتى رجعت إليها للاستشهاد من خلال كتابى « تطور المثل العليا فى مصر القديمة ».

ولا أريد فى هذا التقديم أن أخوض فى فصول هذا الكتاب تفصيلا، وإنما أود أن أوضح حقيقة هامة وهى أن مصر كانت دائما أقوى من المحن تجدد نفسها وشبابها كما يتجدد النيل مع كل فيضان جديد، ولذلك خرجت من محنة الغزو الهكسوسى بفضل عزيمة شعبها وقوة رجالها أقوى وأشد تماسكا من ذى قبل، وبدأت عصر الدولة الحديثة واضعة استراتيجية جديدة مكنتها أن تصبح أعظم دولة وأكبر امبراطورية فى الشرق الأدنى القديم.

ولقد هدفت أن أقدم للقارئ ولأبنائى الطلاب لمحات من تاريخ مصر الحبيبة بما فيه من تراث عريق وانتصارات وتحديات استطاع الأجداد التغلب عليها لتبقى مصر على الدوام قلعة من قلاع الحق والعدل والحرية والحضارة، ولعلنا نستلهم من تاريخنا القديم الدروس والعبر.

والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع والفائدة.

وعلى الله قصد السبيل

الاسكندرية فى ١ / ١ /١٩٩٨م — د. محمد سعد الله

الموافق ٢ من رمضان سنة ١٤١٨هـ

الفصل الأول
مصادر التاريخ الفرعونى

الفصل الأول
مصادر التاريخ الفرعونى

تعتمد دراستنا لتاريخ مصر القديمة على مصادر رئيسية هامة منها :-
الآثار المصرية، كتابات الرحالة والمؤرخين القدماء، المصادر التاريخية المعاصرة فى الشرق الأدنى القديم، ثم ما جاء فى الكتب السماوية المقدسة .

أولاً : الآثار المصرية :

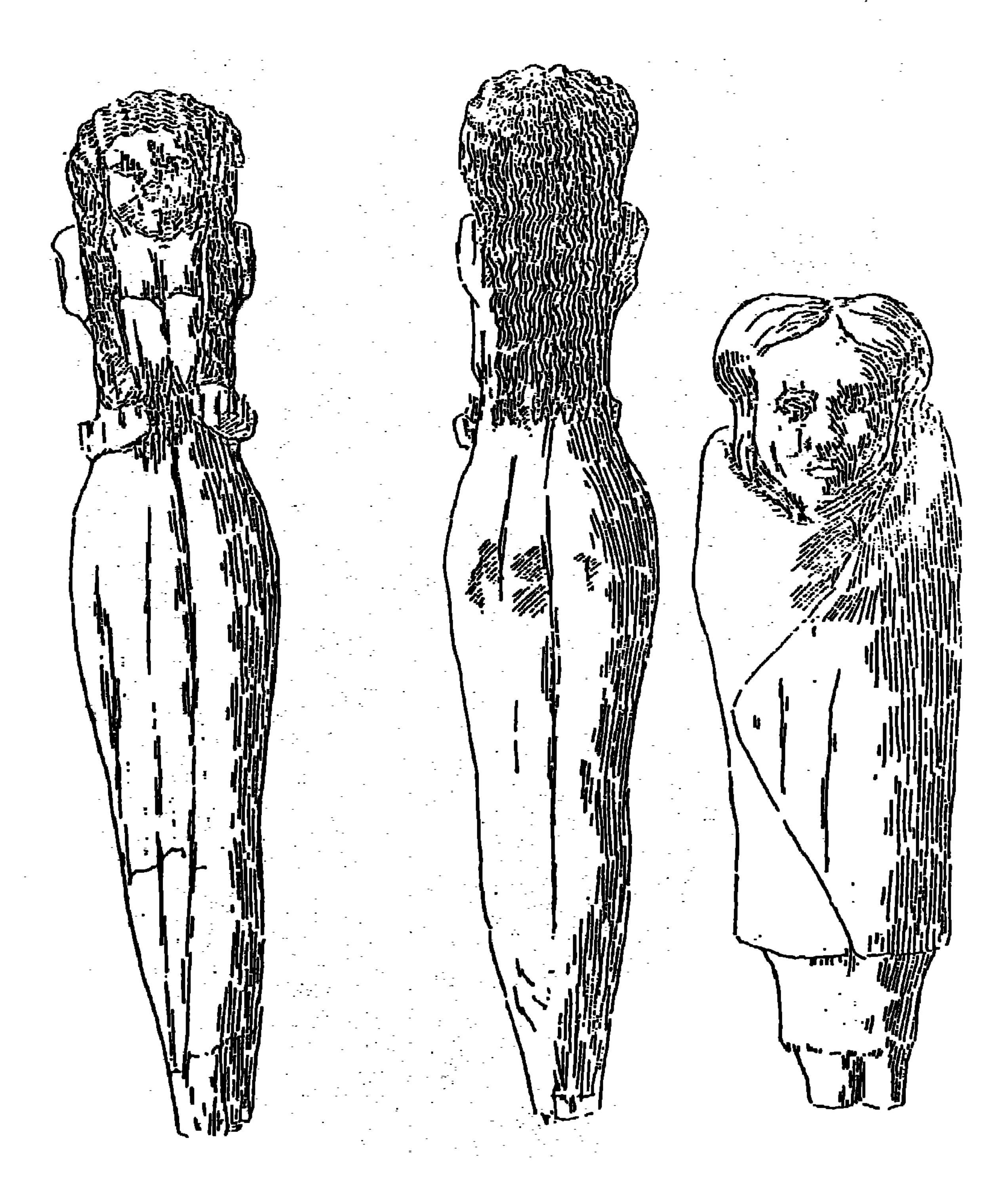
تعد الآثار المصرية سواء ما عثر عليه ينتمى إلى الدهور الحجرية القديمة أو إلى العصور التاريخية اللاحقة، من أهم المصادر التى تعين المؤرخ على دراسة تاريخ مصر القديم وعلى تصوير مختلف أوجه الحياة المصرية القديمة سواء فى المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، وهى مرآة صادقة لأحوال مصر القديمة فى مختلف الجوانب الحياتية والدينية، كما تتميز هذه المصادر بأنها معاصرة للأحداث ، وتشمل هذه الآثار الثابتة والمنقولة المخلفات الإنسانية من ادوات يومية استخدمها الإنسان المصرى القديم، ومعابد وأهرامات ومقابر وتماثيل ولوحات وكل ما تركه الإنسان فى مصر القديمة بقصد وبدون قصد ، مع الوضع فى الاعتبار عدة ملاحظات منها :

ان معظم هذه الآثار قد تم صنعها بتعليمات من ملوك مصر القديمة ويجب مراعاة الحذر والابتعاد عن المبالغة سواء بقصد أو بدون قصد، كذلك فإن كثير من آثار الدلتا لازال مطموراً تحت الرمال وفى حاجة إلى كثير من الجهد والامكانيات ، أيضا تدل الآثار العديدة التى تم العثور عليها أنها تنتمى إلى صعيد مصر، التى ساعد جفاف مناخها على حفظها حتى وصلت إلينا، أيضا هناك بعض الصعوبات تتمثل فى ندرة الآثار التى ترجع إلى بعض الفترات مثل عصر الانتقال الأول والثانى مما يتحتم معه الاستعانة بمصادر أخرى.

ولعل أهم مـا عثرنا عليه بين تلك الآثار من الناحيـة التاريخيـة مـا يسـمى بقوائم الملوك أو الحوليات الملكية وهى قوائم أرخت لتاريخ مصر فى عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، وسجلت اهم احداث هؤلاء الملوك وأهم اعمالهم، والمعروف ان التأريخ المصرى القديم قد بدأ باستعمال بطاقات صغيرة من الخشب أو العاج (شكل ١) ثم استخدم الإنسان المصرى اللوحات الحجرية والبردى وجدران المعابد والقصور والمقابر ، وربما قصد الملوك الفراعنة القدامى عند التاريخ لملوك فجر التاريخ هو تأكيد انتمائهم إلى عالم الآلهة القدامى ووراثتهم العرش عن هؤلاء الآلهة الذين حكموا مصر فى العصور القديمة، ومن القوائم الملكية التى أهتمت بتسجيل اسماء الملوك وأعمالهم : حجم پالرمو، وقوائم الكرنك وابيدوس وصقارة، وبردية تورين، وما تركه المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » .

١- حجر پالرمو :

موجود حاليا بمتحف پالرمو بجزيرة صقلية بأيطاليا، وهو عبارة عن لوحة من حجر الديورايت الأسود ، وغير معروف مكان العثور عليه، وهو مهشم إلى عدة أجزاء، جزء موجود بالمتحف المصرى بالقاهرة، وجزء فى مجموعة « فلندرزبترى » بلندن، وجزء أكبر بمتحف پالرمو فى صقلية، وقد نقشت عليه قائمة باسماء ملوك مصر منذ بدء عصر التوحيد وحتى عصر الأسرة الخامسة، وقبلهم حكام الدلتا أصحاب التاج الأحمر، وحكام مصر العليا وهم من أصحاب التاج الأبيض ، اشارة إلى حكام مصر من ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل توحيدهما، وأطلق عليهم اسم « اتباع حورس » حيث عبد الإله « حور » فى المملكتين (شكل ٢) .



(شكل ١) : بطاقات صغيرة من العاج



(شكل ٢) : حجر پالرمو منقوش عليه بعض تاريخ الملوك الأقدمين

٢- قائمة الكرنك

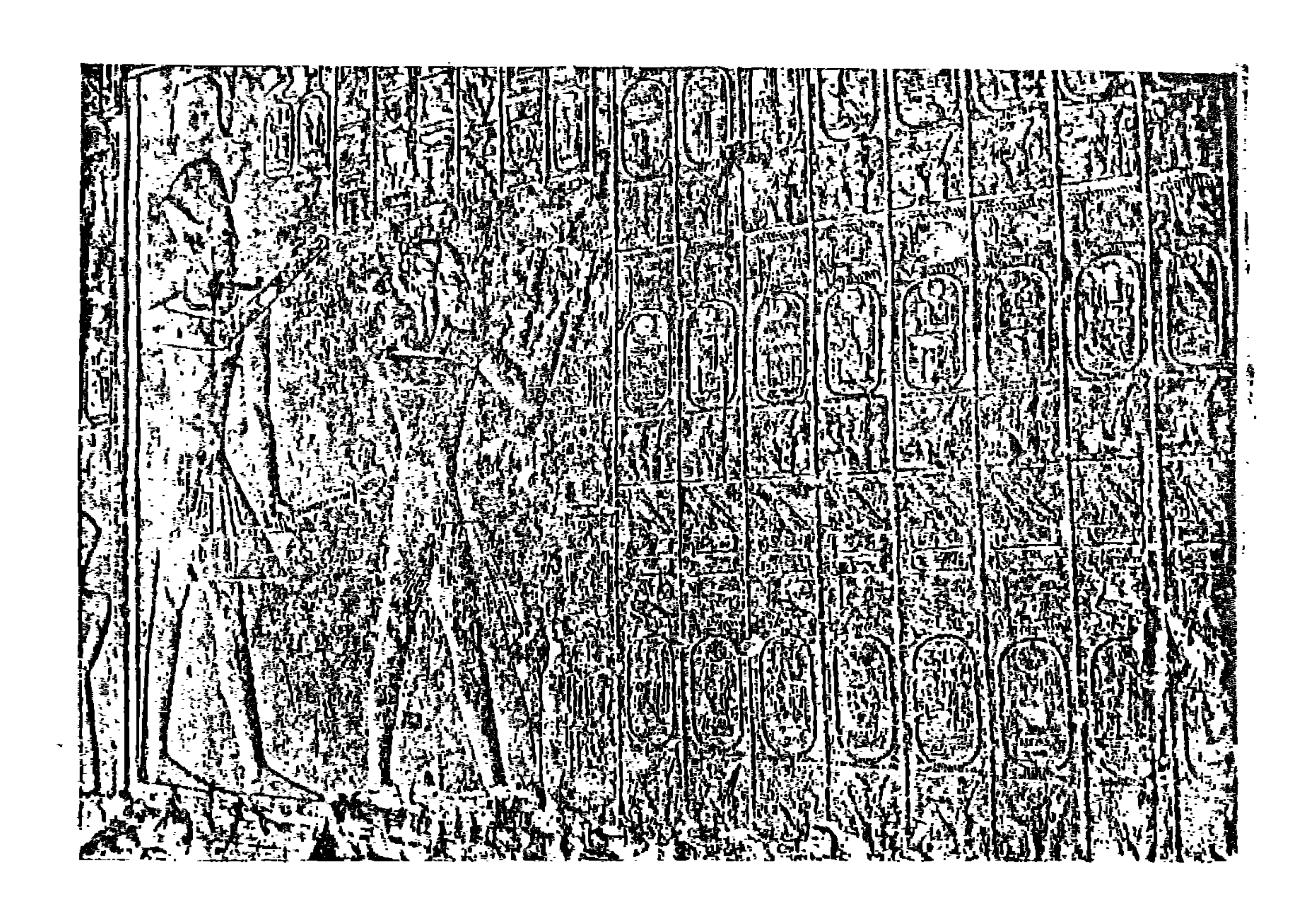
دونت هذه القائمة فى عهد الفرعون « تحوتمس الثالث » على جدران حجرة الأجداد بمعبد الكرنك وموجود حاليا بمتحف اللوفر، وتحتوى على أسماء اثنين وستون ملكاً من الأسرة الأولى وحتى الأسرة الثامنة عشرة، وبداية القائمة مهشم حتى بداية الأسرة الرابعة الملك « سنفرو » .

٣- قائمة أبيدوس :

تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م. (حوالى ١٣٠٠ ق.م.)، نقشت فى عهد الفرعون «سيتى الأول» (الأسرة التاسعة عشرة) على جدران معبده بأبيدوس (العرابة المدفونة) ودون أسماء ستة وسبعين من الملوك الفراعنة ، حيث يصور سيتى الأول وولده رعمسيس الثانى وهما يتوجهان بالدعاء إلى أسماء أسلافهما. (شكل ٣) ، وتبدأ القائمة بالملك « منى » وتستمر حتى ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وأغفلت القائمة أسماء بعض الملوك مثل : ، وحتشبسوت ، أخناتون، سمنخ كارع، وتوت عنخ أمون، وملوك الهكسوس .

٤- قائمة سقارة :

سجلت على جدران مقبرة أحد الكهنة ويدعى « ثونرى» كان أحد المشرفين على الأعياد فى عهد « رعمسيس الثانى » وموجودة حاليا بالمتحف المصرى وتحوى اسماء سبعة وأربعين ملكا، ولكنه لم يتقيد بالترتيب التاريخى، ولم يبدأ كاتب القائمة الأسرة الأولى بالملك « منى » وإنما بدأ بسادس ملوكها الملك عدج إيب ، وانتهى بالملك رعمسيس الثانى ، وأغفل عدد من الملوك منهم ملوك عصر الانتقال الأول، وملوك الهكسوس، وأخناتون .



(شكل ٣) : قائمة أبيدوس

٥- بردية تورين :

تختلف عن غيرها من القوائم الملكية أنها قد كتبت على ورق البردى وبالخط الهيراطيقى، كما تمتاز بأنها أوردت بعض الأسماء الملكية التى لم تذكرها الحوليات الأخرى ، وبأنها عمدت إلى التبويب التاريخى حين قسمت الملوك إلى مجموعات ، وتبدأ القائمة بما يسمى « الملوك الآلهة » وأنصاف الآلهة، وملوك الأسرة الأولى بدءاً من منى وحتى عهد « رعمسيس الثانى » الأسرة التاسعة عشرة [١] .

٥- المؤرخ المصرى مانيتون :

من أعظم المؤرخين المصريين القدامى عاش فى سمنود، ويحتمل أن يكون أحد أعاظم المتعلمين فى الكليات الكهنوتية، محل ميلاده موضع جدل فتقول بعض الأساطير أن له علاقة بمنديس، وأساطير أخرى تجعل له علاقة بمعبد أون (هليوبوليس)، واسمه مصرى، ملما بالهيروغليفية وبالديانة المصرية، وكان يعرف الإغريقية أيضا، وقد ألف الكتب التى شهرته بهذه اللغة، ومن أشهر مؤلفاته « تاريخ مصر » الذى كتبه حوالى ٢٨٠ ق.م. فى عهد « بطليموس الثانى »، ولكن لسوء الحظ ضاع كتابه فى حريق مكتبة الاسكندرية، وليس لدينا منه إلا بعض كسر نقلها المؤرخون اليهود مثل يوسفيوس فى القرن الأول الميلادى ويوليوس افريكانوس فى حوالى ٢٢٠م، ويوسيبيوس فى حوالى ٣٢٠ م، ويمكن تكوين صورة عن مؤلف مانيتون الأصلى من هذه التراجم، ويتألف معظمه من قوائم بأسماء الملوك مرتبة حسب الأسرات مع تقدير بمدة

---

(١) Vercoutter, J., The Near East, London , 1967, p.p. 259-260.
وكذا : محمد جمال مختار : مصادر التاريخ الفرعونى، مجلد الحضارة المصرية ، ص ٨١-٨٤.
عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٢٣٥.

حكم كل ملك ، ومؤلفه يقسم الأسرات إلى ٣١ أسرة.[١]

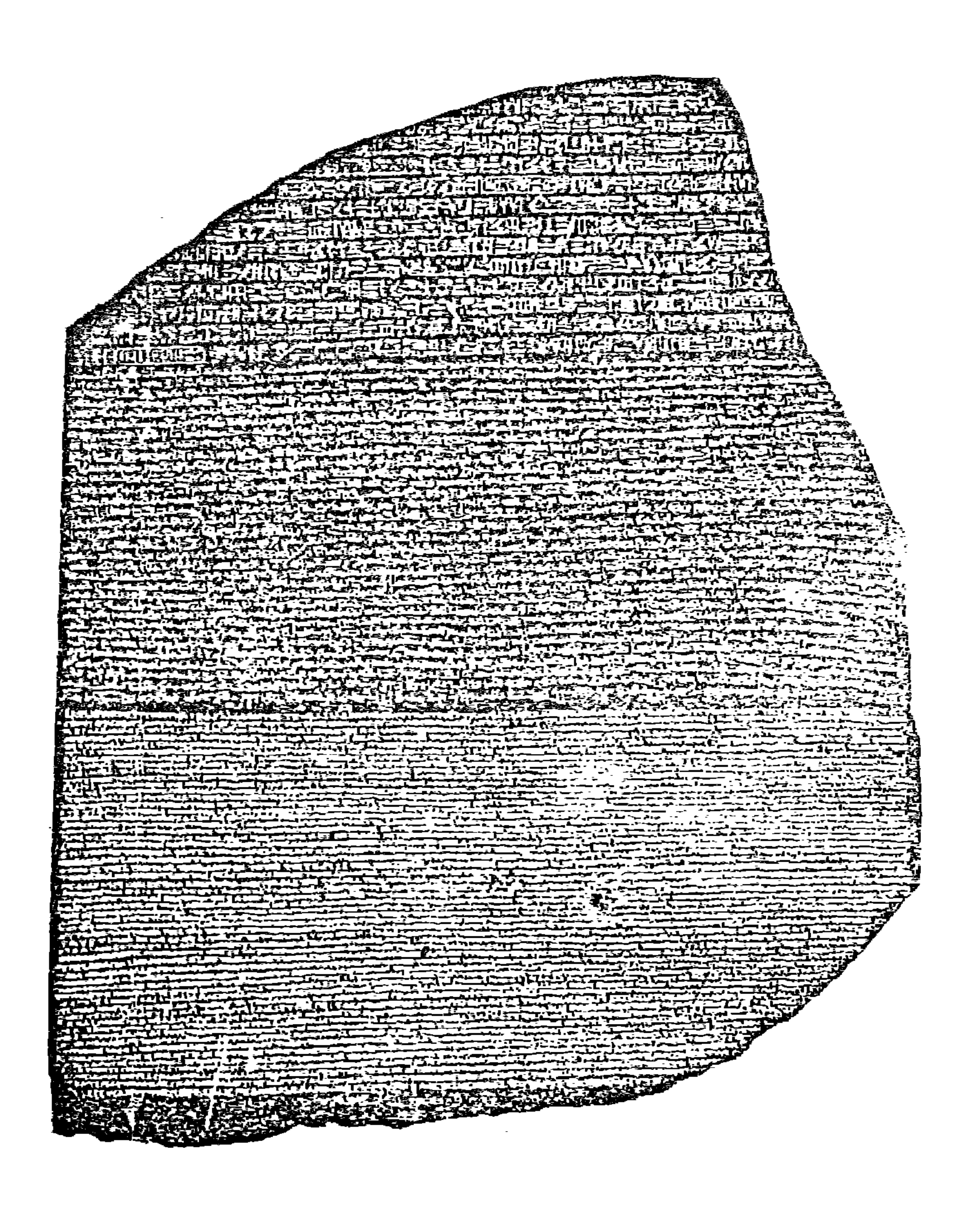
وقبل أن تختم الحديث عن مصادر التاريخ المصرى من الآثار المصرية لابد من الإشارة إلى وجود ما يسمى بعلم المصريات الذى استفاد من جهود السابقين أمثال «هيرودوت» الذى زار مصر فى القرن الخامس ق.م. ليشاهد آثارها ويدون تاريخها، وتبعه فى ذلك عدد من المؤرخين والجغرافيين . أمثال «سترابو» و «ديودور» وغيرهم، وهناك أيضا «أثاناسيوس كيرشر Kircher » فى القرن السابع عشر الذى أحيا دراسة اللغة القبطية وحاول عبثا حل طلاسم الهيروغليفية ، ثم كانت حملة نابليون على مصر (سنة ١٧٩٨) التى نبهت للدراسة العلمية بوضع مؤلف «وصف مصر» ، ثم اكتشاف شامبليون لمفتاح قراءة النقوش الهيروغليفية (سنة ١٨٢٢)[٢]، ذلك الاكتشاف الذى كان دفعه كبيرة لعلم المصريات وتفاصيل ذلك بشئ من الإيجاز أنه فى عام ١٧٩٩ اكتشف أحد العسكريين فى الحملة الفرنسية ويدعى «بوشار» على حجر يعرف اليوم باسم «حجر رشيد» (شكل ٤) عثر عليه بمدينة رشيد وبموجب معاهدة الإسكندرية وصل الحجر إلى إنجلترا سنة ١٨٠٢، والحجر مسجل عليه ثلاثة أنواع من الكتابة هيروغليفية وديموطيقية ويونانية، وتتابعت جهود العلماء لمحاولة حل شفرة الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية بدءا من السويدى أكربال، والانجليزى توماس يونج» حتى نجح «فرانسوا شمبليون» (١٧٩٠ – ١٨٣٢) فى الاهتداء إلى أسرار الكتابة الهيروغليفية حيث تمكن اضافة إلى اسمى بطليموس وكليوباترا من اعطاء أسماء أكثر من سبعين ملكا قديما

---

(١) جورج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة ، مانيتون ، القاهرة ، ١٩٩٢، ص ٢٢٧.

وكذا : Vercoutter , J. , Op. Cit. , P. 260.

(٢) عن مزيد من المعلومات أنظر : علم المصريات ، معجم الحضارة المصرية، ص ١٨٠ .



(شكل ٤) : حجر رشيد

مستخدما الأبجدية والرموز الهيروغليفية [1].

ثم تتابعت البعثات العلمية العديدة للكشف عن خبايا الحضارة المصرية القديمة، بعثة شامبليون وروسليني (١٨٢٨ – ١٨٢٩) ، بعثة ليبسيوس (١٨٤٢– ١٨٤٥)، والعديد من مجهودات العلماء الأجانب أمثال : ماريت الذى يرجع إليه الفضل فى إنشاء المتحف المصرى، وإدارة الآثار المصرية ، والذى قام بالعديد من عمليات البحث والتنقيب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، دى روجية ، بروجش ، فنلدرزبترى، نافيل ، كوبيل وغيرهم، بالإضافة إلى عدد من المخلصين والعلماء المصريين الذين ساهموا فى اثراء المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات وساهموا فى زيادة الأهتمام بالتراث المصرى القديم .

ثانيا : كتابات المؤرخين والرحالة الأجانب :

تميزت مصر منذ قديم الأزمنة بموقع ممتاز، فارضها تقع فى قارتين من اقدم قارات الدنيا، افريقيا وآسيا، فى الأولى خير ما تحمل الأرض من طيبات الرزق، وفى الثانية خير ما تمخضت عنه عقول البشر، كما انها مهبط الرسالات السماوية المقدسة، وهى ملتقى بحرين من أهم بحار العالم القديم وهما البحر الأحمر بما يمثله من اطلاله على الشرق والمحيط الهندى والبحر المتوسط بما يعنيه من ربط مصر بأوربا وشرق المتوسط، فهى إذن بمثابة القلب من العالم القديم، وهى أداة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، والنافذة الحضارية على العالم اجمع، وفوق ذلك فلقد حباها الله عدداً من النعم فى المناخ والأرض والنيل والموارد الطبيعية والبشرية ، ولهذا كان تاريخ مصر منذ

(١) جيمس ، ج. هـ : كنوز الفراعنة ، ترجمة د. أحمد زهير، مراجعة د. محمود ماهر ، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧٦ – ٧٧.

وكذا : Seele, K. , When Egypt Ruled The East , Chicago, 1971, P. 3.

اقدم العصور وحتى اليوم مفعم بالحيوية والتجدد شأن النيل المتجدد كل عام، فالتمس الإقامة فيها كل طالب رزق من كل فج على مر العصور، كذلك طمع فيها كل من وجد فى نفسه قوة او طمع لكنها ودائما تنتصر على الطامعين والغزاه بفضل حيويتها وروح الحمية الموجودة فى رجالها وتعودهم على حب ارضهم ونضالهم المستمر.

ومع بزوغ عصر الأسرة السادسة والعشرين حوالى ٦٦٤ ق.م. أزدهرت الحياة السياسية والاقتصادية بشكل ملحوظ، وبدات مصر إحياء للنهضة القديمة أيام الدولتين القديمة والوسطى، ووفدت على مصر اعداد من المهاجرين الاجانب الذين عملوا كجنود مرتزقة أو فى التجارة ، وتطور الأمر لوجود مدن للجاليات الاغريقية فى مصر كما هو الحال فى مدينة نوقراطيس (تقع على الجانب الغربى من الفرع الكانوبى وتقوم على انقاضها نقرش وكوم جعيف قرب محافظة الاسكندرية)، وفى تلك الفترة أو بعدها بقليل بدأت أعداد من المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان بزيارة مصر وبعض بلدان الشرق الأدنى القديم وكتبوا عنها الكثير من المؤلفات والكتب فى مختلف جوانب الحياة، مما يجعل ما كتبوه مصدر هام أيضا عن تاريخ مصر وخاصة فى الفترات من الأسرة السادسة والعشرين وحتى نهاية العصور الفرعونية مع الأخذ فى الأعتبار أن هؤلاء المؤرخون قد حوت كتاباتهم الغث والثمين بسبب جهلهم بلغات البلاد وتعصب البعض منهم ضد أصحاب البلاد، وأعتماد عدد منهم على أبناء عمومتهم والنقل عنهم بدون روية أو تمحيص فجاءت مؤلفاتهم أحيانا بعيدة عن الحقيقة وغير ملمة بالأحوال الأجتماعية فى كثير من الأمور ، ومعبرة عن وجهة نظرهم وتفسيرهم تبعا لعاداتهم هم وليس أهل مصر .

ومن اشهر هؤلاء المؤرخين والجغرافيين الذين زاروا مصر وذكروها فى مؤلفاتهم هيرودوت ، هيكاته المليتى ، ديودور الصقلى ، وبلوتارخ، وسترالو، وكلوديوس بطليموس وغيرهم .

هيكاتيوس المليتى :

الشهير بالميليتى (نسبة إلى ميلتيوس فى آسيا الصغرى) من أشهر جغرافى زمانه ، سبق هيرودوت فى كتابة التاريخ ويعد أول اسلافه فى هذا المجال، زار كثيرا من بقاع الدنيا المعروفة فى أيامه ، وسجل كل مشاهداته وبخاصة وصف تلك البقاع فى مؤلف أطلق عليه « رحلة حول البحر » كما زار مصر، وقد ضاعت مؤلفاته كلها ولم يبق منها إلا ما تحدث عنها من نقلوا عنه، ومن الآخرين عرفنا انه تحدث عن الدلتا وفيضانات النيل، واحتمال انه أول من قال « مصر هبة النيل» أو « هبة النهر» ثم ردد العبارة هيرودوت من بعده [1].

هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م.)

اسمه من الأسماء المركبة ويعنى « هدية هيرا» أو « عطاء هيرا» ولد « هردوت » فى هاليكارناسوسى فى الركن الجنوبى الغربى من آسيه الصغرى ويختلف الباحثون فى تاريخ مولده وأيضا فى تاريخ وفاته، حيث تتفق المراجع ان هردوت حين انتهى من أسفاره توجه إلى مدينة « ثورى» الواقعة جنوب إيطاليا حتى ادركه الموت ومات فيها ولشدة حبه لتلك المدينة نسبه بعض المؤرخين إليها احيانا فاطلقوا عليه « هردوت الثورى تعددت رحلات هيرودوت إلى كثير من البلاد ومنها بابل ومصر»، وواضح من تاريخ هيرودوت انه زار كثيرا من اقاليم الدنيا فى آسيه وأفريقية وأوربا، وهناك صعوبة فى ترتيب رحلاته ترتيبا تتابعيا، كتبه التسعة ظلت موضع جدل طويل بين العلماء بين فريق له وفريق عليه، ومع هذا فهو يوصف بانه « أبو التاريخ » وكتابه الثانى اختص به مصر، وبداه بالحديث عن حملة قمبيز الفارسى عليها، ثم خلص من ذلك إلى الحديث عن أرض مصر وسكانها وتقاليدهم وعاداتهم، وأضاف إلى ذلك ما زعم

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

انه راه وسمعه ولاحظه في البلاد أثناء إقامته فيها، وحرص هيرودوت أن يعبر عن إعجابه الشديد بالمصريين وامتداح فضائلهم ويذكر لهم الفضل فى الكشف عن كثير من العلوم والمعارف التى أفادت الإنسانية عامة والأغريق خاصة، مما أوغر صدر بلوتارخ ورفاقه من المؤرخين الأغريق .

ويوجه الكثير من النقاد النقد لهيرودوت فمنهم من يرى أن « هردوت » لم تزد إقامته فى مصر عن أرض الدلتا وواحة الفيوم ، ولم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور، وأنه لم يصل إلى ما وراء أسوان كما يزعم، كذلك اعتمد هيرودوت على بني عمومته فى وصف مشاهد مصر ومعالمها وآثارها العمرانية ونقل أخبارها التاريخية، وهؤلاء الناس من بنى قومه لم يكن في وسعهم أن يبلغوا بثقافتهم فهم الحياة المصرية العريقة واصولها المليئة بالأسرار والعظات.

أيضا ما رواه « هيرودوت » فى القسم الأول من تاريخ الملوك لا يتفق مع ما كان معروفا من مصادر التاريخ الفرعونى وخاصة أنه قد جهل ترتيب المشاهير من أولئك الملوك وتتابع عهودهم، ولم يذكر شيئا عن الهكسوس وطردهم من مصر وهو تراث معروف لكل مصرى .

ومهما يكن من شئ فإن فى كتاب « هردوت » عن مصر ما يدل على أنه بذل من الجهد فى إخراجه ما يدفعنا إلى النظر فيه ولكن فى كثير من الحيطة والحذر والحرص على تحرى الحقيقة المجردة (١).

ديودور الصقلي Diodorus Siculus (٨٠ - ٣٠ ق.م.)

ألف ديودور الصقلى كتاب فى التاريخ العام "General History" أطلق

---

(١) أحمد بدوى ، محمد صقر خفاجة : هردوت يتحدث عن مصر ، القاهرة، ١٩٦٦ ، ص ٢٧-٣٣ .

وكذا : Waddell, W.G., Herodotus , London , 1939 .

عليه « المكتبة التاريخية » تناول فيه تاريخ العالم منذ العصور السحيقة حتى عام ٦٠ ق.م.

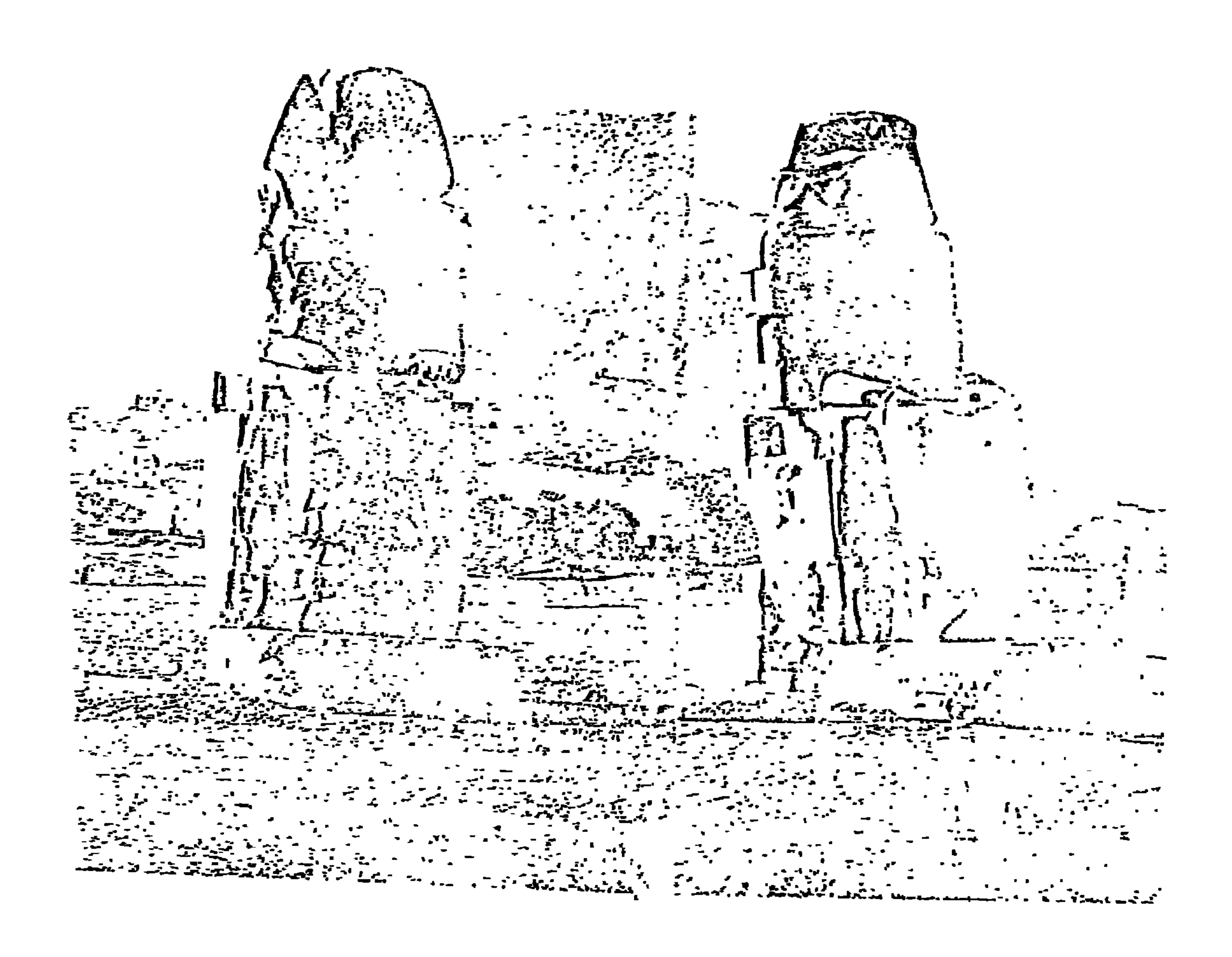
قام بزيارة مصر لمدى قصير فى عام ٥٩ ق.م. ، اعتمد على من سبقوه من المؤرخين أمثال هيكتايوس ، وهيرودوت ، كما تناول العقيدة المصرية وبصفة خاصة الإله أوزير، وذكر بعض تفصيلات عن أرض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية ، وتناول التاريخ المصرى القديم، وعدد من المدن المصرية القديمة كمنف وطيبة ، لكن روايته الطويلة عن التاريخ المصرى بعيدة عن التتابع والموضوعية حينما جعل من تاسيس منف تاليا لتاسيس طيبه [١].

سترابو : Strabo (٦٣ ق.م. – ٢١ ق.م.)

من مواطنى « بونتوس » على البحر الأسود ، يتحدث اليونانية ، أقام فى الإسكندرية لبضع سنوات، صحب الحملة الرومانية مع صديقه حاكم مصر الرومانى « اليوس جالوس » إلى الجندل الأول حوالى عام ٢٥ – ٢٤ ق.م. وكتاب سترابو عن مصر قصير نسبيا، أهتم بجغرافية مصر بوجه عام والدلتا بوجه خاص ، كما تحدث عن الإسكندرية والاقليم المتاخم لها شرقا بالتفصيل وأمدنا بمعلومات قيمة عنها، وبالاضافة للمعلومات الجغرافية والتاريخية فهو يعطينا بعض المعلومات الشيقة عن المبانى والعبادات، وهو أول من أشار إلى تمثالى « امنحوتب الثالث » فى غرب طيبه (تمثالا ممنون) (شكل ٥) التمثالين الضخمين الجالسين شاهدين على مكان معبده القديم إذ كانا قائمين أمام مدخل صرحه الأول ، كما يحدثنا سترابو عن مقياس النيل فى الفنتين وهو نموذج من القياس تسجل على جدرانها سنويا ارتفاعات منسوب فيضان النيل

---

(١) Gardiner , A., Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1974, pp. 5 - 7.



(شكل ٥) :تمثالا ممنون

كما ذكر عدد من المدن الحدودية الجنوبية يمكن تحديد مواقع معظمها بدرجة جيدة

وهنا عدد من المؤرخين والجغرافيين تناولوا تاريخ مصر وجغرافيتها منهم « بليني الأكبر Pliny The Elder» (٢٣-٧٩) وله موسوعة لقدامى المؤلفين، ونالت مصر نصيبها الوافي من اهتمامه، وكتاباته الجغرافية عن مصر هامة لكنه لا يصل إلى مستوى « سترابو» أو « كلوديوس بطليموس» الذى أخرج كتابه « الجغرافيا» حوالي عام ١٥٠م، كذلك لابد من الأشارة إلى ذلك المؤلف الذى كتبه « بلوتارخ الخيروني Plutarch of Chaeronea » (٥٠-١٢٠م) :

عن « أوزير وأيزه» وهى قصة مستوحاة من الأدب المصرى القديم سبق ورواها قبله « ديودور» وقد ركز فيها على الصراع بين الخير والشر وانتصار الخير في نهاية المطاف ، فهو يصور أوزير بالرطوبة المنتجة كما يرى فى أيزة (ايزيس) الأرض وفى ابنهما حور (حورس) البلل الطقسى وأحيانا المطر الذى ينتصر على الجفاف ، وهى كلها صور تمثل انتصار الخير فى نهاية الأسطورة[١].

ثالثا : المصادر المعاصرة في الشرق الأدنى القديم :

تنوعت علاقات مصر بدول العالم القديم بين العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مر العصور ، ولذا يمكن الاعتماد على مصادر تلك الدول سواء كانت مصادر أثرية أو نصية عن علاقاتها بمصر منذ عصور الدولة القديمة والوسطى والدولة الحديثة، والعصر المتأخر الأخير، وهى فترات طويلة تراوحت تطلعات هذه الدول أو الدويلات ، بين الاستفادة الحضارية والاقتصادية من مصر، وبين الخضوع لمصر فى عصر الامبراطورية، أو السيادة

---

(١) Ibid , pp. 8 - 9 .

والصراع معها فى فترات الضعف السياسى منذ نهاية العصور الفرعونية ، وهو ما عبرت عنه وثائق ورسائل حكام هذه الدول التى تراوحت بين الود والخضوع ، والتقرب والجفاء.

كذلك يمكن استيضاح الكثير من المعلومات التى دونها ملوك طوال التاريخ المصرى القديم بعمل نوع من الدراسة المقارنة مع مثيلاتها بما يعاصرها فى بلدان الشرق الأدنى القديم لاستخلاص الحقائق التاريخية .

رابعا : الكتب المقدسة :

يمكن الاعتماد على ما جاء فى الكتب المقدسة التوراة والقرآن الكريم، والتى روت الكثير عن القصص التى حدثت فى العصور القديمة بغرض العظة والعبرة من تلك القصص، التى ذكرت الكثير من بلدان العالم القديم، والأنبياء الأطهار ، وبعض هذه القصص ارتبطت بمصر وعصورها القديمة، كقصة إبراهيم عليه السلام ويوسف وموسى عليهما السلام، ومن خلال هذه القصص الكريمة يمكن الوقوف على كثير من المعلومات عن عقائد مصر والحياة الأجتماعية والاقتصادية والكثير من الجوانب الأخرى فيها، مع مراعاة توخى الحذر فيما كتبه كتبة التوراة ، وما يعتمدون عليه من إسرائيليات .

الفصل الثانى
عصور ما قبل التاريخ

الفصل الثانى
عصور ما قبل التاريخ

اتفق العلماء على تسمية الدهور القديمة التى سبقت معرفة الكتابة بتسميات عدة منها عصور ما قبل التاريخ، وعصور ما قبل المدنية، وحضارات عصور ما قبل التاريخ، والدهور الحجرية وغيرها من المسميات، مع ملاحظة أنه لكى نعى ونفهم الحضارات التاريخية ونشأتها وتطورها ، لابد لنا من فهم تراث الاسلاف تلك الدهور الطويلة المسماه بعصر ما قبل التاريخ الذى يقسمه عدد من الباحثين إلى مراحل لتسهيل دراسته :

١- العصر الحجرى القديم (بإقسامه الثلاثة الأسفل والأوسط والأعلى) Palaeolithic .

٢- العصر الحجرى الوسيط Mesolithic .

٣- العصر الحجرى الحديث Neolithic.

٤- عصر النحاس والحجر Chalcolithic .

وقد يضيف البعض إلى هذا التقسيم مراحل أخرى حيث يبدأ ما يسمى « الفجر الحجرى » Eolithic إشارة للدهر الإيولينى ، ويختتم العصر بعدة مراحل تسبق العصور التاريخية والتى تختلف فى بدايتها من مكان لآخر حسب التوصل إلى معرفة الكتابة وبدء الفترات التى تلى الدهور الحجرية الطويلة والتى تعرف بعصور ما قبل التاريخ والمتفق عليه الآن ان ظهور الإنسان كان فى أوائل الزمن الرابع Pleistocene (البلايستوسين)[١]، وربما ظهر فى العصر الذى سبقه وهو البليوسين (Pliocene)[٢]، ومعنى ذلك أن الإنسان عاصر الأحداث المناخية الكبرى فى عصر البليوستوسين ، وشاهد خلاله تقدم وتراجع الجليد (المعروف

---

(١) مصطفى عامر : حضارات عصر ما قبل التاريخ ، ص ٣٧ .

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ١، القاهرة، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .

إن هناك عصور جليدية أربعة شهدها العالم القديم جنز، مندل، رس ، فرم ، مع اختلاف الجغرافيين وعلماء الأجناس فى المكان الذى ظهر فيه الإنسان) .

ولقد أخذ العلماء ببقايا المخلفات الإنسانية من آلات ومعدات وأسلحة حجرية استخدمها الإنسان الأول فى شئونه المختلفة وكانت أفضل من غيرها من الأشياء الأخرى التى قاومت الزمن ووضح فيها مدى جهد الإنسان فى تطويرها، مع عدم الإقلال من البقايا الأخرى من نبات وحيوان وعظام ومواقد ومخازن ومقابر، وهناك نوعان من المصادر منها المصادر الأثرية ، ثم النصوص المسجلة بواسطة الإنسان المصرى، وعلى أساس هذه وتلك يمكن تقسيم حضارات عصر ما قبل التاريخ فى مصر إلى الأقسام الآتية :

١- حضارات العصر الحجرى القديم [١].

٢- العصر الحجرى الوسيط (من حوالى ٨٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ق.م. تقريبا) .

٣- العصر الحجرى الحديث (من حوالى ٥٠٠٠ إلى ٣٨٠٠ ق.م. تقريبا) .

٤- فترة ما قبل الأسرات (من حوالى ٣٨٠٠ إلى ٣١٥٠ ق.م. تقريبا) .

حضارات العصر الحجرى القديم :

تعد هذه المرحلة الحضارية أطول وأقدم المراحل فى تاريخ الإنسانية، وفى هذه المرحلة الطويلة من عمر البشرية خضع الإنسان لسلطان الطبيعة وتعرض لخطر أخيه الإنسان وأيضا لخطر التعامل مع الحيوانات التى كانت موجودة فى بيئته كالغزلان والظباء والتياتل والفيلة والأغنام الوحشية ، بالاضافة إلى بعض

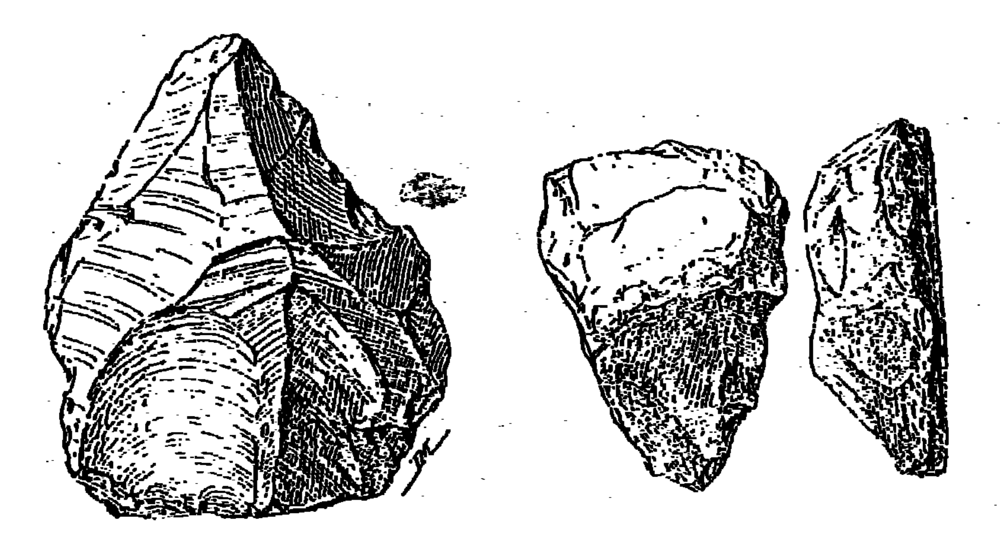
---

(١) ظهر الإنسان الأول - أغلب الظن - فى الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية (من حوالى ٦٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ ق.م.) خلال عصر البليستوسين الذى شمل العصر الحجرى القديم بأقسامه ، مع مراعاة صعوبة تحديد الفترة التى شغلها الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية ، ولهذا ترجع إلى الفروض المعقولة للعلماء ، انظر :
سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

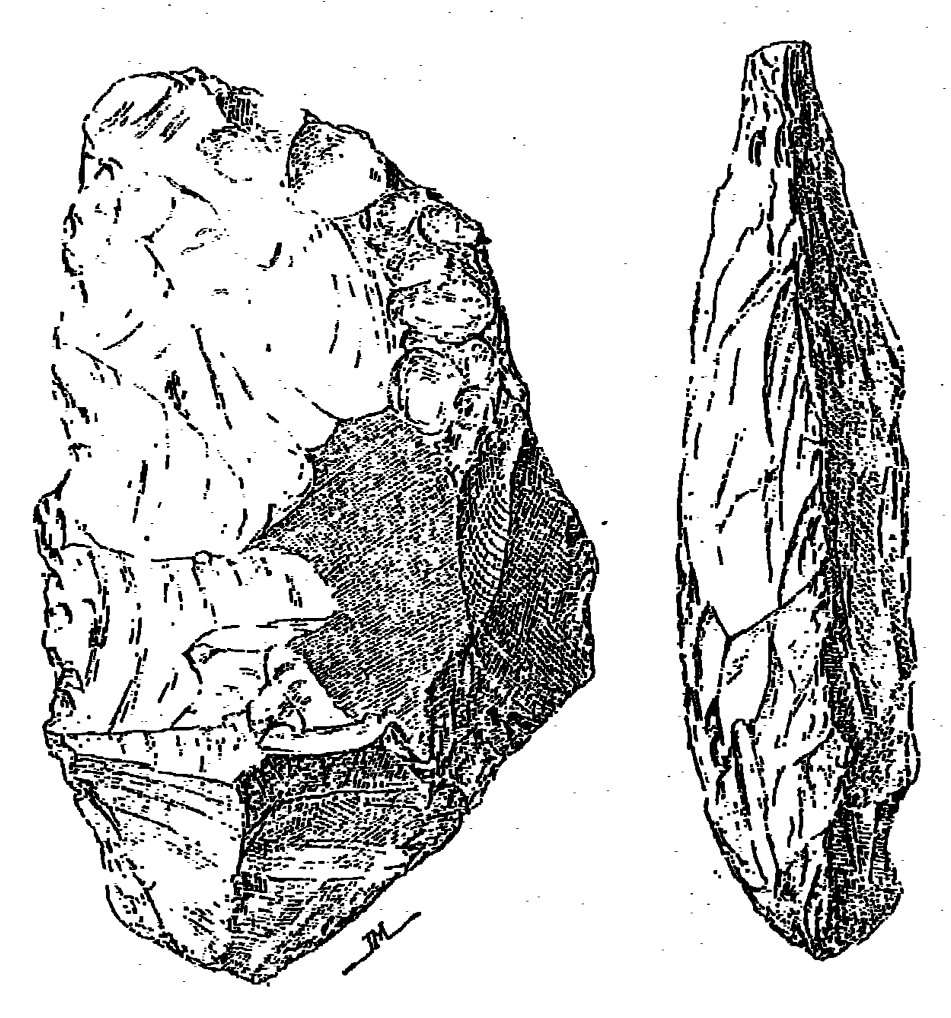
الحيوانات الكاسرة كالأسد والضبع والذئب والزواحف وما تمثله من خطر داهم عليه أن يتجنبه، وكان الصيد بأنواعه هو المصدر الرئيسي لقوت الإنسان وغذائه بالاضافة إلى ما يقوم بجمعه من ثمار وبذور النبات والفواكه، ولمدة طويلة خلال هذا العصر كانت الامطار تنزل بغزارة في شمالي افريقية وغربي آسيا وتشير الأدلة على أنه كان في مصر في ذلك الوقت عصران مطيران ، وكان مستوى الماء في النيل في ذلك الوقت عاليا ، ثم جاء بعد ذلك عصر ساد فيه الجفاف وانحبست الأمطار وسادت الأحوال الصحراوية وخاصة في المرحلة الأخيرة من هذا العصر.

استخدم الإنسان في مرحلة العصر الحجرى القديم ما هو متاح في بيئته من اغصان الأشجار والحجر وخاصة حجر الظران (الصوان) الموجود بوفرة في كل مكان ، وقد قسم العلماء العصر الحجرى القديم إلى عدة مراحل (أسفل، أوسط ، أعلى) على أساس مدى التقدم في أدوات العصر الحجرى، التي تشابهت خصائصها في أغلب بقاع العالم القديم، ولذلك حملت الأدوات الحجرية مسميات أوربية مثل الحضارة السابقة للشيلية "Prechellian" ، والشيلية (نسبة إلى مكان يسمى Chelles بالقرب من باريس) ومن أهم مخلفات هذه المرحلة «قبضة اليد Coup de Poing » أو البلطة اليدوية ، تلك الزلطة التي كان الإنسان يتخيرها بما يمكنه من مسكها ووضعها اعلى قبضة يده واستخدامها في الدفاع عن نفسه كسلاح يوفر له نوع من الحماية ، ويستطيع استخدامه في بعض أموره الحياتية ، (شكل رقم ٦ ، ٧) .

ونتيجة للتطور في أدوات الإنسان من حيث جعل الحجارة أكثر صلاحية لقبضة يد الإنسان ، أو تناولها بالتهذيب وتبعا للحاجة البشرية ، ظهرت مراحل أخرى مثل الصناعة الأبيفيلية (نسبة إلى مكان يسمى Abbeville في شمال فرنسا)، والموستيرية (نسبة إلى كهف موستية Moustier بفرنسا)، وظهر الجهد الإنساني في صناعة الشظايا ، والمحكات والمكاشط ، والمدى ، والمثاقب، والحراب .



(شكل ٦) : نماذج حجرية لبعض البلط الحجرية (فأس يدوية)



(شكل ٧) : قبضة يد شيلية

نقلا عن : De Morgan, La Pre' Histoire Orientale P. 6.

وتوجد آثار حضارات العصر الحجرى القديم فى أماكن متعددة فى مدرجات وادى النيل والدلتا والوديان الصحراوية، فى منطقة العباسية ، والفيوم، وحول الينابيع والعيون القديمة في الواحات وبخاصة فى الواحات الخارجة والهضبتين الشرقية والغربية ، فى أجزاء عديدة من مصر العليا وخصوصا حول طيبة .

ولعل من المفيد القول أنه ابتداء من العصر الحجرى القديم الأوسط اصبح لمصر طابع خاص وبدأ الرجال فى مصر فى تطوير أدوات حضارية من انتاجهم الخاص، حيث ظهرت الادوات اللبفلوازية المصرية فى محاجر الجبل الأحمر فى نجع حمادى ، كما يمكن تلمسه فى الصناعة السبيلية (نسبة إلى قرية السبيل بالقرب من كوم امبو الحالية) [1].

وفى نهاية العصر تسود الصناعة الميكروليثية (الدقيقة) ، كما تظهر الأزاميل، وأحجار للطحن ، وأخرى عليها أثر المغرة الحمراء ، كما تظهر بعض المواقد، مما يشير إلى توصل إنسان العصر القديم الأعلى إلى معرفة سر إيقاد النار وما مثله ذلك من نقله كبيرة فى حياة إنسان العصر الحجرى القديم الأعلى.

العصر الحجرى الوسيط (حوالى ٨٠٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠٠ ق.م. تقريبا) شغل حوالى ثلاثة آلاف عام تقريبا، أدواته قليلة فى مصر، ومن مواقعة كوم أمبو، ووادى العنجبية جنوب طريق القاهرة – السويس)، حلوان، وجدت أدوات الصيد (الحربون) لصيد الحيتان، رؤوس سهام من الظران للصيد ومناجل يدوية[2].

---

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٦٥ – ٦٦.
وكذا : Vercoutter, J., Op. Cit., P. 234 .
(٢) Ibid, P. 234 , 237 .

وهناك عدد من الباحثين لا يعترفون بوجود العصر الحجرى الوسيط فى مصر على أساس اعتبار صناعاته امتداداً للصناعات القزمية فى عين حلوان وغيرها من مناطق أطراف الدلتا [١]. وهناك عند الجندل الثانى للنيل اكتشف موقع ينتمى إلى العصر الحجرى الوسيط وصناعاته حوالى ٧٥٠٠ ق.م. وسوف تأتى الاكتشافات الحديثة عن هذا الموقع عن مزيد من التفاصيل عن هذه الفترة.

ومن أهم المواقع التى تنتمى حضارتها إلى الفترة الواقعة بين العصر الحجرى القديم الأعلى والعصر الحجرى الحديث، مواقع الحضارة الناطوفية فى فلسطين (نسبة إلى وادى النطوف غربى القدس) وقد عثر فى طبقات هذا الموقع على آثار تشمل مرحلة جمع الطعام من ناحية أى آثار الصيد، وآثار بداية الانتقال نحو الاستقرار من ناحية أخرى، فهناك الأدوات الحجرية ورؤوس السهام والمناجل والأجران، وقد جمعت الحضارة النطوفية فى مواقعها بين الكهوف والساحات الممتدة أمامها وبصفة خاصة فى نواحى جبل الكرمل، وفى وادى نهر الأردن [٢].

- الصعر الحجرى الحديث :

مع العصر الحجرى الحديث حوالى الآلف الخامس ق.م.، والفترة التى سبقته التى شهدت تغيير المناخ فى مصر ، نظراً لازدياد الجفاف، واختفاء مساحات النباتات المزروعة، واضطر الإنسان فى مصر وشمال افريقيا وغربى آسيا البحث من وسائل جديدة للرزق ، دون أن يتخلوا عن نشاط اسلافهم فى الجمع وصيد الحيوان والاسماك، وفى الوقت الذى كانت فيه الأمطار فى أقصى شمال

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١١٤

النهر قد أخذت تقل، كان وصول مياه الحبشة ومعها المياه الاستوائية بمثابة إنقاذ لنهر النيل، ولولا ذلك لتحول النيل الشمالي بالتدريج إلى واحد من تلك الأودية الجافة التي نراها الآن بالصحراء الشرقية أو في بلاد النوبة وشرق السودان ولكن مياه الحبشة جاءت غزيرة وفيرة الطمي تجرى على الخصوص في فصل الفيضان ، وتساعد بما تحمل من رواسب على تمهيد مجرى النيل الأعظم وإزالة العقبات منه لاسيما في مناطق الجنادل ، أما مياه الهضبة الاستوائية فقد كانت قليلة نسبيا وقليلة الرواسب، ولكن لها ميزة خاصة،هي أنها دائمة الجريان على مدار العام وبذلك ضمنت للنيل الأدنى أن يكون نهراً دائم الجريان .

وقد كان لوصول مياه المنبعين في وقت بدأت فيه الصحارى تجف تدريجيا أثر كبير في تركز حياة الإنسان في وادي النيل، وخاصة حينما بدأت أحوال المطر إلى التحسن قليلا خلال ما أسميناه الدور الممطر في العصر الحجرى الحديث[(١)].

ذلك العصر الذي ظهرت فيه الزراعة وصناعة الفخار والنسيج ، واستئناس الحيوان، وبذلك كله أصبح الإنسان يعيش بطريقة إنتاجية بعد أن كان يعيش بطريقة استهلاكية وأصبح الإنسان يستدر خير الأرض والبيئة، بعد أن كان يعيش تحت رحمة الطبيعة وما تجود به عليه، وظهرت علامات الاستقرار والتطور التي قادت مصر من مجتمع إنساني صغير جداً، على شكل جماعات موجودة في أماكن متفرقة على ضفتي النيل، وبحيره الفيوم ، وفي الواحات ، إلى أعظم ملكية مركزية صنعت الإنجازات والمعجزات .

وإلى العصر الحجرى الحديث أيضا تعود أول المجهودات الأولى للتحكم في النيل لفائدة الإنسان، واستمرت هذه المجهودات خلال ما قبل الأسرات والعصر التاريخي ، وبالتأكيد هذا هو الذي حول قبائل العصر الحجرى الوسيط

---

(١) سليمان حزين، حضارة مصر أرض الكنانة، القاهرة، ١٩٩١ ، ص ٥٦ – ٥٧ .

وبدايات العصر الجرى الحديث إلى التعاون والاتحاد وإلى مجتمع منظم ، وهذا القول يحتاج إلى قليل من التفصيل، ففيضان نهر النيل - أحيانا - كان مصدر خطر مشترك يهدد حياة السكان جميعا فى وادى النيل أو على جوانب النهر وفى دلتاه ، فكان من الضرورى أن تقام الجسور ، ومثل هذا العمل يحتاج إلى توحيد للجهود، وإلى جهود جبارة ومنظمة فى الوقت نفسه، وكذلك إقامة القرى فى مأمن من غائلة الفيضان واخطاره تلك الاخطار التى علمت سكان وادى النيل الوحدة كما علمتهم فى الوقت نفسه حسن النظام وأحكام التنظيم (١).

ايضا ظهرت سلسلة من القرى القديمة عثر على بقاياها بالقرب من مناطق الحواف للضفة القديمة للنيل منها : حضارة الفيوم أ (بالقرب من بحيرة الشط) . وفى الجزء الجنوبى الغربى للدلتا موقع مرمدة بنى سلامة، وفى الجزء الجنوبى للدلتا ، ليس بعيدا عن القاهرة بالقرب من موقع حلوان الذى ينتمى للعصر الحجرى الوسيط، يأتى موقع العصر الحجرى الحديث «حلوان العمرى». وفى مصر العليا عرف مركز حضارة «دير تاسا» فى مقابل اسيوط واتفقت هذه الحضارات وغيرها من المراكز التى عثر عليها فى التوصل إلى الزراعة والاستقرار ، وفى الاعتقاد فى البعث والخلود ، مع الاختلاف فى بعض التفاصيل بكل حضارة من هذه الحضارات .

وبفضل كربون ١٤ المشع استطعنا أن نسلسل تقويم هذه المواقع ، وحضارة (الفيوم أ) هى الأقدم حوالى ٤٤٠٠ ق.م. ± ١٨٠ سنة ، حضارة مرمدة بنى سلامة تأتى بعدها بقليل ، ثم «حلوان العمرى» ، مركز حضارة ديرتاسا(٢).

فى قرية «الفيوم أ» ومرمدة بنى سلامة، تدل البقايا الأثرية أن سكانها اهتموا بالزراعة حيث عثرنا على مناجل حصد الغلال مصنوعة من الظران ، وعثر

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .
وكذا : Vercoutter , J., Op. Cit., P. 235 .
(٢) Ibid ., P. 236 .

على زبابيل وجران فى حفر اسطوانية محفورة فى الأرض سلات من الخوص والحبال المجدولة لتخزين الحبوب ، حيث عرف الرجال القمح والشعير والكتان، وبقايا التخزين عديدة ، عظام ماشية، غزال، خنازير ، أيضا وجدت كلاب فى المواقع ربما لاستخدامها فى الصيد، وأيضا فى الحراسة بالنسبة للزراعة، بقايا نسيج ، مغازل حلزونية ، ملابس صوفية، كما وجد فى الفيوم ، ومرمدة بنى سلامة بقايا جلود ، أدوات حجرية ومحكات ، وفخار استخدم أهل الفيوم المغرة الحمراء فى تلوينه، ويلاحظ أن فخار الفيوم لم يصل إلى فخار الحضارات الأخرى ولكنه كان شائعا .

فى « مرمدة بنى سلامة » كما فى قرى « الفيوم أ » كانوا يدفنون موتاهم بين مساكنهم وفى نفس القرية وليس فى جبانات خاصة ، كان المتوفى مازل يشارك فى الانشطة الخاصة بالأحياء ، وضعوا الحبوب قرب رأس المتوفى، وأحيانا قرب أفواههم، مما يوضح الاعتقاد فى نوع من الحياة خلف أبواب الموت، وكان القبر فى مرمدة عبارة عن حفرة بيضاوية يوسد فيها المتوفى فى وضع القرفصاء ، ويتجه برأسه ناحية الشرق حيث مساكن الأحياء .

حضارات العمرى حلوان، وديرتاسا ، فى الأولى رجال « العمرى حلوان » استمروا فى دفن موتاهم فى القرية نفسها وتحت أرضيات منازلهم، ولكن بعد ذلك وجدت مقابر منفصلة على بعد مساحة من مساكنهم حيث يرقد المتوفى على الجانب الأيسر فى وضع منثنى ، ورأسه ناحية الجنوب والوجه ناحية الغرب فى الغالب، ومرة أخرى أحجار على هيئة دوائر مما يدعم وجود أفكار عن العالم الآخر ووجود طقوس دفن موضحة ومؤكدة بالأشياء التى تخص المتوفى داخل المقبرة .

وفى ديرتاسا (قرى ديرتاسا ونزلة المستجد والخوالد) المتوفى لم يعد يدفن فى القرى ولكن فى جبانة مستقلة على حافة الصحراء ، وكانت المقبرة عبارة عن حفرة صغيرة بيضاوية ، والمتوفى يرقد على جانبه الأيسر فى وضع

الجنين (القرفصاء) ورأسه ناحية الجنوب ووجهه ناحية الغرب، وفى بعض الأحيان تغطى المقبرة بجلود الحيوانات، وبعض أدوات الاستعمال اليومى، ويتضح إن إنسان ديرتاسا قد حرص على أعداد طقوس جنازية منظمة، واعتقد فى البعث والحياة بعد الموت [1].

وتعطينا «مرمدة بنى سلامة» مثلا طيبا عن المسكن الأول وكيفية تشييده، ومساكن هذا العصر هى أول مساكن يقيمها الإنسان لنفسه وأسرته، وقد كان كل اعتماده فى إنشائها على المواد الأولية الموجودة فى البيئة كالطين والغاب وأغصان الأشجار وسيقانها، ومساكن مرمدة بيضية الشكل يتراوح طولها بين ٢ إلى ٤ أمتار ، وأغلبها من الطين ، على حين أن مساكن العمرى مستديرة ومشيدة من أغصان الشجر الذى يكسوه الطين .

وتدل مواقع القرى على أن الإنسان كان يستغل الطبيعة فى اختياره للأماكن التى يبنى فيها مسكنه ويقيم قريته، وكان يدرك ما للتضاريس من قيمة فى حماية القرية وتوفير مقومات الدفاع عنها، ولم يكن يبتعد كثيرا عن موارد المياه غير أنه كان حريصا أن يتجنب خطر الفيضان، كما كان يدرك ما للوديان من قيمة كمسالك للمواصلات، وعلى هذا النحو أقام قرية «العمرى» على ربوة مرتفعة عند مصب وادى حوف قريبا من السهل الفيضى للنيل ، وشيد مساكن الفيوم على شواطئ البحيرة القديمة قريبا من الماء، وأقيمت قرية مرمدة بنى سلامة فى بقعة تطل على الوادى من جهة الشرق ويحميها تل مرتفع من جهة الغرب [2].

---

(١) Ibid ., P.P. 236 - 238 .

وكذا : Brunton , G., Mostagedda and The Tasian Culture , London , 1937, P. 25 ff .

(٢) مصطفى عامر : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

- حضارات عصر ما قبل الأسرات :

عصر ما قبل الأسرات فى مصر غطى فترة من الزمن تعرف بعصر النحاس (عصر الحجر والنحاس)، وليس هناك انقطاع بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة بالعكس كان هناك تطور واضح ولهذا السبب نفضل تسمية حضارات عصر ما قبل الأسرات، الذى شهد مرحلة حاسمة فى تاريخ الحضارة المصرية مهد الطريق لقيام أول وحدة سياسية عرفها التاريخ وتميزت بقيام المدن، وتقوية الصلات بالأقطار المجاورة ، وظهور الوحدات الاقليمية .

ونستطيع أن نقسم فترة ما قبل الأسرات إلى أربع مراحل على الأساسى الحضارى المميز لكل قسم : (أولية ، مبكرة ، متوسطة ، ما قبيل الأسرات) . وبالنسبة للفترة الأولى فى الجنوب حضارة البدارى (أسيوط) فى قرى المستجدة والهمامية وقاو الكبير، والبدارى وهو أهم موقع لها .

انتفع البداريون بخبرات أسلافهم من العصر النيوليتى فى المسكن والملبس فلا زالوا يعيشون فى أكواخ مصنوعة من الطمى ولكن بدأوا يستمتعون ببعض وسائل الراحة وسائد من الصوف ، سراير من الخشب . المعدن أصبح معروفا وبدأوا فى استخراجه ببداية متواضعه ، ولكن معظم الأدوات لازالت مصنوعة من الظران، الفخار كما هو فى آخر المرحلة التاسية لون باللون الأحمر والقمة سوداء .

الفنان البدارى عرف كيف ينحت العاج أو قوالب الطين والصلصال لتماثيل النساء فى شكل طبيعى ، كما قلد البداريون هيئة الحيوان على العاج.

ايضا لجأ البداريون إلى الاهتمام بالزينة فصنعوا عقود من الاحجار المتنوعة ومن الفيانس، كما نحتوا لوحات على حجر الشست .

وعندما نتحدث عن الحضارة البدارية فنحن لا نتعامل مع حضارة مستقلة، وانما مرحلة فى أصل تطور الحضارة المصرية [1]، وهى مرتبطة بسلسلة

متصلة، الحضارة البدارية غطت جزء من وسط مصر العليا وامتدت حتى الجنوب ليست في مصر العليا وإنما في النوبة أيضا (٢).

وبينما غطت حضارة البدارى مصر العليا ، فإنه في نفس الوقت تقريبا في مصر السفلى استمر التطور خلال خطوط مستقلة في فترة ما قبل الأسرات الأولية، وجدت في بحيرة الفيوم (فيوم ب) – للتمييز بينها وبين الحضارات المبكرة بالقرب من نفس الموقع – إنسان الفيوم ب مثل إنسان البدارى استمر يستعمل الظران أكثر من المعدن لأدواته ، الفخار يوضح اختلافات عظيمة في الشكل والتكنيك، من ناحية أخرى قاطعي الحجر استمروا في تقاليدهم التي بدأت في « مرمدة بني سلامة » .

وبالنسبة للمرحلة الثانية المبكرة لعصور ما قبل الأسرات لسوء الحظ ليست لدينا معلومات وافية ، هناك عدة مواقع في مصر العليا والوسطى ولكن لا يوجد أطلاقا في مصر السفلي ، وحاليا كل معلوماتنا من هذه الفترة ترجع لحضارة العمرة (جنوب شرقي أبيدوس محافظة سوهاج) ، وهي تتفق مع عصر (نقادة ١) وتسمى كذلك بالحضارة القديمة لعصر ما قبل الأسرات، حسب وجهة نظر الأثرى البريطاني « فلندرزبترى » الذى وجد من دراسته للآثار المختلفة وبخاصة الآنية الفخارية وتطورها انه يستطيع ترتيب هذه الآنية ترتيبا زمنيا وتقسيمها إلى مراحل متتابعة من القديم إلى الحديث، بحيث تتضمن كل العصور الحضارية المتتابعة من القديم إلى الحديث، بحيث تتضمن كل العصور الحضارية المتتابعة في مصر من أقدم المراحل حتى العصر التاريخي ، وانتهى إلى تقسيم مراحل التطور إلى خمسين مرحلة، أطلق علي تقسيمه اسم التاريخ المتتابع أو التوقيت المتتابع (Sequence Dates) ، بدا مراحلة بالرقم ٣٠ وترك ما قبل ذلك الرقم لما يمكن ان يستجد الكشف عنه من حضارات ،

(١) بشأن موطن البداريون راجع عبد العزيز صالح ، المرجع السابق، ص ١٢٥ .

(٢) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 242 .

وبالفعل حينما انتهى «برنتون» من الكشف عن آثار البدارى ملأ بتفاصيلها المراحل من ٢١ إلى ٢٩ فاصبح التاريخ المتتابع كالتالى :

من رقم ٢١ إلى ٢٩ حضارة البدارى .

من رقم ٣٠ إلى ٣٩ حضارة العمرة (نقادة ١ تبعا لبترى) .

من رقم ٤٠ إلى ٦٢ حضارة جرزة وتسمى كذلك بالحضارة الوسطى لعصر ما قبل الأسرات (أو نقادة الثانية) .

من رقم ٦٣ إلى ٧٦ حضارة سمانية (جرزة الأخيرة) ، عصر ما قبل الأسرات الأخيرة .

من رقم ٧٧ بداية العصر التاريخى .

وبالنسبة لحضارة « العمرة » أو حضارة نقادة الأولى (تبعا لبترى)، سارت فى تطورها فى خط مباشر مع سابقيها وخاصة حضارة البدارى ليس هناك انقطاع، فى الفخار نفس الفخار الأحمر ذو القمة السوداء استخدام فى الحضارتين ولكن حضارة « العمرة » قدمت تجديد خاص بها من خلال لونين زخرف الفخار ، وكان أول ظهور لبعض الأوانى مغطاة بأشكال هندسية أو طبيعية ، وظهرت الوانها باللون الأبيض الباهت،، او الأحمر المصقول ، أو الأحمر الذى يميل إلى لون الأرض ، والأسود المزخرف بالأبيض .

الفنان المصرى شكل فى هذه الفترة فخار جديد فى اشكال عدة على شكل أوعية متعددة الأحجام ، بعضها على هيئة الحيوان، البعض عميق مثل الأكواب والكؤوس، والبعض فى شكل هزلى كزوج من الأرجل الإنسانية ، كما خلف أهل نقاده مجموعة من المناظر الطبيعية، ومناظر الصيد وعلى الخصوص صيد فرس النهر من النيل .

كما استمر إنسان نقادة الأولى فى استخدام حجر الصوان بجانب المعدن، ظهرت بقايا سكاكين حجرية جيدة الصنع (١) .

---

(١) Ibid , P. 243.

وكان النقاديون على نصيب من النظافة والرقى، اكتفى رجالهم بارتداء قراب العورة، وحلق بعضهم شعورهم بشفرات من الظران وارتدوا فوقها شعوراً مستعارة، وغطت نساؤهم خصورهن حتى ما بعد العورة بأثواب كتانية ذات أهداب ، ومشطن شعورهن الطويلة بامشاط عاجية مزخرفة ذات أسنان طويلة، وتحلين هن ورجالهن بأساور وخواتم من الأصداف والعاج [1]، واستخدم الزجاج البركانى فى اغراض الزينة مما ينم عن وجود علاقات تجارية مع الأراضى البعيدة عن مصر [2].

كما توجد عدة مواقع أثرية تظهر فيها آثار تنتمى إلى حضارة العمرة : نقادة ، البلاص ، وهو(حو = ديوسپوليس بارڤا)، أبيدوس ، والمحاسنه والهماميه (بمحافظة سوهاج)[3].

حضارة جرزة :

عند التوقيت المتتابع رقم ٤٠ ، في الفترة الوسطي لعصر ما قبل الأسرات أو ما يسمي نقادة الثانية ، وبعد قرن وربما اقل من حضارة « العمرة » وفي موقع جرزة (شمال ميدوم مركز العياط ، محافظة الجيزة) ، بقايا حضارة « جرزة » تعطينا فرصة كبيرة لمتابعة طقوس الدفن التي تطورت ، المقابر أستمرت بشكل بيضاوي أصبحت الآن اكثر قربا من شكل المستطيل (تبعاً للتطور المعماري المنزلي) ، واصبحت تحتوي علي عدة غرف ، وضع الموتي تغير أيضاً نتيجة لمعتقدات دينية جديدة الرأس تتجه ناحية الشمال ، والوجه يتجه ناحية الشرق وليس إلي الغرب .

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 245 .

(٣) Ibid., P. 245 .

فخار الجرزة يمتاز بلونه البرتقالي ، عليه رسوم طبيعية وليست هندسية ، كذلك ظهرت الأواني ذات الأيدي المموجة ، والأواني الحجرية المرسومة بالوان أكثر بريقاً كالأحمر الغامق الأكسيدي ، والمناظر راقيه تمثل الجبال ، الوعول ، البشروس (طائر مائي) ، نبات الالوة (تستخرج منه عصارة كمسهل) ، قوارب ، حيوانات ، نباتات متعددة ، (البعض راي في وجود القوارب إشارة لكثرة إستخدامها كوسيلة للمواصلات ، ومناظر الحيوانات والنباتات ما يمكن أن يكون رموز للمقاطعات المصرية فيما بعد) .

أيضا دل علي رقي حضارة الجرزة أستخدام المعادن والأحجار الكريمة بصورة أكثر من قبل (النحاس ، الفيروز ، العاج ، الذهب) ، كما عثرنا علي بقايا نحاسية موجودة في مقابرهم تحتوي علي خناجر ، أزاميل ، رؤوس سهام ، كذلك يبدو واضحاً أن حضارة « جرزة » كانت علي أتصال بجيرانها ، حيث عثرنا علي أوعية بنفس الطراز الموجود في فلسطين ، أيضاً اللازورد المستخدم دليل علي وروده من خارج مصر[١].

وهناك فارق بين عصرى « جرزة » و « العمرة » نلحظه في رؤوس الدبابيس فهي في الأول علي شكل القرص بأطراف حادة جداً ، بينما هي في الثانية علي شكل « الكمثري » وقد يكون لهذا دلالة بالكتابة الهيروغليفية (فيما بعد)، وهناك تطور آخر له أهمية كبرى وهو زيادة استخدام النحاس الذى يستخدم الآن فى الأدوات والاسلحة كما يستخدم فى أدوات الزينة [٢].

---

(١) Ibid., P.P. 246 - 247.

وكذا :

Quibell, J. E., and Green, F.W., Hiera Kon Polis, 11, London, 1902, Pls. 75 - 77.

(٢) Gardiner, A. , Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 391

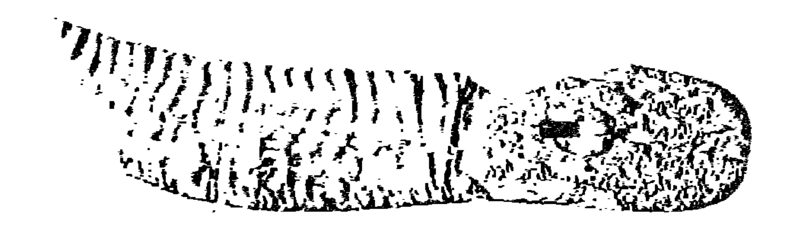
حضارة السمانية :

نسبة إلى قرية السمانية بمحافظة قنا ، وتمثل الأرقام من ٦٣ إلى ٧٦ فى التوقيت المتتابع للحضارات فى مصر (جدول بترى) وبينما تتطور حضارة « جرزة » فى الشمال وتمتد تاثيراتها إلى الجنوب، نرى حضارة « العمرة » تختفى ببطء ليحل مكانها خليط من الحضارات الشمالية والجنوبية، كذلك تميزت هذه المرحلة بقلة الأهالى فى النيل الأعلى للفخار ذو اللونين ، ذو الشفة السوداء والفخار الأحمر المصقول إلى ان اختفيا، اما الفخار ذو الرسوم الحمراء فقد اختفت منه الاشكال التى كانت سائدة فى عهد جرزة وحلت محلها اشكال جديدة عليها رسوم مختلفة، وتبنوا زخارف خاصة بجيرانهم فى الشمال، أما الأوانى المتموجة الايدى فقد استخدم المرمر (الالباستر) فى صنعها ، أما الصلايات فتعددت أشكالها البيضاوى والمستطيل وبعضها كانت تزينه نقوش مختلفة [١]، كذلك حدث تطور بطئ فى الأسلحة على سبيل المثال دبوس القتال الذى كان شائعا فى العمرة ذو الرأس المخروطى المضغوط الجوانب، حل محله الدبوس ذو الرأس الكمثرى[٢].

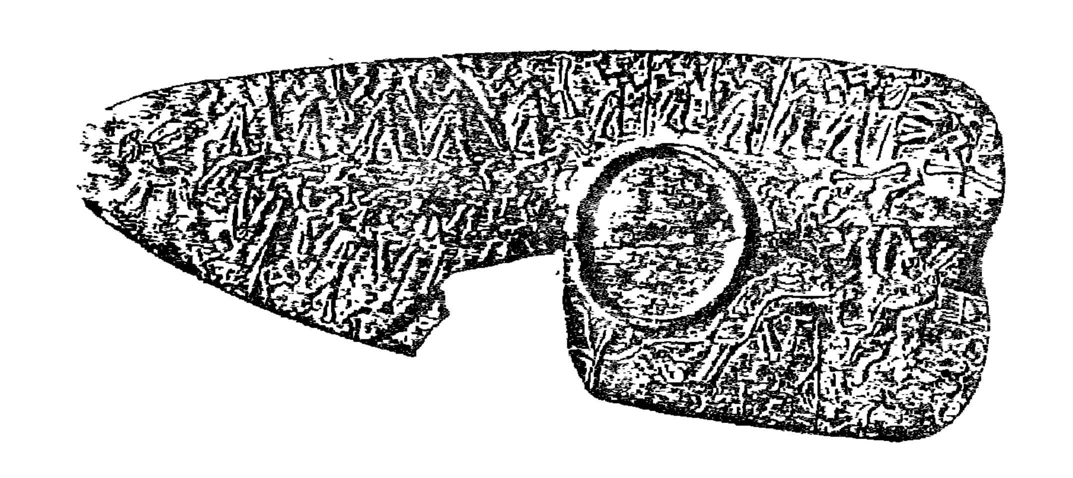
وكما يرى ڤوركيته، استناداً للمصادر الأثرية ، ففى نهاية حضارة « العمرة » انقسمت مصر إلى قسمين ، أحدهما تحت زعامة مدينة « نوبت » (طوخ الحالية بمحافظة قنا) امبوس وبالاله « ست » ، والأخرى فى الشمال تحت زعامة الإله « حور » الاله الصقر فى « بحدت » ، الحرب بين ست وحور انتهت بانتصار الشمال، وكنتيجة لذلك اتحدت مصر كلها لأول مرة الشمال والجنوب متخذة من مدينة « أونو » (عين شمس أو المطرية الحالية) عاصمة لهذا الاتحاد الذى لم يعمر طويلا، واستعاد الجنوب استقلاله واستوعب حضارة أعدائه فى الشمال،

---

(١) محمد ابو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٧٨ .
وكذا Vercoutter, J., Op. Cit., P. 247 .
(٢) Ibid ., P. 247 .



سكين من الصوان ذو مقبض من العاج محلى بنقوش



صلاية من حجر الاردواز عليها زخارف منقوشة لمنظر الصيد

ثم استمر هذا لصراع الفترة الباقية لعصر ما قبل الأسرات، ثم استتبع ذلك تغيير فى قيادات المملكتين، العاصمة الشمالية أصبحت فى «بوتو» فى غرب الدلتا (ابطو أوتل الفراعين). ورمزها على هيئة النحلة، ونبات البردى شعارها ، ومعبودتها الحية «وادجيت» (واجه)، والمملكة الجنوبية وعاصمتها «الكاب»[١]، وعبد أهلها الالهة «نخبة» أو نخابة، ورمزوا إليها بأنثى العقاب، ومن هذه الرموز الدينية استمد الملوك الفراعنة – فيما بعد الوراثة الشرعية[٢].

عصر ما قبل الأسرات الأخيرة :

هذه المرحلة تمثل خاتمة المطاف فى سجل حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ فى مصر، من الصعب أن نضع تحديد لبداية هذه الفترة ونهايتها مع بداية العصر التاريخى والتى تقدر بحوالى من ٥٠ إلى ٢٠٠ عام، والموقع الوحيد فى الوجه البحرى لحضارة المعادى ذو صلة بالمواقع الأخرى فى مرمدة بنى سلامة ، وفى المعادى نفسها، ويختلف عن حضارات عصر ما قبل الأسرات الأخير والذى استمر فى الجنوب .

من الصعب التحديد بدقة الوقت الذى اندمجت فيه حضارة العمرة وحضارة جرزة ، وليس من السهل تحديد نهاية الصراع بين الشمال والجنوب بدقه، لكنه من خلال المصادر الأثرية بدأت بوادر الوحدة السياسية تأخذ طريقها نحو التحقيق فى تلك الفترة، وقد انتقلت فيه السيادة الحضارية والسياسية مرة أخرى نحو الجنوب، ففى معبد مدينة نخن عثر على رأس مقمعة

---

(١) Ibid ., p. 248 .

استقرت مملكة الصعيد فى نخن وقامت على أطلالها قرية الكوم الأحمر الحالية شمالى أدفو، وجاورت العاصمة نخن ضاحية دينية سميت نخاب قامت على أطلالها بلدة الكاب الحالية، انظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢١٠ – ٢١١ .

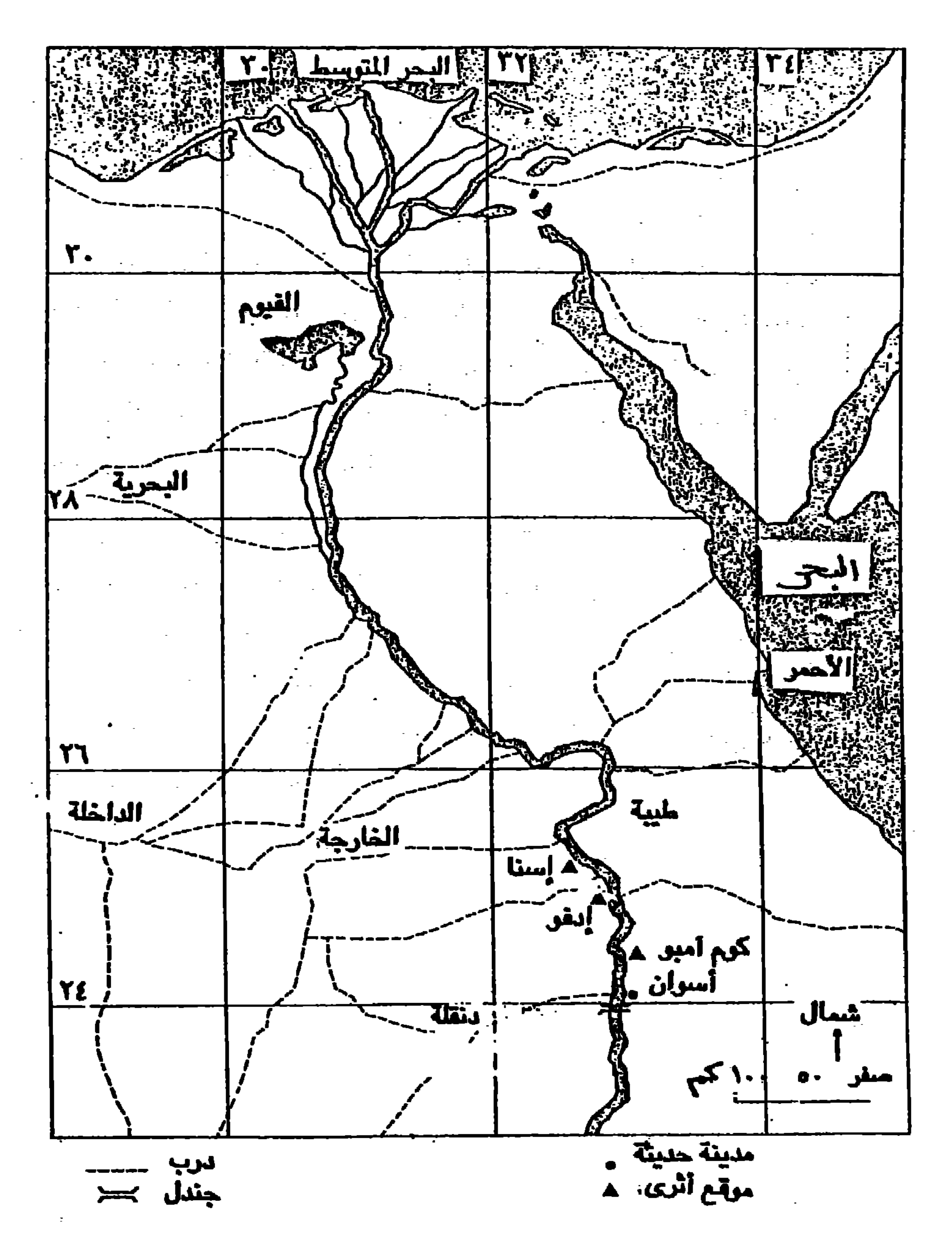
(٢) اختلفت وجهات النظر بشأن عدد مراحل النضال التى أفضت إلى توحيد مصر فى مملكة مستقرة واحدة .

للملك الملقب بالعقرب صورته النقوش مرتديا تاج الصعيد يؤدى بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة والرى ، ورمزت إلى جهوده الحربية فى أعلى المقمعة مجموعة من حوامل رموز الآلهة ، اشارة إلى تأييدهم له فى حروبه أو دليلاً على تحالف أنصارهم أو أقاليمهم تحت رايته وتتدلى منها حبال غليظة علقت فى بعضها طيور الرخيت وعلقت فى البعض الآخر مجموعة من أقواس الحرب ، ويمكن أن نستنتج أن الأقواس وطيور الرخيت المعلقة تمثل الإشارة أو الرمز لأعداء الملك العقرب المهزومين . وخاصة أن بعض الباحثين يرى أن طيور الرخيت (الزقزاق) ترمز إلى سكان الدلتا(١).

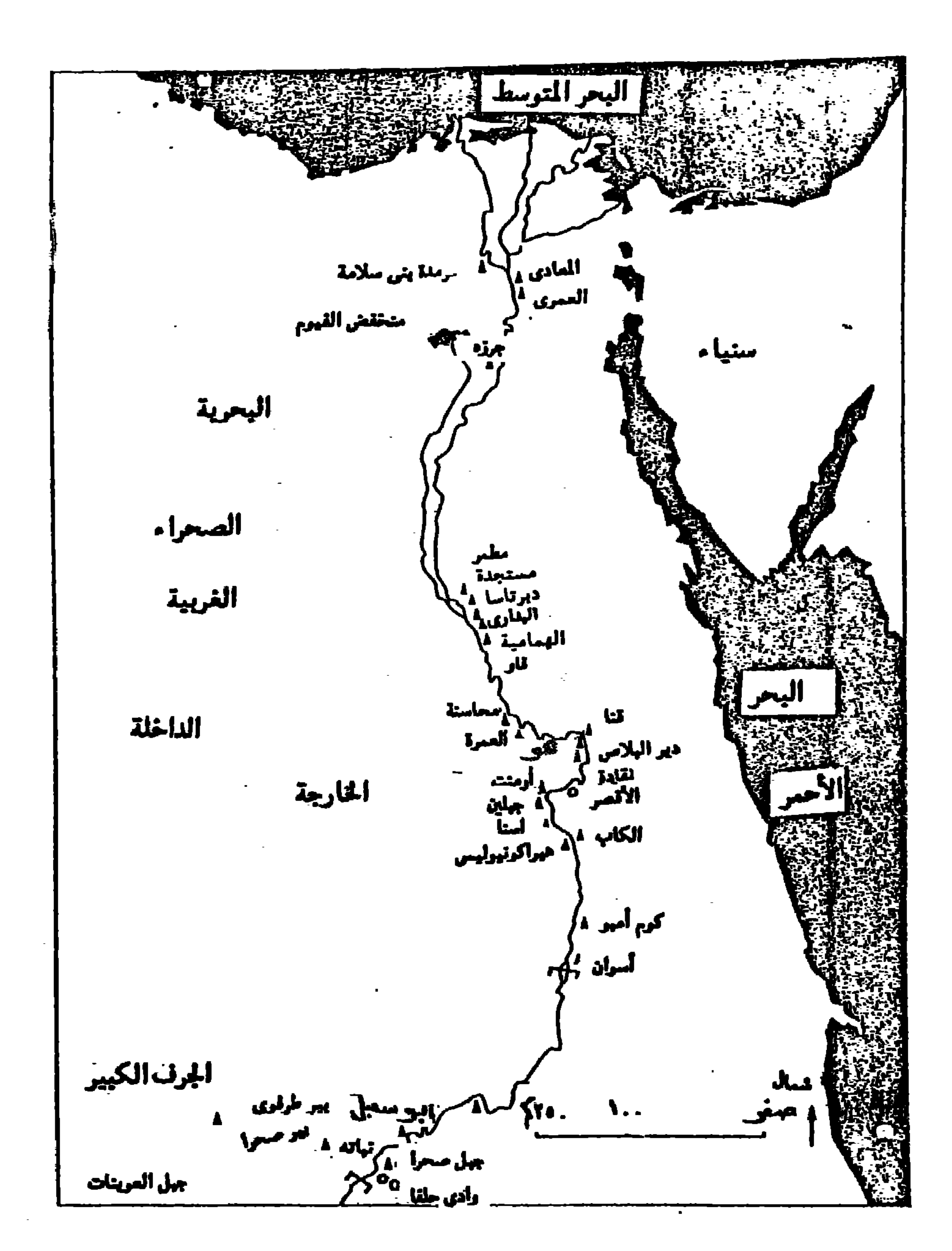
على أن أهم ما يميز فترة أواخر عهد ما قبل الأسرات فى مصر هى مجموعة النقوش المحفورة على بعض مقابض السكاكين ، وعلى ما يعرف بالصلايات والصور المصورة على جدران إحدى المقابر التى كشف عنها فى الكوم الأحمر شمال ادفو بقليل) وهى إشارة للصراع والنضال الذى كان موجوداً فى تلك الفترة ، والذى انتهى بتحقيق الخطوة السياسية النهائية للوحدة على يد أول ملوك الأسرة الأولى الملك نعرمر .

---

(١) Quibell, J.E., Hierakonpolis, 1, London , 1900, Pl. xxxvic .



أهم مواقع العصر الحجرى القديم فى مصر
نقلا عن : نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٢٩



أهم مواقع العصر الحجرى الحديث فى مصر
نقلا عن : نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٣٣

الفصل الثالث

عصر بداية الأسرات

Proto Dynastic

(الأسرتان الأولى والثانية)

الفصل الثالث
عصر بداية الأسرات

أصطلح المؤرخون على تسمية عصر الأسرتين الأولى والثانية باسماء عدة منها العصر العتيق للتدليل على قدمه وسبقه للفترة التالية التى يطلق عليها عصر الأهرامات أو عصر الدولة القديمة ، كذلك يطلق عليه العصر الثينى أو العصر الطينى نسبة إلى مدينة طينة (ثنى) التى تقع بالقرب من مدينة جرجا الحالية والتى ينسب اليها مؤسس هذا العصر ، أيضاً يطلق عليه « عصر التاسيس » حيث وقع على عاتق ملوك الأسرتين الأولى والثانية وضع الأسس التى سارت عليها الدولة المصرية بشكل خاص والحضارة المصرية بشكل عام لفترة أستمرت حوالى ثلاثة الاف عام طوال العصور التاريخية كما يطلق عليه عصر بداية الأسرات (Proto dynostic) على أساس تقسيم تاريخ مصر إلى أسرات يربط بينها صلة الدم والقرابة ، وبداية العصر التاريخى بالأسرتين الأولى والثانية .

وتحديد بداية هذا العصر محل خلاف أيضاً فهناك من يرى بداية الأسرات لعام ٤٠٠٠ ق.م (بترى بورخاردت) ، وهناك من يجعل البداية حوالى ٢٨٥٠ ق.م (كما يرى شارف ، ومورتجات ، وهناك عدد كبير من العلماء يجعل بداية هذه الفترة تبدأ حوالى ٣٢٠٠ ق.م .

مؤسس العصر :

من خلال المعلومات المتوفرة حول هوية مؤسس الأسرة الأولى ، فلا زالت تنقصنا المعلومات المؤكدة حول قيام « منى » بتحقيق الوحدة بين الشمال والجنوب وتأسيس الأسرة الأولى،كما أثبتته قائمة أبيدوس وقائمة تورين والمؤرخ المصرى« مانيتون »، وبالنسبة للشواهد الأثرية فهناك « نعرمر » صاحب الصلاية المصنوعة من الإردواز والتى عثر عليها فى « هيراكونبوليس » وتعتبر من اهم الآثار التى يرجع تاريخها إلى عصر بداية الإسرات والصلاية تؤكد أن نعرمر

هو أول من أرتدى التاجين دليلاً على نجاحه فى توحيد المملكتين ، مملكة الجنوب (الوجه القبلى) ومملكة الشمال (الوجه البحرى) حيث مثل يرتدى التاج الأبيض تاج الصعيد وهو يؤدب أعدائه ، بينما مثل على الوجه الأخر من الصلاية وهو يرتدى تاج الوجه البحرى الأحمر (شكل ٨) فى قوام مشوق تعمد الفنان إبراز عضلات اليد والأرجل ، ويوجد أسم الملك (نعرمر) بين رأسان للمعبودة « حتحور » مثلاها بوجه سيدة وقرنى بقرة مما يؤكد أهتمام الملك بالجانب الدينى ، حيث صورت « حتحور »[١] .

أيضاً على رداء الملك القصير ، الذى يمسك بشعر أحد خصومه بيده اليسرى ويهم بضربه بمقمعته بيده اليمنى ، وأمام « نعرمر » صقر ملكى (الإله حور) آخذاً فى كفه البشرية حبل يمر خلال شفة أسير خلفها أرض عليها سيقان البردى تشير إلى عدد من سكان الدلتا (٦٠٠٠) وعبارة ربما تقرأ (حاكم بحيرة) ربما الفيوم أشارة إلى سيطرة الملك على هذه الأنحاء فى الشمال[٢] .

---

(١) كانت الصفة الألهية للملك المصرى القديم واضحة فى كافة النصوص ، ففى الأساطير نجد أن آلهة تاسوع أون حكموا الواحد تلو الآخر على الارض ، وكانت بعض القوائم الملكية مثل بردية « تورين » تبدأ بهم ، وتبعاً للنصوص فانه يبدو أن مدينة « امبوس (نوبت) بالقرب من نقادة كانت ذات نفوذ قوى فى الصعيد وإله هذه المنطقة هو الإله « ست » وقد نشأ نزاع بين الجنوب والشمال – حيث كان الإله « حور » معبوداً مقدساً فى بحديت الدلتا – صراعا كانت نتيجته لصالح الشمال الذى كون اول حكومة له فى « أون » ولكن يبدو أن هذا الأنتصار لم يستمر طويلاً ، واستمر الصراع لهدف التوحيد ، « مملكة الشمال ، و « مملكة الجنوب » ولكل منهما عاصمتان إحداهما تمثل المركز الدينى فى المملكة والاخرى تمثل المركز السياسى ، ففى الصعيد « نخن » و «نخب » (الكوم الأحمر الحالية شمال ادفو) ، أما عاصمتا مملكة الشمال فهما « دب » و « بى » فى الجزء الغربى من الدلتا (إيطو عند تل الفراعين) ، ومن الآثار التى عثر عليها فى نخن (هيراقنوبوليس) نقوش رأس مقمعة لملك أطلق عليه « العقرب » حقق بعض الأنتصارات على الدلتا (شكل ٩) ، أنظر :
Smith , W . S . , AHistary of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom , London ,1946 , PL. 30
Seele, K. , When Egypt ruled The East, Chicaga, 1971, P. 13 .

(٢) Quibell J ., E , Hierakanplis, I, P. 10

وعلى هذا الأساس وإستناداً لما هو موجود فى القوائم الملكية والشواهد الأثرية من خلال صلاية نعرمر ، فيمكن القول أن الملك المؤسس له عدة اسماء و « منى » و « نعرمر » من بين هذه الأسماء . (وهذا الرأى قبله كل من جردسلاف ١٩٤٤ ، وآلان جاردنر ١٩٦١)

وهناك من يرى أن « نعرمر » كان السلف المباشر « لمنى » (تبعاً لرأى ولتر إيمرى) ، وهناك من يرى : أن « نعرمر » هو « منى » ، وأخذ اسم « عحا » (المحارب) بعد انتصاره على الوجه البحرى (وهو ما نادى به چاك فانديه ١٩٦٢) وكما يرى « فوركتيه Ver coutter » أن انسب الاحتمالات هو توحيد « نعرمر » و « منى » [١]، ومن الفروض التى يمكن وضعها أعتبار الأسماء الثلاثة (نعرمر ، عحا ، منى) لملك واحد تسمى فى اسمه الشخصى باسم نعرمر ، ثم تلقب بلقب « عحا » المحارب أعتزازاً بنجاح جهوده الحربية ، وتلقب بلقب « منى » بمعنى المثبت أو ما يشبهه إشارة إلى تثبيته أركان دولته، وتاكيد الاتحاد ، وتأسيس « من نفر » (منف) مدينة الجدار الأبيض ، ولا يضعف هذا الرأى إلا أن الأسماء الثلاثة لم توجد على أثر واحد إطلاقاً حتى الآن .[٢]

وعلى اى حال فيمكن القول انه قد جرت محاولات عدة لتحقيق الوحدة بين الشمال والجنوب ، وكما تشير الشواهد الأثرية أن الملك العقرب قد بذل جهداً لفرض سيطرته وحكمه على كل من الوجهين القبلى والبحرى ، ولكن يبدو أن جهوده فى هذا المجال قد اكتملت وتحققت على يد خلفه الملك « نعرمر » الذى قام أيضا بإرساء الأسس السياسية للمملكة، وهى الأسس التى ظلت مستمرة وثابتة فى المراحل التالية من التاريخ المصرى القديم .

---

(١) Vercouiter, J., OP. cit ., PP. 261-262

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ط ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، صفحة ٢٥٣
وكذا : Seele, K., OP. cit., P. 12



شكل ٨ أ: وجه صلاية الملك «نعرمر»



شكل ٨ ب : ظهر صلاية الملك «نعرمر»

وهناك احتمالية ان يكون «نعرمر» هو «مني» ، وكذلك فيمكن ان يكون نعرمر ومني وعحا اسماء ثلاثة لشخص واحد ، ويبدو ان علينا ان ننتظر حتى يتم اكتشاف المزيد من الشواهد التى قد تحسم الخلاف فى هذه المسالة(١) .

ويعتبر انجاز «منى» (نعرمر) رغم جهود من سبقه من رؤساء عصور ما قبل التاريخ انجازاً فريداً، حقيقة انه بصفته ملكا لمصر الموحدة اعتبر نفسه هو «الإله حور» فى نفس الوقت الذى كان فيه حور معبوداً محليا فى كثير من مناطق مصر السفلى والعليا(٢) ، وتجسد هذا الإله فى شخص «منى» على أساس انتمائه إلى «نخن» (هير اقنوبوليس) التى تعبد الإله «حور» فى الوقت الذى كان كل خير وانتصار لأى قبيلة ما يؤكد قدرة معبودها ، وهكذا جاء نجاح «منى» نجاحا لمعبوده «حور» وخاصة ان لطبيعة العقلية المصرية القديمة فى التفكير اثرها فى تقبل فكرة الملكية الآلهية حيث كان المصرى القديم لا يحس بضرورة تحديد الأشياء تحديدا قاطعاً، وكان يرى فى الظواهر الطبيعية فى بيئته برغم اختلافها مادة واحدة فى عالم منظم ، لذلك كان من السهل على طبيعته المرنة هذه فى التفكير ان تنتقل براحة تامة من الجانب البشرى إلى الجانب الالهى وأن يقبل الفكرة التى تطورت بالتدريج ان مليكه من سلالة الآلهة بل انه إله يحكم مجتمعه (٣) .

وهكذا فإن انجاز «منى» من أجل الوحدة والاستقرار والبعد عن الفوضى وهى أمور ضرورية فإنه قد حقق شيئا آخر فريدا لم يسبقه إليه أحد وهو اعتبار

---

(١) سيريل آلدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويفى ، مراجعة أحمد قدرى، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٨٦ .

وكذا : Seele, K., OP. cit., P. 12

(٢) Drioton , E. , Vandier , J., L'Egypte, Paris , 1939, p. 138 .

نفسه ملكا على مصر العليا والسفلى بمعنى انه اعطى لحكمه شكل يتفق مع العقلية المصرية وهذا الشكل كان هو الملكية المزدوجة ملكية مصر العليا وملكية مصر السفلى متحدتين فى شخصه وهذا التصور كان يعبر بطريقة سياسية عن الميل المصرى الغريزى لفهم العالم بتعبيرات مزدوجة نابعة من الطبيعة المصرية مثل سماء وأرض ، الضفة الشرقية والضفة الغربية والضفة الغربية للنيل وهى كلها مسميات تنتمى للكون وليس للسياسة ، وعندما اتخذ « منى » أسماء مزدوجة وأطلق على نفسه سيد الأرضين وملك مصر العليا ومصر السفلى وانتصار مملكة مصر العليا المنظمة على مملكة مصر السفلى التى تماثلها فى التطور وهكذا نرى توافق كامل بين التصورات الكونية المحددة والتصورات السياسية الجديدة التى قام بانجازها « منى » واعطت لما فعل سلطة دائمة لدولة متصورة ازدواجيا يبدو انها بدت للمصريين كظهور لنظام الخليقة وليست نتاجا لقوة مؤقته ، وهى أيضا هبة من الالهة لـ « منى » والشكل الوحيد المقبول لفكر الإنسان المصرى القديم هو شكل الملكية الالهية(١) .

ولقد عبر الفن المصرى القديم عن ذلك الانجاز فى اللوحة المعروفة بلوحة « نعرمر » (لوحة رقم ٨ أ ، ٨ ب) ، فبينما تشير نماذج ما قبل الأسرات (مقبض سكين جبل العركى لوحات الصيد) عن صراع بين أشكال متساوية فإن لوحة « نعرمر » قد أوضحت عن طريق التعبير الفنى كيف ان الملك وأفعاله هى الأجدى وهى الهامة وتتضائل بجانبها افعال الناس وتصرفاتهم (٢) ، وهناك دلالة فنية أخرى فى اللوحة عبر عنها الفنان المصرى القديم بأن المجتمع بعد كفاح طويل نجح فى ظل حكومة واحدة فى النهوض بالبلاد وبداية روح جديدة فى كافة المجالات .

---

(١) Frankfort , H., Op. Cit., PP. 19 - 20 .

(٢) محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢ .

وكذا : Frankfort , H., Op. Cit.., P. 7 .

والجانب الواضح للملكية المصرية القديمة هو ارتباطها المباشر بالسلوك والمثل العليا حيث ارتبطت الملكية الالهية بتعبير الـ « ماعت » بمعانيها المتعددة والتى استعملت عند الانسان المصرى القديم لأول مرة بمعنى الصواب(١) . وكانت تمثل منذ العصور الأولى (الاسرة الثانية) كالهة سيدة تحمل شارة على شكل ريشة .

وكان من الضرورى بوصفها صفة من صفات النظام والاستقرار أن يعاد تأكيدها عندما يتولى الحكم ملك جديد حيث يصور على جدران المعابد وهو يقدم « ماعت » كل يوم للآلهة الآخرين كدليل ملموس على قيامه بوظيفته الالهية نيابة عنهم(٢) ، وتوفر معنى النظام الدائم وانتهاء الأزمة التى يمثلها موت وتعيين آخر جديد على العرش مكانه تسعد به الأرض لاحتفاظه بـ « ماعت » التى كانت بجانب كونها صفة منتظمة صالحة لكل وقت فإنها أيضا تعنى العدل للجميع .

ولاشك أن فكرة الـ « ماعت » وما تعنيه من حق وصواب ودلالة على أفعال الإنسان الخلقية الشخصية سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع، فلقد كان لها أثرها فى استقرار وتثبيت حكم ملوك أوائل الأسرات الذى كان حكمهم يعنى امتدادا لحكم الالهة التى حكمت بالحق والعدل وأصبحت بمثابة المنظم للظواهر الموجودة على سطح الأرض وهو ما توضحه نصوص الأهرام :

« ان رع أتى من الهضبة الأولى (مكان الخليقة)

بعد أن وضع النظام « ماعت » مكان (الفوضى) » (٣) .

---

(١) Breasted , J. , H., The Dawn of Conscience , New York , 1947 , P. 100.

(٢) Wilson, J., Cit., P. 48 .

(٣) Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion , PP. 54 - 55 .

والملك الاله شأنه شأن الالهة فى ارتباطه بـ « ماعت » من حيث تمسكه بالحق والعدل والنظام كبرهان واضح على انه ينوب عنهم فى تحقيق هذه المعانى الطيبة للحكم الصالح .

وهكذا فقد مر تصور الإنسان المصرى القديم لمثله العليا بعدة مراحل، المرحلة الأولى عندما تصور ان الملك الاله هو بمثابة المثل الأعلى له فى كافة شئونه الدينوية والاخروية فقد آمن ايمانا تاما بنظام الملكية الالهية ولذلك اقبل على هذا النظام اقبالا يتسم بالولاء الكامل والتضحية التامة من أجل تحقيق كافة ما يتصل من قريب أو بعيد بهذا النظام المقدس بالنسبة له، فقد تصور ان خيره الدنيوى وخيره فى العالم الآخر يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا النظام على أساس ان الملك سوف يحقق له ولمجتمعه الانسانى كافة متطلبات الخير الرفاهية والسعادة والسلام باعتبار انه يحكم بصفته الالهية وعن طريق اتصاله بالقوى الالهية الصانعة لكافة متطلبات الاستقرار والأمان والانتاج الاقتصادى ، (فعلى سبيل المثال الاله الشمسى يوفر الضياء والحرارة اللازمة للحياة الانسانية والنباتية وآلهة السماء توفر المياه العذبة واله الأرض يعد التربة الصالحة للانبات الجيد .. وهكذا)، والملك الاله بصفته الالهية قادر على التعامل مع غيره من آلهة الطبيعة بما يحقق الخير لمجتمعه، ولذلك فلقد آمن المصرى القديم بهذا النظام وتفانى فى سبيل ارضائه، ولذا فلقد اعتبر الإنسان المصرى الملك حتى نهاية الأسرة الرابعة تقريبا النمط النموذجي الذى يقتدى به ويطيعه طاعة كاملة من أجل تحقيق الخير له ولمجتمعه .

وقد استلزمت فكرة الوهية الملك ان يظهر اسمه مقترنا ببعض الألقاب التى توضح حمله للصفة الإلهية وحقه الالهى فى حكم مصر العليا والسفلى وتذكيره لشعبه دائما بانه وريث الالهة والصورة الحية للاله « حور » على الأرض ، وبلغ عدد هذه الألقاب عند نهاية الدولة القديمة خمسة القاب رئيسية :

أولها أنه الاله «حور» :

وهو اسم يؤكد صلة الفرعون[١] ، بالمعبود « حور » ويجعله وريثا له يحكم باسمه ويتجسد فيه شخصيا وأصبح حورس قبل كل شئ المثل الأعلى للملك وإذا ارادوا ان يفرقوا بين الملك وبين المعبود، لقب الأول بحور الذى يسكن القصر[٢] وهو الذى صور فى لوحة نعرمر وذهبت بعض الآراء إلى اعتباره « سرخ » واجهة القصر الملكى ، وذهب آخرون إلى انه يمثل باب المقبرة الوهمى[٣] .

اللقب الثانى : اللقب النبتى :

حيث اعلن الملك انه الربتين لأنه اتحدت فيه شخصيا كل من الإلهة الحامية للوجه القبلى « نخبت » (الكاب) وكانوا يرمزون إليها بانثى العقاب، و « واچيت » (بوتو) حامية الوجه البحرى التى كانوا يرمزون إليها « بحية » وهذا اللقب يؤكد صلة الملك بالالهة الحامية له ، ويضعه على قدم المساواة معها بالاضافة إلى تمثيله كل من الجنوب والشمال تحت حمايته ، كذلك يشير هذا اللقب إلى الجذور القديمة التى تعود إلى عصور ما قبل التاريخ واستمسك بها ملوك الأسرة الأولى .

---

(١) لفظ «فرعون» لم يكن فى البداية اكثر من لقب اصطلاحى كتب فى صورته المصرية القديمة «برعو» بمعنى البيت العظيم والكلمة الاصلية استخدمت فى الدولة القديمة كجزء من جمل عدة مثل رفيق الملك او ساكنى البيت العظيم ثم أطلقت على القصر نفسه والبلاط وليس على شخص الملك وابتداء من الأسرة الثانية عشرة استخدمت للتعبير عن القصر نفسه، ثم تطورت فى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) لتطلق على القصر وساكنه (الملك) ، انظر :
Gardiner , A.H., Egyptian Grammar, Oxford, 1927 , p. 75 .

(٢) أ. ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، مراجعة محمد انور شكرى، القاهرة ، ١٩٥٢، ص ٦١ – ٦٢ .

(٣) Quibell, J., E., Op. Cit., P. 10.

واللقب الثالث : النسوبيتى (نيسوت بيتى)

وهو يعبر أيضا عن ازدواجية الحكم وتوحيدها باعتبارها الملك المنتسب إلى نبات سوت (البوص) شعار مملكة الصعيد ، والنحلة شعار مملكة الوجه البحرى، وهو يؤكد صلة الملك بالشعارين المقدسين قديما لكل من مملكة الصعيد ومملكة الوجه البحرى، وهو من الألقاب التى ظهرت فى عهد الملك ودى مو الأسرة الأولى .

اللقب الرابع هو «لقب حور الذهبى»

كتعبير عن القوة والمجد والرفاهية التى يسبغها الملك على رعاياه وكما يرى «ولسون Wilson » فإن الأدلة لازالت غامضة عن سبب استخدام هذا اللقب ، الذى عرف منذ منتصف الأسرة الرابعة .

اللقب الخامس هو لقب «سارع» (ابن رع)

آخر الألقاب الخمسة إضافة ملوك الأسرة الرابعة على القابهم وهو من اسماء الملك قبل تولية العرش ويكتب داخل خرطوش، وهو يرمز لشخصية الملوك المؤلهة باعتبار انهم أبناء الاله رع «سارع» ، ومن ثم بقى هذا اللقب ضمن الألقاب الملكية وتمسك به ملوك الأسرة الخامسة بصفتهم ورثة «رع» على الأرض.

ومن الأهمية الإشارة إلى ان القاب الملوك كانت تحتوى احيانا على بعض الصفات المعبرة عن تمسك صاحبها بالقيم الفاضلة وكمثال تلقب الملك «سنفرو» الأسرة الرابعة بلقب «نب ماعت» بمعنى رب العدالة وهو ذو مغزى خلقى يدل على تمسكه بالعدل والحق لمجتمعه[١] . والقاب عديدة مثل الإله

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ١، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ .

الطيب، رب العدالة ، حور المنتصر على ست ، الثور القوى وغيرها من الالقاب.

وارتبط ملوك مصر القديمة بثلاث صفات هامة تتصل بالملكية من الالهية اتصالا وثيقا(١) ، وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها كل من يحكم مصر وهى :

السلطة (٢) .

الادراك (٣) .

بالاضافة إلى صفة خلقية هامة وهى : العدل(٤) .

وهناك مظهرا آخر حرص عليه الملوك وهو تأكيد ارتباطهم بالالهة وذلك باقامتهم الأعياد الملكية وأهمها حفلات التتويج ذات الطابع الدينى حيث يصور الملك مستمدا سلطاته من الآلهة مباشرة .

ومن النقوش التى وجدت على جدران المعابد المختلفة نستدل منها أن الملك كان يؤخذ بواسطة الالهين حور وست – عن طريق كاهنين يرتديان اقنعة بشكل الالهه حور وست – ليغسلوه ويطهروه ويقدماه للالهة الآخرى (٥) ، وتتوالى الطقوس حيث يتقدم الملك لابسا فى المرة الأولى التاج الأبيض للوجه القبلى ويجلس على عرش مصر العليا وفى المرة الثانية يضع التاج الأحمر كملك لمصر السفلى ويمثل الملك خلال ذلك مرتديا عباءة كبيرة تصل حتى الركبة أو

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 103 .

(٢) Gardiner , A., Egyptian , Grammar, P. 550 .

(٣) Ibid., P. 555 .

(٤) Ibid ., P. 542 .

(٥) أ. ارمان ، هـ رانكة : مصر والحياة المصرية ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

القدم ممسكا بيده عصا معقوفة وفى اليد الأخرى ما نسميه عادة بالسوط أو « المزبة » [١] .

(وكما يرى جاردنر أن تمثيل الملك بهذه الكيفية ربما يعود إلى عصور قديمة يرجع إلى الاله أوزير الذى حكم مصر من قبل) .

ثم يقوم الملك بالدوران حول الحائط وهى فكرة كانت ماخوذة من أول ملوك مصر وقد يرمز هذا الطواف التقليدى حول الحائط اعادة ذكرى حائط قديم كان ملوك الوجه القبلى قد اقاموه لصد غارات الشماليين[٢] وربما يرمز لذكرى توحيد البلاد وبداية عهد جديد تنعم فيه مصر بالاستقرار [٣] .

وكان هذا الاحتفال يقام عند تولى ملك جديد أو انقضاء ثلاثين عاما على حكم الملك وقد يكون هذا مرجعه إلى عصور سابقة للعصر التاريخى كانت الملكية فيه لا تمنح إلا لمدة ثلاثين عاما ينحى بعدها الملك أو يقتل ثم جاءت فكرة اقامة تلك الشعائر فى محاولة لارضاء الالهة حيث يجدد الملك تاكيد عودة الشباب والقوة إليه من جديد .

ومن الآثار التى عثر عليها فى نخن (هيراقنوبوليس) حيث عثر على رأس دبوس يمثل الملك « نعرمر » يحتفل بانقضاء ثلاثين عاما على حكمه[٤] .

ولا تزال الأدلة الأثرية والنصية تعوزنا فى محاولة تعرف جذور وأسباب هذه الاحتفال وهل المقصود به تجديد عمر الملك أثناء حياته على الأرض أو فى العالم الآخر حيث احتفل به كل من :

(عدج – ايب Adjie - ib) و (سمرخت Semerkhet)

---

(١) Vandier, J., Op. Cit., P. 181 .

(٢) Ibid ., P. 181 .

(٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ،جـ١ الطبعة الثالثة ، الاسكندرية، ١٩٦٠،ص١١١

(٤) Baikie, J., Op. Cit., P. 63.

من ملوك الأسرة الأولي الذين لم تتجاوز مدة حكمهما معا ستون عاما حيث حكم الأول نحو ٢٦ عاما والأخير حكم نحو ١٨ عاما (١) . ويتبع تتويج الملك موكب ملكى يؤكد فيه الملك ارتباطه بالالهة حيث يخرج من القصر فى موكب متجها إلى حيث معبد الاله « مين » (٢) .ويفهم من مناظر الاحتفال المنقوشة على الجدران أن الملك فى احبتفالات التتويج يبدأ حكمه فى هذا البلد الزراعى بتقديم القرابين لاله النمو والخصب (٣) .

وكان من الأهمية بمكان أن يقوم الملك بواجبه خير قيام فى المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية .

ففى المجال الدينى إذا صح استنتاجنا بأنه كان من واجب كل رئيس أو حاكم مقاطعة قبل الوحدة القيام بالوظائف الدينية كل فى معبد اله مدينته بصفته الرئيس الدينى فقد انتقل هذا الواجب إلى الملكية بعد أن تم توحيد البلاد حيث اعتبر الملك كاهنا لجميع الالهة وصور الملك وهو يقدم القرابين للالهة فى المعابد(٤) .

ومن « حجر بالرمو » نستدل أن المعابد قد أقيمت أو أعيد بناؤها بمعرفة ملوك الأسرة الأولى والثانية (٥) . وقد استمر هذا التقليد طوال عصور التاريخ القديم (٦) .

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 265 .

(٢) الاله مين : فى « قفط » المقاطعة الخامسة من مقاطعات مصر العليا وهو اله للنمو والاخصاب وكان يمثل على شكل رجل واقف وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان رافعا ذراعه الأيمن ممسكا بسوط (مثلث الفروع) ويعتبر عيده واحدا من اقدم الاعياد المصرية القديمة .

انظر: Vandier, J., Op. Cit., PP. 183 - 184 .

وكذا : أ. أرمان ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، ومراجعة محمد أنو شكرى ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) أ. ارمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٤) أ. ارمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٥) Vercoutter, J., Op.Cit., P. 72.

(٦) Breasted , J., A. A History of Egypt, P. 46 .

ومن الغريب أن الملك يوصف مؤديا بنفسه طقوس العبادة للالهة فى كل المعابد بالمناطق المختلفة ولما كان هذا مستحيلا من الناحية العملية لاتساع رقعة البلاد فإنه فى الواقع كان يكتفى بأداء واجبه نحو اله العاصمة أو الاله المحلى فى المكان الموجود به بينما كان يفوض الكهنة للقيام باعبائه الدينية فى الأماكن المختلفة واحتفظ هو بهذا الدور من الناحية الاسمية حيث كان الكهنة يؤدون باسمه الطقوس الدينية فى كل مكان [١] .

أما من الناحية الاجتماعية فالملك الاله بصفته الراعى الأول للمجتمع فإن من أهم واجباته توفير الأمن والاستقرار والخير والطمأنينة لهذا المجتمع ويتأتى ذلك بالاهتمام بمشروعات الرى وتوفير المياه اللازمة حتى يضمن محصولا وفيرا لرعيته ، وقد اهتم الملوك فى سجلاتهم التاريخية « كحجر بالرمو » بتسجيل قياس ارتفاعات النهر وانخفاضاته حيث ينسب الفضل فى ورود المياه ومجئ الفيضان إلى الملك وصفاته الالهية [٢] ، حتى فى الحالات التى كان يتأخر فيها الفيضان أو تقف المظاهر الطبيعية موقف معاكس لرغبات المجتمع فإنهم ينسبون ذلك إلى قوة عدوانية من ناحية بعض الإلهة وعلى الملك أن يسترضيها حتى يعود الخير والاستقرار إلى مجتمعهم .

وكمثال على ذلك يسوقه الدارس حيث وجد نقش يرجع إلى عهد البطالمة على صخور جزيرة « سهيل » عند الشلال الأول ذلك أنه حدث فى عهد الملك « زوسر » مجاعة كبيرة فأرسل إلى مساعده الحكيم « ايمحتب Imhotep » [٣] يستشيرة فيما يجب عليه ان يفعله وأى اله يجب ان

---

(١) Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 62 - 63 .

وكذا : سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ، زينب الكردى ، مراجعة د. أحمد بدوى ، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) هـ. فرانكفورت ، وآخرين : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم مراجعة محمد الأمين، بغداد، ١٩٦٠، ص ٩٨ .

(٣) Driton, E., Vandier, V., L'Egypte, Paris , 1938, P. 169 .

يتوجه إليه لمساعدته فاخبره ان حالة النيل وما يجئ به من خير يتم بمعرفة الاله « خنوم »[١]، لذلك فقد أتى الملك لمقابلة « خنوم » اله « الفنتين »
الذى شرح للملك انه قد اهمل فجاء بالمجاعة فاسترضاه الملك برقعة كبيرة من الأرض تبلغ طولها ما بين ٨٠ او ٩٠ ميل تقع بأراضى النوبة من « سهيل إلى جزيرة تاكومبو » بالقرب من بلاد النوبة [٢] .

كما تصور النقوش الملك مصحوبا برجال حاشيته يتفقد المبانى ويتابع اعمال الرى ويشرف عى معظم الانشاءات الهامة بنفسه مثل انشاء القنوات وكذلك كل الأعمال الخاصة بالزراعة [٣] أيضا كان على الملك القيام بالرحلات وإرسال البعثات لاحضار ما يلزم البلاد سواء كان هذا من الانحاء القريبة أو البعيدة وعليه بصفته إلها أن يستخدم وساطته لدى الالهة لكى تحقق هذه البعثات النجاح .

هذا بالاضافة إلى واجب الملك السياسى كالتفتيش على الحدود وحمايتها من اى اخطار حيث حرص الملوك منذ عصر الأسرة الأولى على تسجيل انتصاراتهم وقضائهم على المتمردين[٤] وكان الملك يقود الجيش بصفته قائدا أعلى له وينسب إليه الفضل فى كل الانتصارات التى يحرزها جيشه وكانت العادة ان يقوم الملك بتعيين قادة الحملات التى لا يقوم بقيادتها شخصيا وكان هذا يعد شرفا كبيرا لمن يقع عليه الاختيار الملكى، وفى هذه

---

(١) الاله ختوم : الاله الذى يخلق ويكون ، نسب إليه خلق البشر والالهة والنيل، وكان الها محليا للشلال الاول أصل منابع النيل فى عقيدة الانسان المصرى القديم تعددت صفاته وعبد فى اماكن مختلفة من مصر القديمة وكان يمثل على شكل انسان برأس كبش أو انسان باربعة رؤوس كباش ، كما اقترن بكثير من الالهه انظر :
نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٤، الاسكندرية ١٩٥٩ ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) Breasted , J., Op. Cit., P. 100 .

(٣) Ibid., P. 39.

(٤) Ibid ., P. 48.

الحالة يضيف أمام لقبه المدنى شرف قيادته لهذه الحملات ناسبا انتصاره إلى الملك [١] .

ولم يقتصر واجبات الملك نحو رعاياه على حياته الدنيا فقط بل تعدتها إلى الحياة فى العالم الآخر حيث اعتقد الإنسان المصرى القديم أن الملك الاله سيحقق له السلام والأمن فى مختلف مراحل حياته فى العالم الآخر مثلما الحال فى عالمه الدنيوى وفى ظل مفهوم أن خدمة الملك الاله تعد من أعظم الواجبات فإن الشعب لم يدخر جهدا فى سبيل اعداد المسكن الابدى للملك الاله ليضمن له الخلود الدائم، ولم يكن ذلك المسكن قاصراً على المقبرة الملكية بل شمل إلى جانبه عدة عمائر تتصل بالطقوس الجنزية الخاصة بالملك، ومن الصعب أن نتصور الغرض من بناء الأهرامات دون أن نتفهم ما كان سائداً فى تلك الفترة من إيمان بالبعث والخلود فى ظل ملكية الهية مطلقة[٢] ، (حتى عند رحيل الملك من عالم الدنيا فإنه ينتقل ليعيش فى عالم الالهة كواحد منهم له كل التقديس والاحترام مثلهم تماما) مما يستلزم معه اعطاء صورة موجزة عن عقيدة البعث والخلود وارتباط الانسان المصرى القديم في الخلود بارادة الملك الاله الذى امتدت سلطته على رعاياه حتى فى العالم الآخر حيث يعيش الملك بين الالهة كواحد منهم [٣] .

وتتحدث نصوص الأهرام عن ذلك :

« مثلما أوزير يعيش ، يعيش الملك أوناس

وكما أن أوزير لا يموت ، الملك أوناس لا يموت ... »[٤] .

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 303 .

(٢) احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٢ .

(٣) Breasted , J., Op. Cit., P. 74 .

(٤) Vandier, J., Op. Cit., P. 81 (Pyr. 167 Ct Seq.)

ولقد اعتقد الانسان المصرى القديم ان مثله العليا فى العالم الآخر هى استمرار لمثله العليا التى اعتقد بها فى حياته مع مراعاة أن عقيدة البعث والخلود قد ادت إلى ظهور قيم الثواب والعقاب وضرورة التمسك بالعمل الصالح فى الحياة الدنيا حيث أن الانسان مطالب ببيان عمله عندما يبدأ رحلته من عالم الدنيا إلى العالم الآخر .

للمساعدة فى ترتيب تسلسل ملوك الأسرة الأولى، وبمساعدة من قائمة المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» ، ثم المصادر الأثرية – مع قلتها – التى تعود إلى هذه الفترة البعيدة، يمكن ترتيب ملوك الأسرة الأولى على النحو التالى :

١– نعرمر = منى

٢– عحا (حور عحا)

٣– چر

٤– الملكة «مرى نيت»

٥– واچى (واچت)

٦– وديمو (دن)

٧– عنجاءب (عنجاء بى) (ميبيدس Miobidos)

٨– سمرخت

٩– قا (قع) «قاى – ع »

أهم أعمال ملوك الأسرة :

الملك نعرمر (فى حالة توحيده مع منى) فهو مؤسس العاصمة منف ، وتبعاً لمانيتون فلقد حكم ٦٢ عاماً، وهو صاحب الآثار التى عثر عليها فى «هيراقنوبوليس» ومنها رأس الصولجان يؤكد اهتمامه وملوك الأسرة بتدعيم الوحدة بين شطرى البلاد، حيث نرى «نعرمر» مرتديا تاج الوجه البحرى الأحمر، جالسا على عرشه تحميه الآلهة «نخبت» إلهة هيراقنوبوليس فى شكل «رخمة» وأمامه حملة ألوية جيشه وكذلك شخص يجلس فى محفة وأشخاص يمثلون أسرى ، وأعداد من الماشية بمثابة غنائم، ويفسر عدد من المؤرخين ذلك باقتران «نيت حوتب» بنعرمر، باعتبارها أحدى سليلات البيت الحاكم فى الشمال، وهذا الزواج يعزز موقف نعرمر ويدعم الوحدة بين الشمال والجنوب ، وهو ما اتبعه عدد آخر من ملوك الأسرة منهم «دن» الذى تزوج من أميرة شمالية تدعى «مريت نيت»[١] ، (حيث يقترن باسماءهن اسماء ربات من الدلتا)، ولم يكن هذا الزواج قاصراً على ملوك واميرات من الدلتا)، وإنما شمل فئات آخرى من المجتمع مما زاد من أواصر القربى والوحدة بين شطرى البلاد ، كذلك قيام ملوك ذلك العصر بزيارات للأماكن المقدسة فى الدلتا مثلما فعل الملك «چر» بزيارة لبلدتى «بوتو» ، و«سايس» البلدتان المقدستان فى الوجه البحرى، وقيام «دن» باحياء عيد الآلهة واچت — بوتو وإقامة المشروعات المختلفة فى الدلتا والصعيد على قدم المساواة، وهى كلها خطوات تحسب لملوك هذا العصر الذين نجحوا فى إزالة الانقسام بين الشمال والجنوب وهو ما فشلت فيه مجتمعات آخرى ظلت تعانى الفرقة بين الشمال والجنوب لفترات طويلة ، ولعل

---

(١) و. إمرى : مصر فى العصر العتيق ، ترجمة راشد محمد نور ، محمد على كمال الدين، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٦ .

عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٣٥٨

مما شجع ملوك هذا العصر تضافر العوامل الطبيعية كنهر النيل مثلا على تدعيم هذا الاتجاه ، وزيادة الوعى لدى الإنسان المصرى القديم بنعمة الاتحاد ونتائجه المثمرة للجميع .

كذلك اهتم ملوك هذه الفترة بارسال البعثات التجارية إلى الصحراء الشرقية، وربما أيضا إلى مناطق التعدين فى البحر الأحمر، حيث وجد اسم نعرمر على صخور وادى القاش جنوب الطريق التجارى الذى يربط بين قفط والقصير، كما عثر على اسم « واجى (واجت) الملك الخامس للأسرة على صخرة طبيعية فى الصحراء الشرقية جنوب إدفو يشير إلى إحدى البعثات المرسلة إلى هذه المناجم .

كذلك تتوفر الأدلة على قيام ملوك هذا العصر بالاحتفال بالأعياد ، مثل أعياد ارتقاء العرش (عيد الجلوس) ، وأعياد ذكرى توحيد البلاد ، حيث تشير القوائم والأدلة الأثرية أن الملك « وديمو » (دن) الذى حكم ٢٠ سنة ، قد اهتم بإقامة الاعياد الدينية ، حيث تسجل أحداث عهده « ظهور ملك الوجه القبلى ثم ظهور ملك الوجه البحرى فى الاحتفال بالمعبد المعروف بعيد « سد » وهذا الاحتفال كان إحياء للزمن الذى لم يكن مسموحا للحاكم فيه بتخطى مدة ثلاثين سنة ولكن بحلول الأسرة الأولى تطورت هذه العادة إلى عيد ثلاثينى واحتفال سحرى ، كان الملك يجدد فيه حيويته ويستمر فى الحكم ، وتكررت مناظر هذا الاحتفال مع ملوك اخرين ومنهم الملك « عنجاءب » (عج إيب) ، ولم يلتزم الملوك بفترة مرور الثلاثين عام على توليهم الحكم فى إقامة هذا الاحتقال وإنما اقاموه كلما تراءى لهم تأكيد حيويتهم ، أو انتصارهم أو خروجهم من محنة ما، ولازالت الإدلة تعوزنا حول عيد الحب « سد » وأصوله البعيدة .

وتشير الأدلة على اهتمام ملوك العصر بالعلوم حيث تشير حوليات حجر بالرمو على قيام الملك « وديمو » بتسجيل احصاء لسكان المقاطعات فى الغرب والشرق والشمال، وعلى اهتمام الملك « عحا » (حور عحا) الذى حكم لمدة ٤٧ عاماً (تبعا لما نيتون) بالتشريح وبالطب .

كذلك يشير العثور على بطاقة من ابيدوس من عهد « جر » وفيها إشارة إلى شهور النجم « سوتس Sothis » (الشعرى اليمانية) إلى تقدم فى معرفة الفلك، واستخدام التقويم الشمسى الذى حل محل التقويم القمرى الذى كان معمولا به فى عصور ما قبل الأسرات حيث كان ظهور ذلك النجم متسقا مع صعود الشمس على خط عرض أون، ومتفقا مع مجئ الفيضان ، وكان المصرى قد قسم السنة إلى ثلاث فصول يتكون كل منها من أربعة شهور هى : آخت (فصل الزرع) ، و « برت » الأنبات، والثالث « شمو » الحصاد، وتبعا للتقويم الشمسى ومجئ هذه النجمة فى عهد « جر » وبحساب السنوات فيما بين حوالى ٢٧٨٥ – ٢٧٨٢ ق.م. ، والمعروف أن مانيتون قد اعطى « لجر » مدة حكم تقدر بحوالى ٣١ عاماً [(١)] .

بينما يرى « نيقولا جريمال » أن وجود « سويدة » النجم « سوتس » على بطاقة جر (شكل ٨) ليس دليلا فى حد ذاته ، فرصد الظاهرة لا يعنى بالضرورة الاخذ بتقويم جديد تمام، ومن المنطقى الافتراض بأن التقويم القمرى ظل معمولا به طوال عهد « جر » وأن التقويم الشمسى لم يحل محله إلا بحلول دورة الشعرى اليمانية التالية أى قرب نهاية الأسرة الثانية[(٢)] .

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 263 - 264 .

وكذا : ولترا يمرى : نفس المرجع السابق ، ص ٣٩ – ٥٩ .

(٢) نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبو زادة ، القاهرة، ١٩٩٣ ، ص ٦٥ .

وقبل أن ننتهى من الحديث عن الأسرة الأولى، يتردد الحديث عن الملكة « مريت نيت » باعتبارها ثالثة ملوك هذه الأسرة وربما خليفة الملك « چر» حيث عثر الأثرى « فلندرز بترى» عام ١٩٠٠ على مقبرة فى أبيدوس رمز لها بحرف (ى) وبداخلها لوحة كبيرة تحمل اسم « مريت نيت » ولكن دون أن يكون الاسم فى مواجهة « السرخ » التقليدى الذى يعلوه الصقر وبذلك اتجه الظن نتيجة ثراء المقبرة أنها زوجة ملكية .

لكن الحفائر الحديثة بسقارة كشفت عن العثور على مقبرة أخرى يظهر أنها للملكة « مريت نيت » بدليل العثور على أوانى حجرية واختام سدادات الأوانى متشابهة مع تلك التى عثر عليها فى أبيدوس واحدها يمثل اسمها داخل واجهة القصر « سرخ» يعلوه سهام نيت المتقاطعة وهى تشبه اختام « نيت حتب » التى عثر عليها فى نقاده والتى تنتمى إلى بداية الأسرة الأولى (ربما زوجة نعرمر وأم للملك حور عحا).

ومقبرة سقارة رقم ٣٥٠٣ أكبر بكثير من مقبرة أبيدوس ولها أيضا مدافن جانبية تحيط بالبناء العلوى الذى تبلغ أطواله ٤٢,٦ X ١٦ مترا، ولهذه المدافن أهمية كبيرة إذ ضمت رفات بعض خدم الملكة وادواتهم مثل نماذج قوارب وأوانى حجرية، كذلك عثر إلى الشمال من مقبرة الملكة على حفرة مركب مبنية باللبن كانت أصلا تحوى مركب شمس طوله ١٧,٧٥ وذلك لكى تبحر مع إله الشمس .

وعلى أى حال فوجود مقبرة للملكة « مريت نيت » على مقربة من مقابر الملوك لذو دلالة على أهمية هذه الملكة ومكانتها الكبيرة، وعلى تدعيم الرأى القائل باتجاه ملوك الأسرة بتدعيم الوحدة بين الشمال والجنوب عن طريق الزواج بين شطرى البلاد [١] .

---

(١) ولتر إيمرى : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ – ٥٧ .

تنتهى الأسرة الأولى التى استمرت حوالى قرنين ونصف من الزمان – تبعا لما نيتون – نهاية غامضة، ولا ندرى لماذا انتهت ، والأسباب لازالت مجهولة وربما تكشف عنها الأيام القادمة .

الأسرة الثانية :

عدد ملوك هذه الأسرة ثمانية ملوك ، ولم يعد هناك مقابر ملكية فى أبيدوس ، وكما يرى «مانيتون» فهناك تسعة من الملوك لهذه الأسرة، بينما لا تؤكد المادة الأثرية سوى سبعة أو ثمانية من الملوك هم : (١)

١- حوتب سخموى .

٢- رع نب (نب رع) .

٣- نى نثر (نثريمو) .

٤- ونج

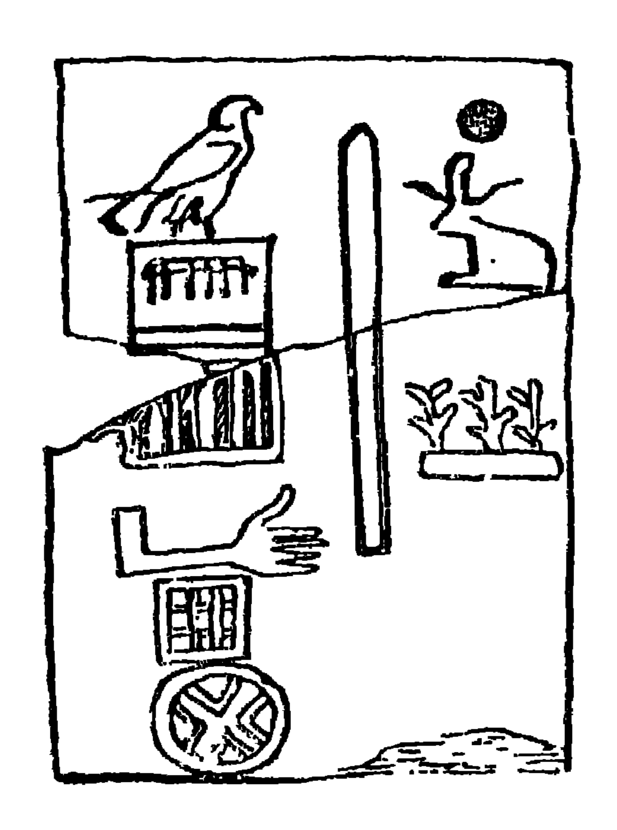
٥- سند (سنج) .

٦- سخم إيب (بر إيب سن)

٧- خع سخم

٨- خع سخموى

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 265 - 266 .



شكل (٨) - بطاقة من العاج للملك جر

١- الملك حوتب سخموى

أول ملوك الأسرة الثانية ، اسمه يعنى « القوتان هادئتان » أو كما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح ، بمعنى « رضى القويان » أو استقر القويان » ربما إشارة للإضطراب بين الشمال والجنوب والذى انتهى بإعتلائه العرش مكونا الأسرة الثانية التى بدأت باستخدام الأختام بدلا من البطاقات العاجية والخشبية التى كانت مستخدمة بكثرة فى الفترة السابقة ، ونعرف من « مانيتون » أنه قد حدث فى عهده زلزال أو تشقق فى الأرض فى بوباسطة » نتج عنه وفاة عدد من الناس، وبعد حكم ٣٨ عاما [١] ، خلفه على العرش خليفته :

٢- نب رع (رع نب) :

حكم لمدة تسع وثلاثون سنة، يطلق عليه « كاكاو » فى قوائم الملوك ، لم يكشف عن مقبرته بعد ، غير أنه وسلفه « حوتب » سخموى» وجد اسمه على أختام طينية عثر عليها بالقرب من هرم « ونيس» فى سقارة.

ويذكر « مانيتون » أنه خلال عهده استقرت عبادة العجل « أبيس» التى تعود إلى بداية عصر الأسرة الأولى فى منف وأون .

٣- نى نثر (نثريمو) :

حكم مدة سبعة وأربعين عاما ، ويشير حجر بالرمو إلى الاحتفالات الدينية فى عهده .

الملك الخامس فى الأسرة « سند » حكم ٤١ عاما ، وربما شهدت البلاد بدءا التطاحن والصراع الدينى بين انصار الإله « حور» والإله « ست » (إله العاصمة الجنوبية القديمة امبوس) ، خليفته حمل اسم (حور سخم إيب) .

(1) Ibid., P. 265 .

سخم إيب :

خلال حكم «سخم إيب» ظهر صراع سياسى دينى، مع أننا لا نستطيع معرفة تفاصيله، غير أن العلماء يروا أن الملك سخم إيب (برابسن) قد خرج عن المعتاد بتصوير الصقر رمز المعبود «حور» وتعصب لست إله الصعيد القديم وسمح لرجاله بأن يصوره بتاج الصعيد وبهيئة بشرية على أختامه ، ويصوروا رمزه فوق قصره عوضا عن رمز «حور» ، وقد اختلفت آراء عدد من المؤرخين عن دوافع «سخم إيب» لذلك فمنهم من قائل بسبب ثورة أهل الدلتا على الملك فعاندهم وانصرف عن إلهه القديم حور إلى ست إله الصعيد، أو ربما أراد الملك أن ينتسب إلى حور وست معا. ومعلوماتنا عن هذا العصر ضئيلة، للدرجة التى يستحيل معها أن نفترض أية نظرية تتفق مع حقائق تلك الفترة .

خع سخم : خع سخموى :

تنتهى الأسرة الثانية بملكين هما : خع سخم، خع سخموى، ويعتقد عدد من المؤرخين أن كليهما شخص واحد، الملك «خع سخم» عثر على آثار تحمل اسمه فى هيراقنوبوليس ولكن يبدو أن حكمه كان عاصفا وإن البلاد وخاصة الدلتا تعرضت لغزو من عناصر ليبية، والآثار التى عثر عليها تمثل حروبه وانتصاراته ، مع أنه يجوز أن بعض هذه الحوادث التى إشارت إليها لوحاته قد حدثت خارج الحدود المصرية ضد عناصر من الليبيين الذين أغاروا على الدلتا مع إمكانية حدوث ثورة داخلية فى مصر، وقد وصلنا نص مدون على ثلاثة أوان أحدهم من الجرانيت (بالمتحف المصرى بالقاهرة)، والأخرى من الالباستر (فيلادلفيا) والثالثة من الالباستر (اكسفورد حاليا) وكلها تحمل نفس النقوش للملك «خعم سخم».

كتب عليها «عام مقابلة العدو الشمالى» والالهة نخبت على شكل نسر

تقبض على دائرة خبتم بداخله كلمة «بش» (ثوار) بينما ترتكز مخلبها الآخر على رمز وحدة مصر أمام « خع سخم » (شكل ٩)

وقد لاحظ إيمرى (Emery) ان الملك يرى على تماثيله لابسا تاج الصعيد فقط ، وعلى الأوانى الحجرية يرى الصقر الذى يعلو اسمه يلبس أيضا تاج الصعيد ، ومعنى هذا كما يراه ان خع سخم كان أحد حكام الأسرة الطينية فى مصر العليا ، وهى الأسرة التى جددت وحدة وادى النيل بعد الحروب الدينية بين اتباع حور وأتباع ست (١) .

ثم تولى الملك « خع سخموى » وفى عهده استقرت وحدة الدولة نهائيا ، ومع انتهاء حكمه تنتهى تلك الفترة المبكرة من عصر بداية الأسرات .

اما عن النظام الإدارى فى فترة عصر بداية الأسرات فليست لدينا معلومات كافية عن الأحوال الادارية فى تلك الفترة التى عبز فيها الفن عن سمو مكانة الملك بالنسبة لباقى أفراد المجتمع، ولذا كان من الطبيعى أن يعاون الملك مجموعة من الموظفين والمساعدين يكونوا هم حلقة الوصل بينه وبين المجتمع .

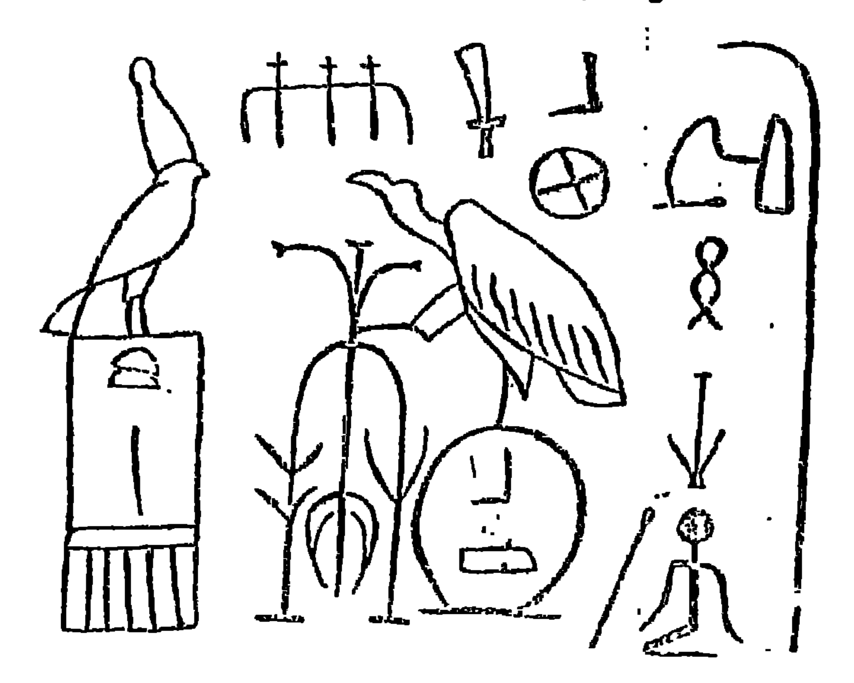
ومن بين الوظائف التى أثارت الكثير من الجدل وظيفة الوزير فالبعض يرى أنها كانت قائمة فى ذلك العهد ، و الواقع ان ما لدينا من آثار ونصوص وثائقية لا يكفى لاثبات وجود هذه الوظيفة ولكنه لا ينفى قيامها فى الوقت نفسه، وبينما يرى « دريوتون Drioton » ان « حماكا » وهو من اشهر موظفى الملك « دن » كبير الموظفين فى الدلتا ، وكشف عن مقبرته بسقارة عام ١٩٣٦ ،

---

(١) ولترا يمرى : نفس المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٣ .
وكذا :
Quibell, J. E., Op. Cit., Pl. XXXVIII



شكل ٩ أ :(آنية من الجرانيت للملك خع سخم)



شكل ٩ ب : (آنية من الالباستر)

وعثر له على مقبرة أخرى فى ابيدوس احتوت على عدد من أختام الجرار تحمل اسمه ، وهو فى نفس الوقت الموظف الأول للملك لكنه لم يحمل اللقب .

ولذا يمكن القول أنه إذا كان لقب الوزير موضع شك فإنه كان هناك على الأقل موظفان يحمل أحدهما لقب حامل أختام الجنوب ، والآخر حامل أختام الشمال، ويرأسان بيت المال المزدوج، مما يسمح معه بالقول إن الحكومة كانت حكومة موحدة تحمل فى ثناياها مظاهر وتقاليد حكومتين معا، ومن المحتمل وجود رئيس للادارة الحكومية ، ولعله من المناسب التأكيد هنا على أن من ضمن الوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين شطرى البلاد هو السماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى ادارته تحت ظل التاج المزدوج.

وفى ظل المجتمع الزراعى المصرى القديم الذى يعتمد عى الزراعة وفيضان النيل وحفر الترع والقنوات ومتابعة مشاريع الرى مما يستدعى وجود موظف يشرف على هذه الأعمال حيث ظهر لقب «عدج مر» ومعناه المشرف على حفر القنوات الذى أصبح فيما بعد «حاكم الأقليم» والذى مارس وظيفة حاكم المقاطعة للتأكد من متابعة مشروعات الزراعة وتوريد الضرائب للعاصمة ومتابعة الاحصاءات التى كانت تجريها الدولة كل سنتين، والإشراف على القضاء ومتابعة سير العدالة، وملاحظة ارتفاع وانخفاض الفيضان ، واحتمالية وجود وزارة للماء (برمو) والاشراف على الطرق المؤدية للإقليم [1] .

---

(١) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، حـ١ ، الاسكندرية، ١٩٦٠ ، ص ١١٤ .
وكذا :
Vercoutter , J., Op. Cit., P. 269 - 270 .

وقبل ان ننتهى من الحديث عن عصر بداية الاسرات فلقد كانت العلاقات بين مصر وجيرانها علاقات تبادل اقتصادى فى المقام الأول، حيث تبادلت مصر المنتجات مع جيرانها وخاصة فلسطين وسورية منذ عصور ما قبل التاريخ حيث عثر على منتجات مصرية فى تلك البلاد ، ومع بداية عصر الأسرات ازداد التبادل التجارى حيث استوردت مصر من هناك الأخشاب اللازمة لصناعة السفن واساسات المعابد والقصور ، كما استوردوا الزيوت والخمور من سورية وفلسطين، ايضا دلت الأدلة الأثرية على وجود الفخار المصرى فى تل الشيخ جنوب فلسطين وبيبلوس على الساحل السورى .

كذلك اهتم ملوك مصر فى تلك الفترة بتأمين حدود مصر فذكرت نصوصهم تاديبهم لبدو الصحراء الشرقية وبدو شبه جزيرة سيناء، كما ترينا لوحة عاجية من أبيدوس الملك « وديمو » فى وقفته التقليدية كفرعون منتصر يضرب زعيما لهؤلاء البرابرة مع عبارة « أول مرة لضرب الشرق » وكانت الحرب ضد سكان الصحراء الشرقية ضرورية لتامين الطرق التجارية فى وادى المغارة لاستيراد النحاس والدهنج من مناجم سيناء وهى مواد بالغة الأهمية .

ايضا فى نفس المنطقة فى وادى المغارة عثرنا على نقوش للملك « سمرخت » تصوره وهى يؤدب البدو فى تلك الانحاء لتامين طرق القوافل التجارية .

كذلك أهتم ملوك عصر بداية الأسرات بتأمين الحدود الجنوبية، واعتبر المصريون منطقة النوبة السفلى القريبة من أسوان جزءا متمما لحدودهم الجنوبية، ورغبة فى تأمين الحياة عندها والحد من شغب قبائلها غير المستقرة ربما بسبب طبيعة البلاد الجغرافية التى أصيبت بالجفاف والفقر مما دعاها إلى تكرار مهاجمة القوافل والبعثات المصرية ومناطق الاستقرار القريبة منها فى مصر

العليا [1]، ولقد استمر ملوك مصر منذ عصر بداية الأسرات فى اتباع تلك السياسة وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية حيث عثر فى أبيدوس على بطاقة أبنوسية للملك «عحا» سجل فيها انتصاره على النوبين، وتابع خليفته الملك «چر» تلك السياسة حيث عثر فى جبل الشيخ فى الجانب الغربى من النيل بالقرب من «بوهن» على لوحة صخرية تحمل اسم الملك وفيها يظهر اسيرا جالسا امام سفينة من طراز عصر الأسرات فى مصر ويداه مقيدتان خلف ظهره ويلتف حبل حول عنقه وأسفل السفينة تجد أجساداً غرقى للعدو المهزوم ووجه نوبى موجه إليه سهم ودائرتين على شكل المدن على اخداهما صقر وعلى الأخرى المشيمة الملكية يرمزان إلى مدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الملك «چر» [2] .

أما من ناحية الغرب التى سكنها الليبيين أو «التحنو» فلقد سكنوا الجزء الملاصق للدلتا من الناحية الغربية، ومن ناحية الأصل ربما ينتمون إلى نفس جنس المصريين وإن كانوا يعتبرون أجانب عنها، وتتفق ملامحهم مع ملامح المصريين، بشرتهم حمراء داكنة ، كذلك التشابه فى الزى فى العصر المبكر، وتميز الليبى بخصلة الشعر التى تتدلى من أحد جانبى رأسه ويغمد عورته فى جراب وذيل الحيوان معلق من خلف أو أمام النقبه، كما اتخذوا بعض الأسماء المصرية ، كما اطلق عليهم «حاتيوعا» وهى كلمة مصرية تعنى أمير ، وعلاقتهم بمصر علاقة قديمة، ويفترض «أدوارد» أن التقسيم بين الشعبين المصرى والليبى قد حدث نتيجة عدم أخضاع «الحاتى عا» بواسطة ملوك مصر العليا عند توحيد مصر فى بداية العصر التاريخى ، وهو افتراض لا تدعمه الأدلة

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

(٢) Petrie, F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties , Vol. II, London , 1913 , Pl. XI; Arkell, A. J., Varia Sudanica , JEA, Vol. 36 , 1950, PP. 27 - 30 .

الأثرية ، وقد تراوحت العلاقة القديمة بين الجانبين بين السلم والحرب حينما كانت تدفعهم ظروف الجفاف أو اضطراب الأحوال السياسية فى مصر إلى الطمع فى خيراتها فتقوم مصر برد غاراتهم وتأديبهم ، وهو ما عبرت عنه الآثار المنتمية إلى عصر ما قبيل الأسرات وبداية العصر التاريخى حيث تشير صلاية « الحصون والغنائم » لملك يعتقد أنه العقرب الذى صور رمزه ضمن الرموز المقدسة وفيها غنائم الحرب التى حصل عليها وضمنها صفوف للماشية تحتها أشجار زيتية صمغية كتب تحتها عبارة « تحنو » إشارة إلى هذه الأنحاء الليبية ، كذلك عثر على نقوش لكل من « عحا » و « جر » من ملوك الأسرة الأولى ، والملك « خع سخم » (الأسرة الثانية) تسجل انتصارات مصرية على الحدود المصرية الليبية لتأمين الحدود من ناحية الغرب[1] .

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

وكذا :

Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt , CAH, Vol.1 , P. 2 A . , P. 47 .

Vercoutter, J., Op. Cit., 268 .

الفصل الرابع
عصر الدولة القديمة

الفصل الرابع
عصر الدولة القديمة

يطلق المؤرخون على هذا العصر الذى يبدأ ببداية الأسرة الثالثه وينتهى بالأسرة السادسة ، عدة مسميات منها «عصر بناة الاهرام» دلالة على عادة ملوكها فى تشييد أهرامهم الضخمة بالقرب من قصورهم فى ميدوم ودهشور وسقارة والجيزة وأبى رواش ، كما تعرف «بالعصور المنفية» دلالة على استقرار ملوكها فى العاصمة منف فترة استمرت حوالى أربعة قرون من ٢٧٠٠ حتى ٢٣٠٠ ق.م.

الأسرة الثالثة :

تاريخ الأسرة الثالثة مبهم سواء فى عدد ملوكها وترتيب توليهم الحكم ، وهناك خلاف فى أسماء ملوك هذه الأسرة بين القوائم المختلفة ، ولماذا بدأ «مانيتون» الأسرة بعد وفاة «خع سخموى» آخر ملوك الأسرة الثانية، وذكر أنها تضمنت تسعة ملوك حكموا فترة ٢١٤ عام، بينما تقدم بردية تورين خمسين سنة كمدة حكم للأسرة ، الشئ الوحيد الواضح بين القوائم وجود اسم «نثرخت» (زوسر)، واتفاق المادة الأثرية أن الملك «حونى» هو آخر ملوك الأسرة الثالثة .

كذلك اختلف عدد من المؤرخين فى مؤسس هذه الأسرة، وتتابع الملوك فيها، ومما زاد فى غموض ملوك الأسرة الثالثة خلو بعض القوائم الملكية من أسماء سخم خت، خع با، سانخت ، الذى جاء ذكرهم على الآثار ، وربما السبب فى ذلك شيوع استعمال الاسماء الحورية وليست اسماء الملوك الأخرى التى ستكتب داخل ما يسمى «الخرطوش» وذلك شبيه باسم الملك «زوسر» الذى كان يسمى باسمه الحورى «نثرإير رخت» (نثر خت» ، وإن اسم زوسر أو جسر سجل على قطعة من العاج وكان لقب « نبتى » ، كما وجد ما يؤكد أن

نثر خت هو جسر (زوسر) على نص من العهود البطلمى كتب فى جزيرة سهيل عند الجندل الأول كما سيأتى فيما بعد .

ويرى عدد من العلماء ان ترتيب ملوك الأسرة الثالثة كان على النحو التالى :

١- الملك الحورى سانخت = ربما هو «نب كا» كما جاء فى بردية ويستكار .
٢- الملك الحورى نثر خت = چسر (زوسر) بانى الهرم المدرج
٣- الملك الحورى سخم خت = چسر تتى ؟ بانى الهرم غير المكتمل فى سقارة
٤- الملك الحورى كابا (خع با) = بانى الهرم غير المكتمل بزاوية العريان .
٥- ملك غير معروف ربما «نب كارع» فى قائمة سقارة
(تبعا لرأى تشرنى Černy) .
٦- الملك حونى صاحب هرم ميدوم [١].

وهذا الترتيب يتفق مع ترتيب «لوير Lauer» لملوك الأسرة الثالثة فيما عدا أنه يضع فى الترتيب الخامس ملك أو ملكة غير معروف اقام هرما مدرجا بناحية سيلة بالفيوم .

وقد ذكر «لوير» أخيرا أنه من الأفضل ترك أمر هرم الفيوم وأيضا مجموعة الاهرامات الصغيرة الموجودة بناحية زاوية الميتين بالمنيا ونقادة والكولة بمحافظة قنا، كما قدر «فانديير Vandier» وضع ملك بين (خع با، حونى) ، وهو الذى قرأ اسمه «ماسبيرو» (نفركا) ، وهو الذى يطابق «نفر كارع» صاحب القبر الذى لم يتم فى زاوية العريان ، الذى جاء قبل الملك «حونى» كما جاء فى قائمة ابيدوس[٢]، والمعروف أن قائمة سقارة تذكر «نب كارع» ثم «حونى فسنفرو على التوالى .

---

(١) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 284 .

(٢) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٣ .

١ – الملك زوسر (نثر رخت)

يرى فيه الكثير من المؤرخين مؤسسا للأسرة الثالثة وأعظم ملوكها لما خلفه من أعمال، وللصلة التى تربطه بالملك « خع سخموى » آخر ملوك الأسرة الثانية والملكة « نى ماعت حاب » التى لقبت فى عهد زوجها « خع سخموى » بأنها أم ولد الملك »، ثم لقبت فى عهد « نثر خت » بلقب أم الملك .

وهناك اتجاه أخر يرى فى « سانخت » هو أول ملوك هذه الأسرة الثالثة ، كما يرى أصحاب هذا الرأى أن « سانخت هو الأسم الحقيقى للملك « نب كا » واحتمال أن يكون أخا أكبر للملك « نثر رخت » .

ويرى عدد من العلماء بناء على الأدلة الأثرية والنصية أن الملك « سانخت » هو أول ملوك الأسرة الثالثة على اعتبار أن الملك « خع سخموى » قد تزوج من ثلاث سيدات وأنجب من زوجته الرئيسية التى لم يعرف إسمها ابنته الأميرة « حتب حرنبتى » ومن زوجة ثانية التى لم يعرف إسمها أيضا ابنه « سانخت » ، ومن زوجة ثالثة « نى ماعت حاب » ابنه نثر رخت ، وعند وفاة آخر ملوك الأسرة الثانية تولى « سانخت » العرش بعد زواجه من الأميرة « حتب حرنبتى » الوارثة الشرعية للعرش، وبعد وفاته تولى « نثر رخت » العرش واعترف فى بداية عهده بمكانة زوج أخيه وابنتها ونقش اسمه مع إسميهما على العديد من النقوش التى عثر عليها فى بقايا معبده فى مدينة « أون » (١).

ومع اتفاقنا فى كون « سانخت » قد سبق « نثر رخت » (زوسر) فى تولى العرش، فلا زال الغموض عن السبب فى تغير الحكم من أسرة إلى أخرى، ولعل هذا مرجعه فى اعتقادى أن عهد « زوسر » يشتهر فى التاريخ بظاهرة أخرى لها أهميتها وهى التقدم المعمارى الهائل فى استخدام الأحجار وبداية ظهور الشكل الهرمى للمقبرة عما كان سائدا فى الأسرتين الأولى والثانية، مما يجعل من

---

(١) احمد امين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٥٠ .

حكمه بحق فاتحة عهد جديد فى التاريخ الحضارى لمصر، وهو ما جعل بردية تورين تسجل اسم « زوسر » بالمداد الأحمر بين أسماء ملوكها، تأكيدا لتميزه وأهمية عهده ، وصور كاتب مصرى من القرن ١٢ ق.م. زوسر مع كل من مؤسس الأسرة الخامسة ومؤسس الأسرة السادسة باعتباره رأس أسرة حاكمة جديدة مثلهما، ثم سجل المؤرخ مانيتون رأيه فى الملك نفسه فاعتبره بداية لملوك منف (أى إنب حج القديمة)[١].

ومن أعظم الشواهد على حكم زوسر (نثر رخت) البناء الحجرى العظيم المعروف باسم « الهرم المدرج » فى سقارة ، الذى اختار له « ايمحتب » جزء مرتفع من سقارة يشرف منه على مدينة منف ، وبدأ فى البداية بمصطبة (ربما كانت مقبرة سانخت) ، ثم زاد ارتفاعها ببناء خمس مصاطب بعضها فوق بعض كل منها أصغر حجما من التى تحتها فنجم عن ذلك الهرم المدرج الذى يتكون من ست مصاطب يصل ارتفاعها الكلى إلى نحو ٢٠٠ قدم (حوالى ٦١ متراً) ويشرف على الوادى، ويطل هذا الهرم المدرج على مجموعة من المبانى والمنشآت يحيط بها سور يصل محيطه إلى أكثر من ميل واحد (١٦٠٩,٣٥ متراً) كما يصل ارتفاع السور إلى أكثر من ١٠ أمتار ، محلى بعدد أربعة عشرة بوابة ليس بينها سوى بوابة واحدة حقيقية (شكل ٩ ، ١٠) .

وتضم هذه المساحة الواسعة مجموعة من الساحات والصروح المبنية بنفس الطراز ، والتى أقيمت بمناسبة الاحتفالات والطقوس التى كان يؤديها الملك أثناء حياته مثل عيد « الحب سد » وأعياد توليه العرش[٢]، الناحية الشمالية للهرم يواجه معبد للطقوس الجنزية للملك وهى نسخة من ناحية

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) سيريل الدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة ، مختار السويفى ، مراجعة أحمد قدرى، القاهرة ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

الشكل للقصر الملكي في منف ، والهرم المدرج بوضعه الحالي تعرض لتغيرات عدة من ناحية التصميم .

كما تم العثور على تمثال بالحجم الطبيعي للملك من الحجر الجيري عثر عليه بداخل سرداب مجاور للهرم المدرج، والسرداب الخاص بتمثال الملك عبارة عن حجرة صغيرة ضيقة وضع بداخلها تمثال للملك المتوفى وباحد جوانبها فتحة يطل منها التمثال على القرابين التي كانت تقدم إليه بحجرة القرابين المجاورة للسرداب (١).

كما ارتبط زوسر وهرمه أيضا باسم « ايمحتب » الذى لم يكن ينتمى للملك بصلة قربى ، ومع ذلك وبفضل كفاءته وصفته النصوص بانه مستشار الملك وحامل ختمه ، والمعمارى (المهندس) حيث كانت المقابر الملكية حتى عهده عبارة عن قبور بسيطة من اللبن على شكل مصاطب كما نجح في التحول من البناء باللبن إلى البناء بالحجارة – والفلكى، والكاهن، والحكيم، والطبيب . . وظلت شهرته على مر العصور كأول من شيد مبنى من الحجر ظلت آثاره باقية حتى وقتنا الحالى، وفى عصر الدولة الوسطى ردد الناس أقواله كأروع نماذج للحكمة، وكان حاميا للكتاب حتى كان الكاتب لايبدأ عمله إلا بعد أن يقدم الكاتب له التسمية، وأما فى بلاد اليونان فقد قرنوه بـ« اسكليبيوس » إله الطب عندهم، وعبدوه وأطلقوا عليه اسم « ايموتس Imouthes » (٢).

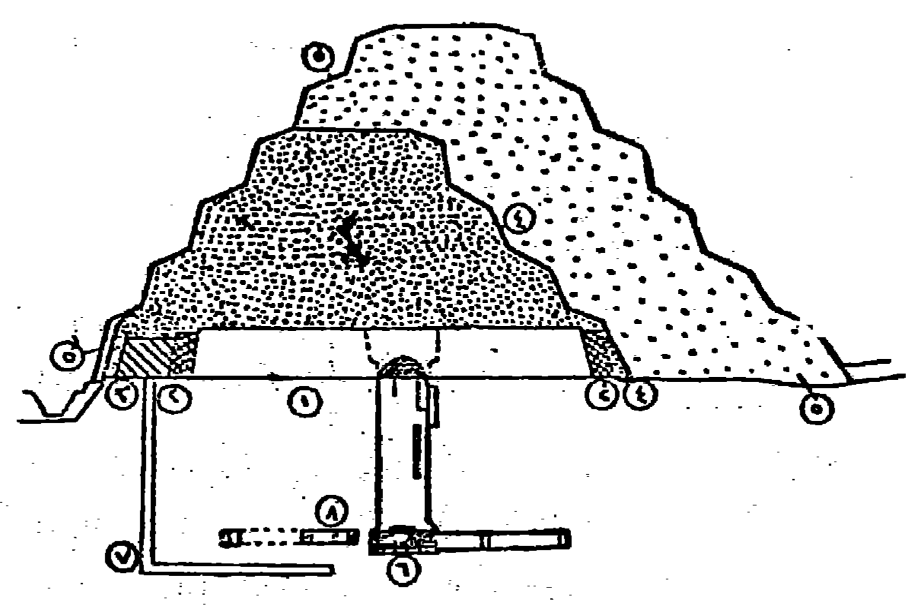
وإلى زوسر تشير النصوص أنه خلد ذكرى انتصاره على بدو سيناء حيث وجد اسمه فى وادى مغارة حيث ذهبت بعثاته إلى هناك وعادت محملة بالفيروز .

---

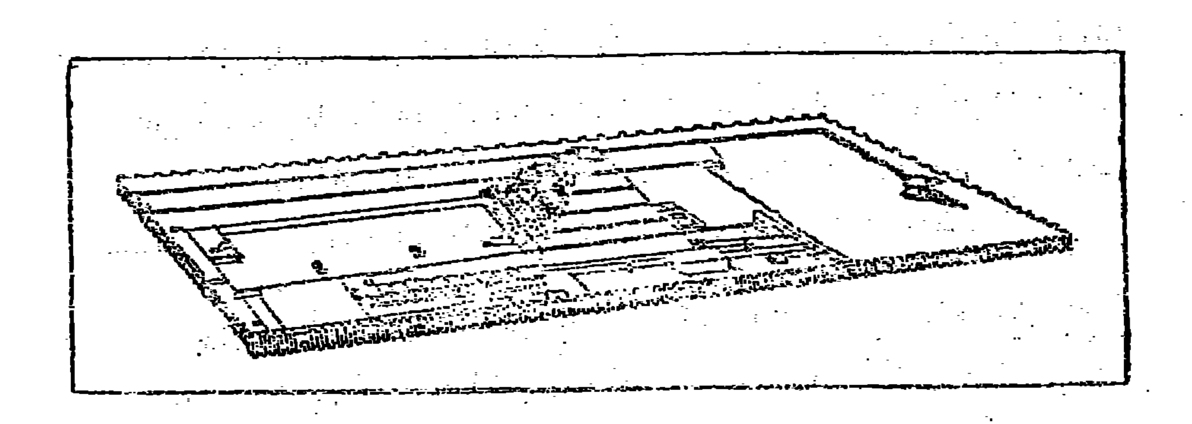
(١) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 284 .

وكذا : سيريل الدريد : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 283 .



: الهرم المدرج - قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية



شكل ١٠ : (السور الخارجي حول الهرم المدرج)

وقد امتد تقديس «زوسر» فى العصور المتأخرة دهوراً طويلة حيث عثر على اسمه منقوش فى جزيرة سهيل عند الجندل الأول على اللوحة المسماة «لوحة المجاعة» التى تحكى انه حدث فى عهد الملك «زوسر» مجاعة كبيرة فأرسل إلى حاكم إقليم الجنوب يستشيره فيما يجب عليه للخلاص من هذا الخطر وأى الآلهة أولى باستدراء العون ، فأجابه مستشاره بأن الاله «خنوم» (وكان الها محليا عند الجندل الأول أصل منابع النيل فى عقيدة الإنسان المصرى القديم، لذلك فلقد أتى الملك إلى الجنوب لمقابلة «خنوم» إله الفنتين الذى شرح للملك أنه قد إهمل فجاء بالمجاعة فاسترضاه الملك برقعة كبيرة من الأرض تبلغ طولها ما بين ٨٠ أو ٩٠ ميلا إلى جانبى النهر من سهيل إلى جزيرة تاكو مبسو (قصر ابريم) فى النوبة السفلى [(١)].

حكم زوسر حوالى ٢٩ عاما ، وبالنسبة لمن جاء بعده الملك «سخم حت» بانى الهرم غير المكتمل فى سقارة ، فلا زالت تنقصنا المعلومات عن السبب فى عدم استكمال البناء لهرمه وربما مرجعه نقص فى الامكانات التى توفرت للملك زوسر من قبله .

أما عن الملك خع با (كابا) ، وخليفته الملك «نب كارع» فلا زالت أيضا تنقصنا الأدلة ولا نعرف عنهم . وى أن الأول قد حاول تشييد هرم له فى منطقة زاوية العريان وقد حكم لبضعه شهور، أما الآخر فلا نعرف عنه سوى أنه كان الملك قبل الأخير فى الأسرة الثالثة .

الملك حونى : Huni

ومعنى اسمه «الضارب» وحكم نحو من أربعة وعشرين عاما، ونعرفه من خلال جعران من الجرانيت وجد له فى الفنتين ، ومن خلال هرم ميدوم الضخم (ميدوم ٨٠ كم جنوبى الجيزة) وقد بناه على شكل هرم مدرج بثمان مصاطب،

---

(١) Ibid ., P. 286 .

ثم ملأ الثمانى درجات لتكون جوانب الهرم الأربعة مستقيمة مائلة من القاع إلى القمة ، والهرم بهذه الصورة يمكن اعتباره مرحلة انتقال بين الهرم المدرج والهرم الكامل وقد مات الملك « حونى » قبل أن يستكمل البناء، فقام سنفرو واكمل الهرم الذى بداه سلفه. (شكل ١١)

الأسرة الرابعة :

الانتقال من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة غير واضح أسبابه، وأيضا التعاقب فى ملوك الأسرة الرابعة مبهم ، الشئ الوحيد المؤكد هو أول ملوك الأسرة سنفرو ، وشبسسكاف آخر الملوك فى الأسرة، وهناك صعوبة لتحديد الفترة الزمنية للفترة التى حكم فيها كل ملك مع الموافقة ان الأسرة كلها قد تولت العرش لفترة تقترب من قرنين من الزمان، وهناك اجماع ان خوفو خلف سنفرو، المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » ذكر الاسماء الاربعة لملوك الأسرة : سنفرو ، خوفو ، وخفرع ، ومنكاورع ، وملك أو اثنين بين خفرع ومنكاورع، وبينما تقدم لنا بردية « تورين » اثنين من الملوك بعد « منكاورع » ، نرى المؤرخ « مانيتون » يضع ٦٣ عاما لكل من خوفو ومنكاورع ، فى الوقت الذى تذكر لهما بردية « تورين » للأول ٢٣ عاما، وللثانى (منكاورع) ١٨ عاما .

ويمكن أن نرتب ملوك الأسرة الرابعة من خلال المصادر الأثرية كالتالى :

١- الملك سنفرو ، وتولى العرش لمدة أربعة وعشرين عاما تبعا لبردية تورين .

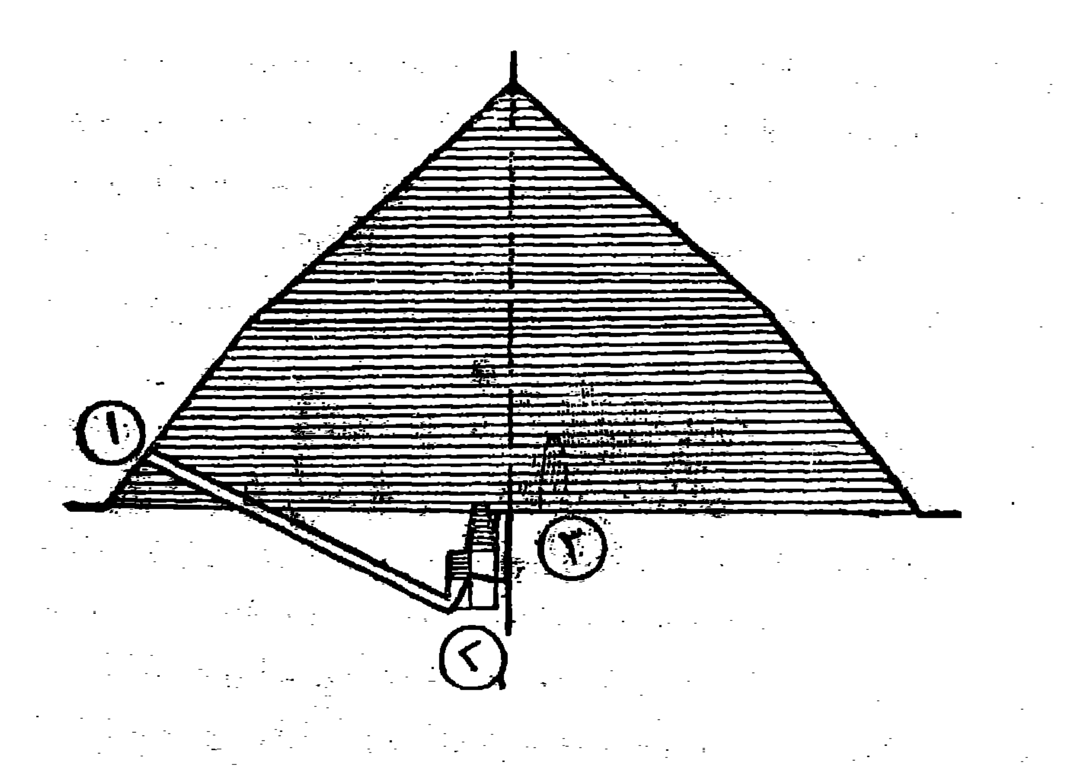
٢- الملك خوفو (كيوبس) وتولى العرش لمدة ثلاثة وعشرين عاما .

٣- الملك ددف رع (رع ددف) وتولى العرش لمدة حوالى ثمان سنوات .

٤- الملك خفرع (خفرن) غير معلوم فترة حكمه .

٥- الملك منكاورع وحكم لمدة ثمانية عشرة عاما .

٦- شبسسكاف وهو محذوف من بردية تورين .



شكل١١ :(الهرم المنحنى . قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية)

١ – سنفرو (نب ماعت)

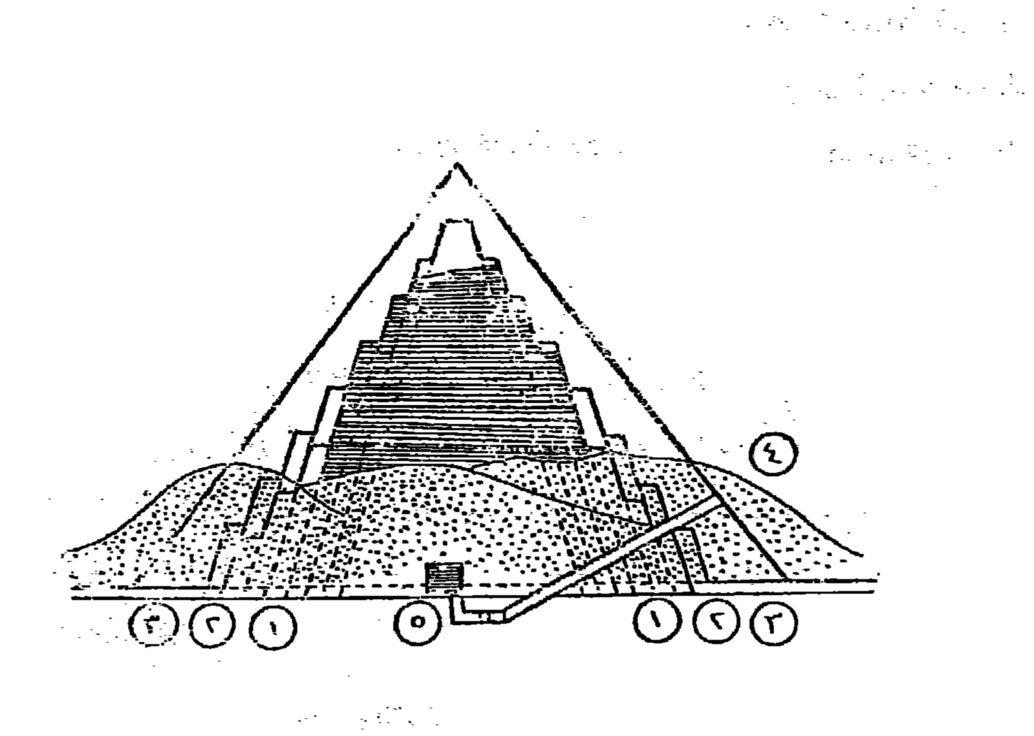
كما هو معتاد بالنسبة لأسرات « مانيتون » لا يوجد دليل عن سبب الانتقال من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة ، مما يرجح أن سنفرو كان ابن « لحوني » آخر ملوك الأسرة الثالثة ولكن كابن من زوجة ثانوية هي « مرسى عنخ » ، ويبدو أن « حو » قد دعم شرعيته في إعتلاء العرش بالزواج من اخته غير الشقيقة الوريثة « حتب حرس » وكانت تحمل لقب « ابنة الاله » ، واصبح ملكا عن طريقها بعد وفاة أبيها .

أكمل سنفرو هرم ابيه في ميدوم (بالقرب من مركز الوسطى محافظة بني سويف) ، ثم قام ببناء هرمين له في دهشور (حوالى ٤ أميال من سقارة ، أحدهما يسمى « بالهرم المنحنى » أو « الهرم المنبعج » وهو غريب في تصميمه ، ويعتقد « سير ويلكنسون Sir, G., Wilkinson » أن هذا الهرم قد انتهى منه على عجل وان الارتفاع قد خفض عن الارتفاع الذى كان مقدرا له ، وقد أيده في ذلك عدد من العلماء الذين لاحظوا ان الحجارة في الجزء الأعلى اقيمت بدقة أقل عن الجزء الموجود في القاعدة [١] ، وهو ما يراه أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح حيث بدأ هرمه بزاوية ميل مقدارها ٥٤٫١٤ درجة ولكن مهندسيه بعد أن وصلوا بهذا الميل إلى ما يزيد عن تسعة وأربعين متراً أدركوا انهم لو واصلوا البناء على اساسه سوف يرتفع الهرم إلى أكثر مما قدروه له أو أكثر مما تحتمل قاعدته ولاحظوا أن بعض الجدران الداخلية بدأت تتشقق بالفعل فغيروا زاوية الميل إلى ٤٣٫٢١ درجة وأكملوا هرمهم الذى بلغ ارتفاعه نحو ١٠١٫١٥ من الأمتار [٢] ، فظهر منكسر الأضلاع (شكل ١٢) ، ولذلك لجأ مهندسى « سنفرو » بتشييد هرم آخر له شمالى الهرم السابق بنحو كيلو مترين تقريبا ، استفادوا فيه من

---

(١) Edwards, I.E.S., The Pyramids of Egypt , London, 1954, P. 68 .

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .



شكل ١٢ : (هرم ميدوم قطاع فى اتجاه الناحية الغربية)

اخطائهم فى الهرم السابق من حيث زاوية الميل والارتفاع الذى بلغ حوالى ٩٩ متراً (حوالى ٣٠٥ قدم) فجاء فى الشكل كأول هرم حقيقى فى مصر والذى قلده الملوك الآخرين فى الأسرة ، وخاصة من ناحية الملحقات التى تكونت من معبد الوادى ، والطريق الصاعد ، المعبد الجنزى .

والمعروف ان الملك « سنفرو » لم يكن هو فقط الملك الوحيد الذى شهد أكثر من مقبرة لنفسه، فقد سبقه عدد من الملوك منهم « عحا » الأسرة الأولى شهد لنفسه مقبرة فى سقارة وأخرى فى ابيدوس ، وزوسر شهد هرمه المدرج ومصطبة اخرى فى سقارة ، واحتمال تشييده مقبرة أخرى فى « بيت خلاف » (جنوبى جرجا) .

مغزى الشكل الهرمى :

اختلفت آراء عدد من الباحثين عن مغزى الشكل الهرمى، فبينما يرجعه البعض إلى تطور معمارى بدأ بالمصطبة ، ثم المصطبة المركبة فى البناء المدرج كالذى يطلق عليه الهرم المدرج فى سقارة، ثم هرم « سنفرو » فى دهشور ، ثم هرم خوفو فى الجيزة، فهناك آراء أخرى تفسر المغزى للشكل الهرمى منها :

الشكل السياسى والاجتماعى حيث ان صاحب هذه المقبرة وهو الملك يأتى على قمة المجتمع المصرى القديم وهو النقطة المركزية التى يدور حولها المجتمع سواء فى الحياة الدنيا أو فى العالم الآخر .

وهناك من يفسره على أساس مادى بحت بأنه الكومة التى اعتاد اهل الأزمنة القديمة فى عصور ما قبل التاريخ اقامتها فوق قبور موتاهم واخذت نوعا من القدسية والاحترام على مر العصور حتى اهتدى الإنسان إلى الشكل الهرمى.

وهناك تفسير دينى — وهو ما نميل إليه — على اعتبار ان الشكل الهرمى يمكن تفسيره بفحص شكل المسلة وهى رمز مقدس لإله الشمس وخاصة القمة

الهرمية التى تعلوها وقد أطلق عليه المصريون لفظ « بنبن » الذى نترجمه هريم، وعلى هذا الأثر الشمسى ظهر إله الشمس فى البداية (تبعا للفكر الدينى) لذا كان الشكل الهرمى الذى اتخذه قبر الملك مغزى على أعظم جانب من القداسة، حيث يدفن الملك تحت رمز إله الشمس، وحماية هذا الرمز مرتبط بالحياة الدنيا والحياة فى العالم الآخر[1]، وهو ما يفسر ظهور هذا الشكل الهرمى مع بداية عصر الدولة القديمة وتنامى قوة كهنة الشمس فى الأسرة الرابعة وما تلاها من أسرات ، وحرص كل ملك فى تلك الفترة فى تشييد هذا الهرم، الذى كان يهيأ لاستقبال جسمانه ويضمن صيانته بعد الموت، وقد أصبح أهم هدف أمام الدولة وتنظيمها ان يتحقق بهذا بقاء الملك فى الآخرة، وفى حالة عجز بعض الملوك عن اتمام المجموعة الجنزية يقع عبء ذلك على من يخلفهم فى الحكم ، تمشيا مع هذا الفكر وتلك العقيدة .

وبفضل حجر پالرمو استطعنا ان نعرف بعض تفاصيل عن عهد سنفرو الذى امتد لمدة أربعة وعشرين عاما، والذى تميز بنشاط كبير سواء فى الداخل أو فى الخارج حيث قاد جيوشه إلى بلاد النوبة وعاد منتصراً ومعه غنائم كثيرة منها ٧٠٠٠ أسير، ٢٠٠ ألف رأس من الماشية.

كما نعلم أنه أرسل حملة إلى ليبيا عاد منها منتصراً ومعه ١١٠٠٠ أسير ، ١٣١٠٠ من الماشية الصغيرة والكبيرة، كما تسجل لنا نقوش وادى مغارة إلى قيامه بارسال عدة حملات إلى سيناء وانتصاره على بدو الصحراء ، كما يسجل له حجر پالرمو تشييد عدد كبير من المعابد والأبنية فى كل مكان من مصر، ومنها معبد الالهة « حتحور » فى سرابة الخادم فى شمال سيناء، الأمر الذى خلد اسمه فى هذه المنطقة على مر العصور.

---

(١) جيمس هـ. برستد ، تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ترجمة زكى سوس، القاهرة، ١٩٦١، ص ١١٤ – ١١٦ .

كما أرسل بعثات تجارية إلى الساحل السورى ومنها بعثة مكونة من أربعين سفينة عادت محملة بالأخشاب وخاصة خشب الأرز والصنوبر اللازمة لصنع السفن وأبواب القصور[١]، وقد اهتم بصناعة السفن حيث تشير المصادر إلى تعليماته بانشاء ٦٠ سفينة تنفيذا لتعليماته[٢] .

وقد حفظت نصوص عهد سنفرو والفترات اللاحقة ذكرى طيبة عن سنفرو وعهده وهى تشير لمليكها بحبه لرعيته وتواضعه عند مخاطبة أهل العلم والعلماء حيث كان يخاطبهم بتعبير « اخى » كما ذكرته النصوص بعد وفاته بالملك الخير ، واطلقوا اسمه على اسماء أولادهم، كما اعتبروه إلاله الحامى لسيناء ، وظلت بعض الحصون تعرف باسمه حتى عصر الدولة الوسطى .

خوفو :

ابن سنفرو والملكة « حتب حرس » خلف والده بدون أى مشاكل كما يشير بذلك حجر پالرمو ، لا نعرف كثيرا عن أحداث عهده، وطول مدة حكمه غير مؤكده فهى ثلاثة وعشرون عاما تبعا لبردية تورين، وهو ما نميل إليه ، وثلاثة وستون عاما تبعا لمانيتون .

وهرمه أحد عجائب الدنيا السبعة يشغل مساحة نحو ١٣ فدانا وكان يصل إلى ارتفاع ١٤٦ متر تقريبا، وقد فقد منه جزؤه العلوى فاصبح حاليا حوالى ١٣٧ متر تقريبا، ويتضمن حوالى ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ مليون حجر تتراوح زنته ما بين ٢ ، ٣ طن ويصل بعضها إلى ١٥ طن فى الوزن، هذه الحجارة تكفى لعمل سور حول فرنسا ارتفاعه ١٠ اقدام وبعرض ١ قدم ، تواجه جوانب الهرم الأربعة الجهات الأصلية، وقد بنى جزؤه الداخلى من الحجر الموجود فى منطقة الجيزة ، بينما الجزء الخارجى فقد تمت كسوته بطبقة ناعمة من الحجر الجيرى من

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 287 - 288 .

(٢) Urk , I., 236 .

محاجر طره، ويقع مدخله الوحيد على الجانب الشمالى على ارتفاع حوالى ١٦ متر فوق مستوى سطح الأرض ، أما المدخل الحالى والذى يعرف بمدخل الخليفة المأمون (على بعد ٣٦ مترا ويتصل بالمدخل الأصلى) .

يتضح من الشكل الهرمى فى شكله النهائى (شكل ١٣) تغيير تصميم البناء أكثر من مرة حيث كانت حجرة الدفن فى البداية على عمق كبير تحت الأرض ثم عدل عن ذلك وبنيت حجرة أخرى تسمى حاليا (حجرة الملكة) يوصل إليها ممر مائل إلى أعلى داخل جسم الهرم، وبعد ذلك مد الممر بشكل دهليز كبير يوصل إلى حجرة الدفن المبنية من الجرانيت وبها تابوت الملك بغير غطاء وخال من أى نقش وبالحائطين الشمالى والجنوبى فتحتان هما فوهتا ثقبين يخترقان البناء إلى السطح الخارجي ويتكون سقف الحجرة المسطح من تسع كتل من الجرانيت تزن حوالى ٤٠٠ طن، فوقها خمس مقصورات منفصلات لأربع منها سقف مسطح ، أما سقف العليا فمائل مدبب ليقلل من خطر التداعى تحت ثقل البناء الذى عليه، وإلى الشرق من الهرم معبد جنائزى متصل بممر طويل بمعبد آخر على حدود الصحراء ، وبنيت ثلاثة أهرامات صغيرة للملكات على الجانب الجنوبى لهذا الممر الأخير عند اتصاله بالمعبد الجنازى[١] .

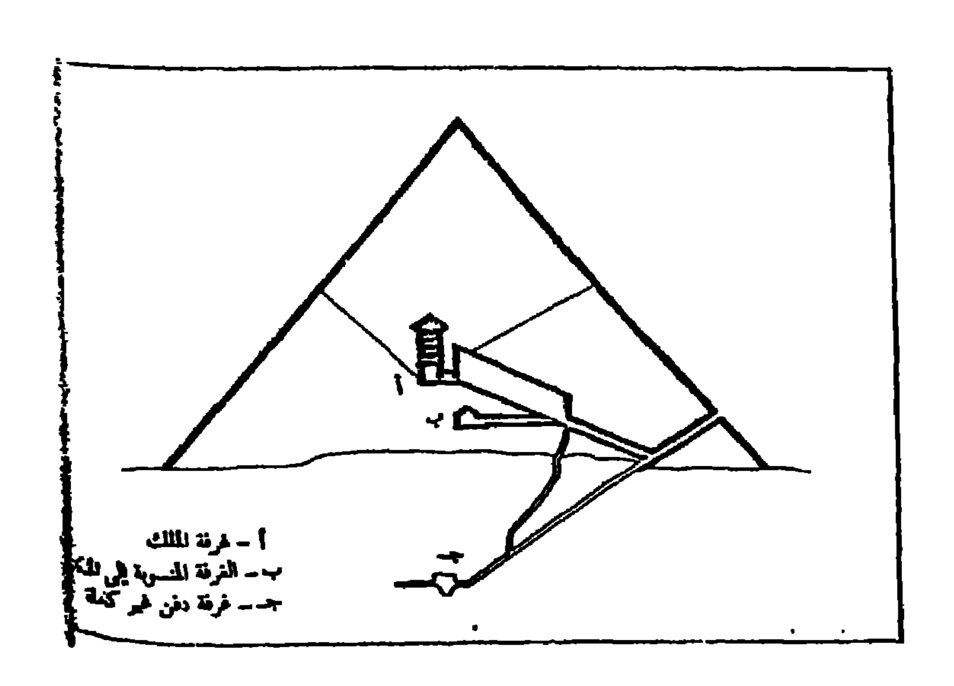
يشير تشييد الهرم الأكبر للملك « خوفو » على معجزة معمارية ليس فقط من ناحية الحجم، وإنما أيضا على دقة البناء وتقدمهم فى معرفة علوم الحساب والهندسة والفلك والإدارة، وكما يرى العلماء فخوفو لم يكتفى بهذا المبنى فقط طوال فترة حكمه وإنما بجانب ذلك بنى معابدفى كل أجزاء مصر مما يشير إلى نظام إدارى على درجة كبيرة ورخاء اقتصادى كبير لمصر فى تلك الفترة.

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 287 - 289 .

وكذا :

سيرج سونيرون وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص ٤٣ .



شكل ١٣ : رسم توضيحي لهرم «خوفو»

وعن طريقة بناء الهرم والتى تعد من الأشياء التى لم يذكرها لنا المصريين القدماء فهيرودوت يذكر أنهم قد استخدموا آلات مكونة من عروق قصيرة من الخشب من درجة إلى أخرى بواسطة هذه الآلات ، وطبيعى ان هذا غير معقول لانه يتطلب كميات كبيرة من الخشب الذى لا يتوفر بمصر بكثرة، والأقرب هو ما ذكره « ديودور الصقلي » الذى ذكر ان طريقة بناء الهرم هى طريقة الجسور الصاعدة ، وهى نفسها الطريقة التى قال بها العالم الأمريكى « دوس دنهام Dunham, d. » بعد ان أجرى العديد من الدراسات ويفترض دنهام أنهم قاموا ببناء اربعة طرق صاعدة بميل إلى اعلى وبزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم ، ثلاثة من تلك الطرق الصاعدة تستخدم فى عمليات جر وسحب الأحجار إلى أعلى ، أما الطريق الرابع فقد كان مخصصا لنزول العمال والزلاجات الفارغة، والأمر ما زال فى حاجة إلى المزيد من البحث [1].

٢- چدف رع (رع ددف)

نعرف قليلا عن عهده، اختار منطقة أبو رواش (شمال الجيزة) مكان لهرمه، مكانه فى الأسرة بعد خوفو وقبل خفرع، اسمه منقوش على القوائم الحجرية التى غطيت بها حفرة دفن مركب خوفو والتى عثر عليها عام ١٩٥٤ والمصنوع من خشب الأرز ، هرم چدف رع لم يستكمل ، مما يؤكد أن مدة حكمه لم تكن طويلة، وهذا يؤكد فترة الثمانى سنوات له فى بردية تورين [2].

٣- خفرع :

الاسم المصرى « رع خع اف » « خعفرع » والاسم الحورى « أوسر إيب »

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

وكذا :

سيريل الدريد : نفس المرجع السابق ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 284 .

والاسم اليوناني « خفرن Chephren » ، وذكره مانيتون باسم « سوفيس » ، طال عهده إلى خمسة وعشرين عاما وهى فترة كافية لبناء هرمه بجانبهرم خوفو (خنوم خوفوى في الجيزة .

اما عن هرمه فهو أصغر من هرم أبيه، ولكنه بنى على مكان أكثر ارتفاعا ولذلك يبدو للعين المجردة أكبر وأضخم من الهرم الأكبر، إذ أن ارتفاعه ١٤٣٫٥ متراً، وطول كل ضلع من أضلاع القاعدة المربعة ٢١٥٫٥ مترا، أما زاوية ميله فهى ٥٣٫١٠ ، وقد ظل مدخله غير معروف حتى أهتدى إليه الإيطالى « بلزونى » عام ١٨١٨ ، ولهذا الهرم مدخلان ، وكلاهما فى الناحية الشمالية أحدهما يرتفع ١١ مترا عن سطح الأرض ، أما المدخل الثانى فقد نحت فى الصخر فى مستوى سطح الأرض يبعد قليلا عن قاعدة الهرم [١]، مكسو من الخارج بغطاء من الحجرى الجيرى الناعم ، ولازال الجزء العلوى من الكساء باقياضى وقتنا الحالى .

معبد الوادى الخاص بالملك خفرع مبنى بالحجارة الجرانيتية ، ويتمثل فيه روعة التصميم، وعثر بمعبد الوادى على ٢٣ تمثالا للملك، وخاصة تمثال خفرع الشهير من الديورايت أحد كنوز متحف القاهرة ، ويمثل الملك جالسا وخلف رأسه الصقر ناشراً الحماية عليه بثقة (شكل ١٤) .

وقد ترك « خفرع » أولاداً كثيرين قبورهم منحوته فى الصخر إلى جنوب وإلى شرق الهرم أو إلى جانب الطريق بين المعبدين المعبد الجنزى والمعبد الموجود بالوادى[٢].

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

(٢) على الجانب الشرقى الجنوبى « لأبو الهول » يقف معبد الوادى على شكل حرف T ، اكتشفه « مارييت » سنة ١٨٥٣ واتم الحفر سنة ١٨٦٩ ، وفيه تتم طقوس التطهير ، التحنيط ، فتح الفم خلال عدة أسابيع ، انظر :

Edwards , I.E.S., Op. Cit., P. 109 .

أبو الهول :

فى الطريق بين المعبد الجنزى ومعبد الوادى وجدت صخرة – على الأرجح كانت تعترض الطريق – قام مهندسو خفرع بتشكيلها بشكل جسم أسد ورأس إنسان يعتقد أنه للملك خفرع، والمعروف منذ عصور بعيدة فى العقيدة المصرية القديمة مثل الأسد باعتباره حارسا للاماكن المقدسة، وفى العقيدة الشمسية اعتبر الأسد حارس لأبواب العالم السفلى فى الأفق الشرقى والغربى، وربما يعتقد هنا تبعا لذلك المذهب الشمسي أن الملك بعد موته سيصبح إله للشمس، وتمثيل خفرع يعنى توفير الحماية لجبانة الجيزة، والتمثال طوله ٤٦ مترا وارتفاعه ٢١ مترا ، وهو مشهور مثله مثل الهرم الأكبر، وقد بلغ تقديس هذا الاثر حد العبادة ، سواء في عصر الدولة الحديثة وصفوه بأنه « حور أم خت » اى (حور فى الأفق)، وجاء فى أحد النصوص أن التمثال يمثل « أتوم إله الشمس »[١] .

واطلق عليه عدد من الأجانب الذين عاشوا حوله اسم الههم « حورون » « برحول » اى بيت حول التى حرفت فيما بعد إلى « ابو الهول » [٢] .

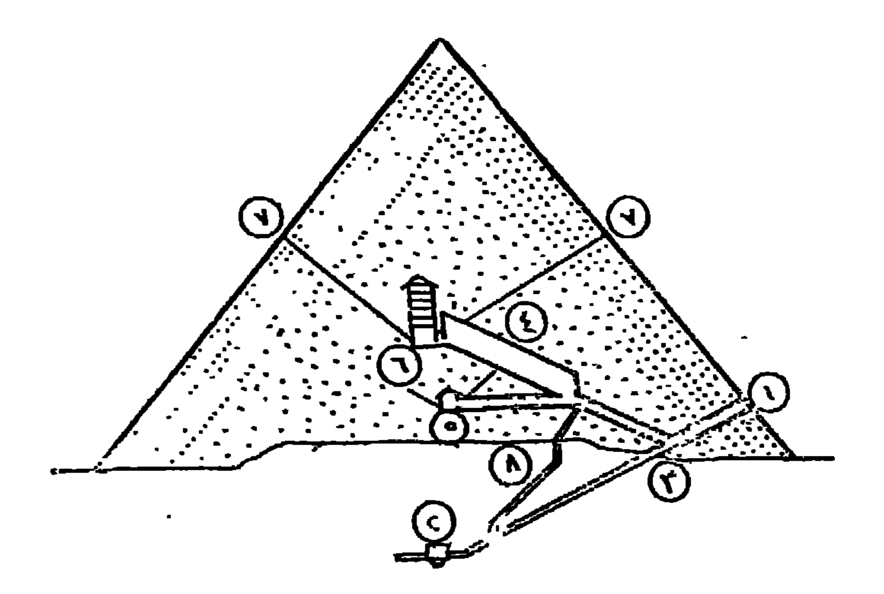
بعد اسم « خفرع » هناك فراغ فى « بردية تورين » يسمح بوضع اسم على الأقل بين اسمه واسم « منكاورع » بانى الهرم الثالث فى الجيزة ، وفى عام ١٩٤٩ عثر « دى بونو Debono » على نص سجله كاتب من الدولة الوسطى فى وادى الحمامات منقوش على صخرة هناك ويحتوى على أسماء خوفو وجدف رع وخفرع وحور ددف وباو فرع » ، ويلاحظ أن النقش قد اغفل اسم « منكاورع » .

---

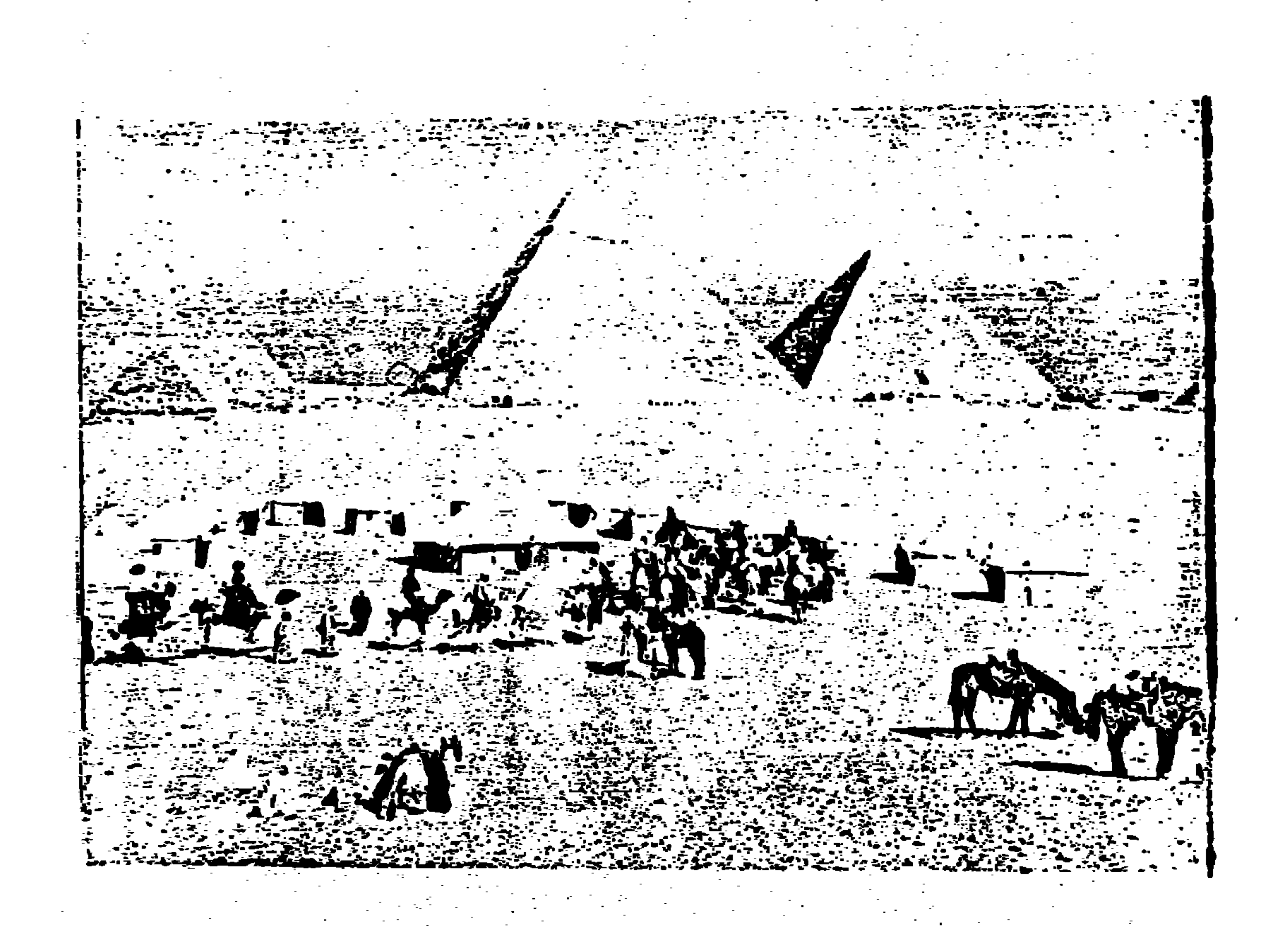
(١) Ibid., P. 107 .

(٢) نجيب ميخائيل : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٣) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 291 .



(شكل ١٤ أ) :الهرم الأكبر . قطاع فى اتجاه الناحية الغربية



(شكل ١٤ ب) : أهرامات الجيزة



(شكل ١٤): الملك خفرع الأسرة الرابعة

منكاورع : (كاخت) :

هو ابن « خفرع » تزوج من أخته « خع مررنبتى » الثانية تبعا للعادة وتقاليد وراثة العرش فى مصر القديمة، مات ابنه « خو ان رع » قبل انتهاء حكم والده .

اقام منكاورع هرمه بجانب اهرامات خوفو وخفرع ، وكما كان هرم أبيه أصغر من هرم جده، كان هرمه أصغر من هرم أبيه وهو أصغر الثلاثة ، ولكنه تميز بغطاؤه من الحجر الجرانيتى الأحمر الذى لم يكتمل ، ارتفاع هرمه حوالى ٦٦,٥ مترا (اقل من نصف مساحة الهرم الأكبر).

وهذا يوضح إلى اى مدى وصلت قلة الإمكانيات فى نهاية الأسرة الرابعة عن إمكانيات أوائل ملوك الأسرة الرابعة ، وبالرغم مما شيده سنفرو وخوفو وخفرع من أهرامات تمثلت فيها الروعة والفخامة ولكن من المؤكد أنها كانت عبئا فادحا على اقتصاد مصر ، ولم يحاول أحد من الملوك تقليدهم ، لم يعش منكاورع حتى يكمل بناء هرمه فأتمه خلفه شبسكاف من مادة أرخص هى اللبن بعد أن كان قد كسا منه ١٦ طابقا بالجرانيت ، وقد اتم شبسكاف كذلك معبد الوادى الملحق بالهرم.

كما عثر بمعبده الجنزى على عدد من التماثيل الشيست تمثل الملك وحده أو مع الملكة أو مع أحد إلهة الإقاليم [١].

شبسسكاف (شبسس خت) :

اختلف العلماء بشأن سلسلة نسبه، وهل هو ابن لمنكاورع من زوجه الرئيسية ، أو من زوجة ثانوية ، ومما ساعد على قيام هذه المشكلة أن قائمة سقارة ذكرت أربعة من الملوك بعد منكاورع ولم تذكر شبسسكاف بينهم، وأن بردية تورين لم تذكره.

---

(١) Ibid., P. 291 .

على أى حال ليكتسب شبسسكاف شرعية الحكم تزوج من الوريثة، لم يستطع تكملة آثار والده الجنائزية من الحجر واستكملها من اللبن، كما لم يشيد هرما لنفسه، ربما بسبب نقص الإمكانات، ولهذا السبب جاءت مقبرته جنوب سقارة على شكل تابوت اطلق عليها مصطبة فرعون ، انتهج شبسسكاف سياسة « منكاورع» فى التقرب من رعاياه حيث زوج الأخيرة ابنته من « شبسپتاح» الذى رباه فى قصره، لم يزد حكم شبسسكاف عن سبع سنين[1]، وانتقل العرش بعده إلى خنت كاوس .

خنت كاوس ونهاية الأسرة الرابعة :

يؤكد الأستاذ « سليم حسن» أن « خنت كاواس» هى ابنة منكاورع وزوجة شبسسكاف ولم مات الأخير ولم يترك خلفا من الذكور فقامت تطالب بالعرش من بعده، ويظهر انه كان هناك منافسون تغلبت عليهم ، كما يظهر انها تزوجت من احد عظماء القوم الذين ليسوا من دم ملكى خالص وانجبت « أوسر كاف» الذى كان حلقة الاتصال بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، ويعتقد « يونكر» أنها تولت مقاليد الحكم وابنها لا يزال صبيا فتولت الوصاية عليه .

وقد كشف عن مقبرتها عام ١٩٣١ وهى من طراز قريب الشبه من طراز « مصطبة فرعون» بالقرب من مقبرة أبيها منكاورع[2]، وهناك من يرى انها كانت قد حملت لقب « أم ملك الصعيد والدلتا» بجانب القابها الأخرى كملكة للوجهين[3]. وهناك وجه آخر للنظر يرى فيها زوجة لأوسركاف واما لابنته « ساحورع» و « نفر اركارع» .

---

(١) Ibid., P. 291.

(٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٨ .
وكذا :

Junker, H., Die Grabungen Der Universitat Kairo Auf Pyramiden Feld Von Giza , MDAIK, III, 1932 , PP. 129 - 130 .

ومن العسير أمام الغموض الذى يحيط بنهاية الأسرة الرابعة أن نقدم صورة واضحة عن تلك الفترة التى وضح الأضطراب فيها، ولذلك وضع مانيتون أربعة من الملوك بعد « منكاورع » ، الثالث احتمال كونه « شبسسكاف » ثم تبعه "Thampthis" الذى لا تشير إليه الآثار، مع العلم بأن الملكة « بونفر » زوجة « شبسسكاف » ابنها لم يحمل حتى لقب أمير .

كلمة موجزة عن الأسرة الرابعة :

تشير آثار الأسرة الرابعة ووثائقها المكتوبة على تزايد القوة المركزية للدولة أثناء حكم هذه الأسرة ، حيث أصبح الملك هو النقطة التى تدور حولها كل أمور المجتمع المصرى القديم، وقد دلت النصوص الوثائقية والأثرية أن مصر فى هذه الفترة قد وصلت إلى مستوى عال من التنظيم المركزى فى أوائل عهد الأسرة الرابعة خضعت فيها كل شؤون الحياة والإدارة لسيطرة الفرعون المطلقة ، وظهر الدليل على ذلك فى فترة حكم سنفرو وهرمه الذى شيده فى دهشور ، ولكن محصلة قوة الفرعون وتقدم الفنون فى عصر هذه الأسرة يظهر بوضوح فى هرم خوفو – ثانى ملوك هذه الأسرة – وهذا البناء وهو قمة التقدم فى بناء الأهرام يسيطر على هضبة صحراء الجيزة شمال منف تقريبا على الناحية الغربية للنيل، وعظمة بناء هذا الهرم وموقعه قد خلدته باعتباره واحدا من أروع ما شيده الإنسان من مبان، ومن دلائل عظمة هذا البناء أن الكثير ممن شاهدوه لم يفطنوا إلى أن مساحة هذا الهرم الأرضية لا تزيد إلا قليلا عن هرم والده الملك سنفرو بدهشور .

وقد أحيط هرم خوفو بمقابر مصطبية لأفراد الأسرة المالكة ولكبار النبلاء فى القصر الملكى ولحكام الأقاليم .

ويستخلص من النقوش التى على جدران المقابر أن الملك كان مركز

الحياة باسرها فهو الاله الطيب ، وهو المستحق لكل آيات التبجيل والتوفير ، وتدل الألقاب التى حملها بعض هؤلاء النبلاء على طبيعة هذا التنظيم الدقيق للإدارة

فعلى سبيل المثال يوجد اثر لأحد أبناء سنفرو ويسمى « خع نفر » يتمثل فى باب وهمى (معروض بالمتحف البريطانى نموذج ١٣٢٤) مسجلة عليه القابه التى بلغت ٤٧ لقبا تشمل كل الأنشطة الإدارية والكهنوتية والمدنية والعسكرية ثم الالقاب الشخصية، وما نود الإشارة هو أن كثرة الوظائف الإدارية وتعدد مجالاتها تعتبر دليلا كافيا على ان الإدارة فى عهد هذه الأسرة قد بلغت مستوى عاليا من التنظيم بحيث تحددت اختصاصات الوظائف بشكل ملحوظ.

كذلك يظهر دقة الإدارة فى حسن تنظيم العمال وتوفير العمالة أثناء موسم الفيضان دون ان تتأثر الزراعة بذلك كذلك ميزة الفيضان بالنسبة لبناء الهرم فهو يسهل نقل الحجارة من شرق النيل إلى الهضبة التى شيد الهرم عليها، مما يشير إلى كفاءة التنظيم الإدارى لاكمال مثل هذا الصرح – الخالد[١].

الأسرة الخامسة :

انتقال الحكم من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الخامسة وراءه كهنة الشمس ولبيان ذلك تحدثنا بردية ويستكار Papyrus Westcar خاطب خوفو يوما أبناؤه عن أعمال السحرة الماهرين وطلب من نجله « حور ددف » أن يحضر له ساخراً ماهراً من بلدة « دد سنفرو » يدعى « ددى » وحينما حضر الساحر ووقف بحضرة الفرعون قام بأعمال سحرية اخذت بعقول الحاضرين،وعندما أوشك على

---

(١) ج. هـ. جيمس : كنوز لفراعنة ترجمة احمد زهير امين ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٣٨ – ٣٩ .

الأنتهاء أظهر خوفه للفرعون عن عدم رغبته فى إفشاء سر كبير غير أنه أضطر أمام رغبة الملك أن يفصح عنه ويخبره بتلك الولادة الالهية الأولى من نوعها فى التاريخ المصرى وذلك أن زوجة أحد كهنة رع «اوسر رع» وزوجة (رددت) ستحمل منه وستلد بمساعدة الالهة ثلاثة أطفال سيحكمون مصر الواحد تلو الآخر ، مما أغضب خوفو ولكن الساحر طمأنه بأن العرش سوف ينتقل إلى ابنه وحفيده ثم ينتقل إلى أحد أبناء الاله «رع» الذين ظهرت عليهم علامات الملك وأن المعبودات سمتهم بأسمائهم وهم : «وسر كاف» وساحورع» و «نفر اير كارع» (كاكاى)، وعلى الرغم من أن أسلوب القصة يدل على أنها كتبت فى عهد الدولة القديمة إلا أن أول نموذج وصل إلينا كان من عصر الدولة الوسطى(١).

وتشير الاسطورة إلى عدة أمور فيها تأكيد محاولة الاستيلاء على الحكم بغير حق شرعى فى الأسرة الخامسة بمساعدة من كهنة رع، وتنمية الاعتقاد بأن ملوك الأسرة الخامسة على صلة بالاله رع وكهنته فى «أون» وبالتالى فهم من «أون» ، وهناك من يرى أن الأسرة نشأت فى الفنتين كما يرى مانيتون ، ولعل ما يعزز هذا الرأى اهتمام أفراد هذه الأسرة بهذه الناحية من مصر، وأن كان هذا الرأى لا يجد قبولا من العلماء .

والمعروف أن أسرة بناة الأهرامات ، الأسرة الرابعة، لم تترك لنا صورة واضحة عن عدد ملوكها أو عن تتابعهم على العرش ، أو مدة فترات حكمهم، لكن ملوك الأسرة الخامسة يمكن ترتيبهم على النحو التالى :

---

(١) أ. ارمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، مراجعة محمد انور شكرى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٦٤ .

وكذا :

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949 , P. 14 .

	بردية تورين	قائمة مانيتون
١- وسر كاف	٧ سنوات	٢٨ سنة
٢- ساحو رع	من ١٢ إلى ١٤ سنة	١٣ سنة
٣- نفر اير كارع (كاكاى)	أكثر من ١٠ سنوات	٢٠ سنة
٤- شبسس كارع	٧ سنوات	٧ سنوات
٥- نفر اف رع	أكثر من عام	٢٠ سنة
٦- نى وسر رع	١١ سنة	٤٤ سنة
٧- من كاو حور	٨ سنوات	٩ سنوات
٨- جد كارع اسيسى	٢٨ أو ٣٩ سنة	٤٤ سنة
٩- وناس (ونيس)	٣٠ سنة	٣٣ سنة

ويتبين من ذلك اتفاق القوائم والآثار المعاصرة على أسماء ملوك الأسرة الخامسة وهم على التوالى : وسر كاف ، ساحورع ، نفر اير كارع، شبس كارع، نفر اف رع ، نى وسر رع ، من كاو حور ، جد كارع اسيسى ، وناس .

كما يتضح ان فترة حكم الأسرة مرتفع جداً عند مانيتون بالمقارنة مع بردية تورين ، ومع التواريخ المعروفة من خلال المصادر الأثرية نستطيع ان نقدر مدة حكم الأسرة بحوالى ١٣٠ سنة تقريبا تؤرخ من ٢٤٨٠ - ٢٣٥٠ ق.م. وبمتابعة أسماء الموظفين الذين عاصروا الأسرتين الرابعة والخامسة مثل «بتاح شبسس» تشير إلى أنهم استمروا يتقلدون وظائفهم مما يؤكد عدم قيام اضطرابات أو قلاقل فى الأسرة .

ايضا بمتابعة المصادر والآثار المتاحة لا يوجد انفصالا بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، حقا يبدو « وسر كاف » الملك الأول فى الأسرة الخامسة من سلالة الفرع الأصغر لأسرة خوفو حفيد لـ « ددف رع » ، واكد حقه فى إعتلاء العرش بالزواج من البيت القديم ابنة منكاورع، والقصة التى وردت عن عصر

الدولة الوسطى (بردية ويستكار) ترى الملوك فى الأسرة الخامسة ينتسبون إلى رع وخاصة أوائل الملوك الثلاثة فى الأسرة امهم كانت « رددت » زوجة كاهن رع فى أون (هليوبوليس)، والقصة مصنوعة ولكنها محبوكة ومشوقة وتشير إلى ظهور الأسرة واهمية الإلة الشمسى « رع » وابنته « حتحور » وايضا رجال الدين .

ومع الأسرة الخامسة ومنطق الأمور ازداد الولاء للاله « رع » ومن أجل ذلك حمل كل ملوك الاسرة لقب « ابن رع » وهو لقب لم يستخدم كثيرا فى الأسرة الرابعة وينم عن الاختيار الالهى للملوك، ولذا قام ملوك الأسرة الخامسة باختيار مكان يقع إلى الجنوب من الجيزة عند ابو صير وأبو غراب (شمال سقارة وجنوبى الجيزة) ببناء معابد للشمس وتشير المصادر الأثرية أن ستة من ملوك الأسرة وهم وسر كاف – ساحورع – ونفر اير كارع – ونفراف رع – ونى اوسر رع – ومن كاو حور، قد قاموا بتشييد معابد للشمس لهم ، ولم يبق من هذه المعابد إلا اثنان فقط عثر عليهما : للملك أوسر كاف ، والمعبد الثانى الخاص بالملك نى أوسر رع والمعبد يحتوى على مسلة وعلى قاعدتها المتسعة شرفة بها مذبح من المرمر فى الوسط، وهذا يعنى بدون شك رمز للتل البدائى عند خلق العالم بواسطة إله الشمس، والمبنى كله حول الفناء المسور بدون سقف يحجبه عن السماء، وعلى الجانب الجنوبى مركب شيدت لاله الشمس فى رحلته اليومية ، وممر زينت حوائطه بمناظر ملونة تمثل فصول السنة، ورسوم حيوانية ونباتية خلقها الاله والد كل الأشياء الموجودة [1].

لقد حرص ملوك وكهنة هذه الأسرة على الاعلاء من شان رع دون التقليل من الآلهة الاخرى ومعابدها بل انهم اغدقوا على معابد الآلهة الأخرى الشئ الكثير ، كذلك انتشرت عبادة اوزير بين افراد الشعب منذ النصف الثانى من

---

(١) Vercoutter , J., Op. Cit., PP. 294 - 295 .

الأسرة الخامسة، كما ظهرت في الأسرة ادارات مهمتها رعاية معابد الملوك الراحلين خصصت لها الأراضي المعفاة من الضرائب .

١- وسر كاف : (اير ماعت)

حكمه استمر لمدة سبع سنوات تبعا لبردية تورين بنى معبد للشمس أطلق عليه اسم «نخن رع» في أبي صير وقلده باقي ملوك الأسرة حتى جد كارع اسيسى، اقام هرمه في سقارة بالقرب من الهرم المدرج للملك زوسر ، ويذكر حجر پالرمو أنه أقطع اقطاعيات للاله رع، كما بدات الأسر القوية تزداد قوتها في عهده مثل أسرة «واش بتاح» وغيرها .

٢- ساحورع :

ساحورع خلف وسر كاف من نفس الفرع وتبعا لبردية تورين فلقد حكم ١٢ سنة، ولكن يبدو أنه حكم لمدة لا تقل عن ١٤ سنة تبعا لحجر پالرمو الذى ذكر أنه شهد التعداد السابع للماشية في عهده .

كشف «بور خاردت **Borchardt**» و «هنريش شافير **Schaefer**» عام ١٨٩٨ - ١٩٠١ عن معبده الشمسى الذى يعتبر نموذجا كاملا للمعابد الشمسية لملوك هذه الأسرة وهو بحالة جيدة بسبب تشييده من الحجارة، يقع على حافة الصحراء في منطقة أبو غراب (١ ميل تقريبا شمال أبو صير) وقد صمم المعبد على مستويين يرتفع أحدهما عن الأخر يصل بينهما طريق صاعد ، المعبد في الجزء الأول محاط بسور طوله حوالى ٣٣٠ قدم وعرضه حوالى ٢٥٠ قدم ويلى الطريق الصاعد فناء ينتهى بمسلة اتخذت قمتها هيئة الهريم وهى الرمز المقدس لإله الشمس ويتقدم المسلة من الناحية الشرقية مائدة متسعة من المرمر تقدم عليها القرابين ، ويتضمن المعبد موضعين لنحر الضحايا تجرى الدماء منهما في مجار مكشوفة إلى الخارج، وجاورت المعبد من الخارج قرب الجدار الجنوبى مركب إله الشمس رع ويعتقد وجود أخرى ، بحيث ترمز

إحداهما إلى مركب النهار « معنچة » والآخر – إلى مركب الليل « مسكته » وهى التى يعبر بها سماء العالم السفلى [1] (شكل ١٥ ، ١٦) .

إذا تتبعنا حجر پالرمو فقد بدأ « ساحورع » اقامة الجبانة الملكية للأسرة الخامسة شمال سقارة ، وقد زينت معابده بمناظر وزخارف بديعة، وعلى حيطان القاعة الكبرى أمام معبده الجنزى تسجيل لبعض حوادث عهده ومنها انه قام بحملات ضد الليبيين وأخذ زوجة وأبناء الملك الليبى ضمن الأسرى .

ومن بين المناظر على جدران المعبد عودة سفن من سورية عليها بحارة بلحية اسيوية وقد رفعوا أذرعهم إلى الملك طالبين العفو ، ولعل هذا دليل على استمرار سياسة ملوك الأسرة الخامسة نفس سياسة الأسرة السابقة من حيث الاهتمام بالساحل السورى الفلسطينى وذهاب البعثات التجارية إلى هذه المدن الموجودة على الساحل للتبادل التجارى .

أيضا يخبرنا حجر پالرمو ان الملك « ساحورع » قد أرسل حملة إلى الأرض البعيدة فى بونت قريبا من الساحل الصومالى، مما يؤكد سيطرته على النوبة السفلى على الأقل وربما النوبة العليا .

٣- نفر اير كارع (كاكاى)

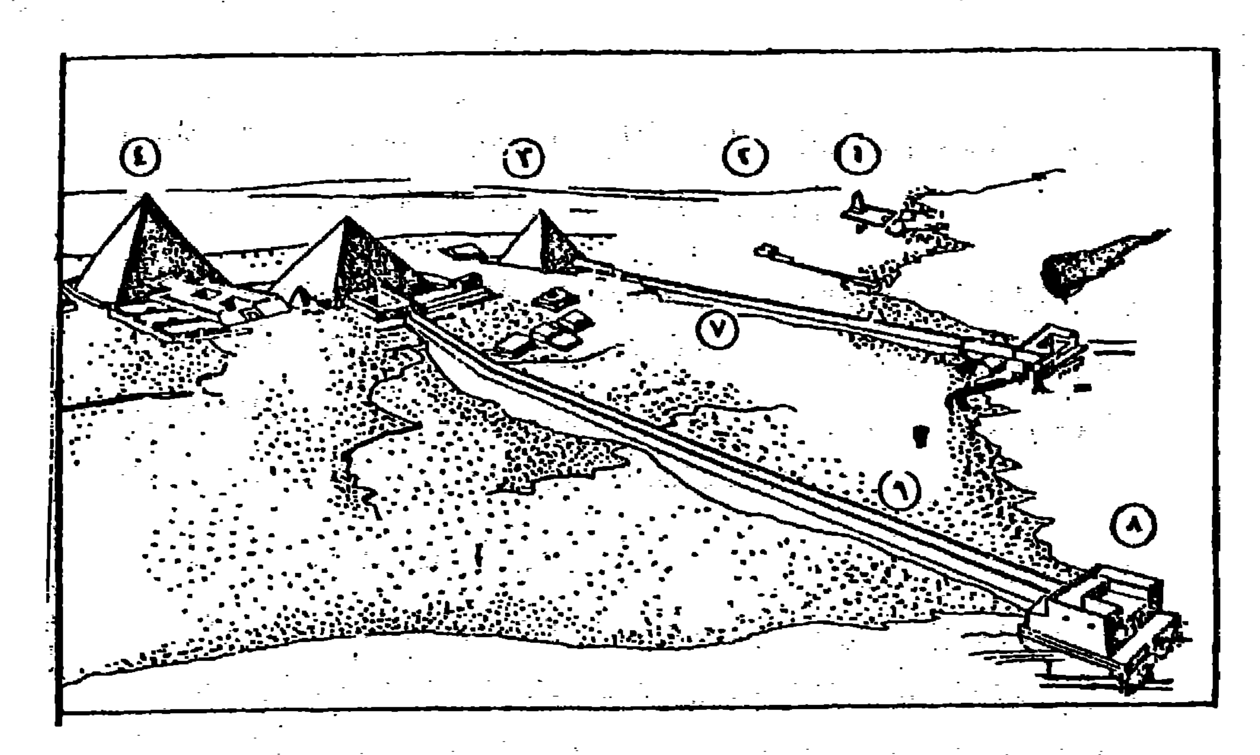
أخو « ساحورع » حكمه استمر على الأقل ١٠ سنوات تبعا لبردية تورين ، بينما المؤرخ المصرى مانيتون يرى ان حكمه استمر عشرون عاما، اقام هرما فى منطقة « أبو صير » لكنه لم يستكمله وكذلك معبده الذى لم يسعفه الوقت لاتمامه.

---

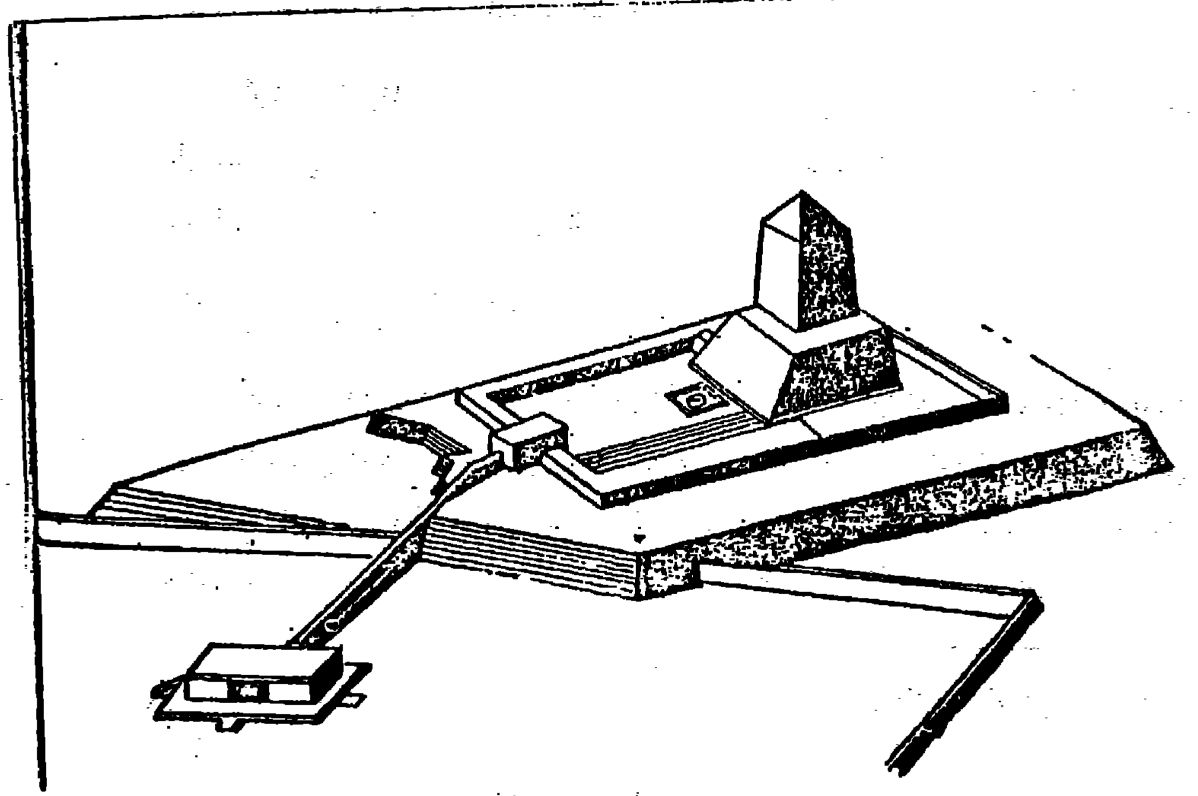
(١) Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 134 - 136 .

وكذا :

عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٣٦٥ .



(شكل ١٥) : اهرام ابو صير – رسم تصويرى لما كانت عليها عند تشييدها



(شكل ١٦) : معبد الشمس الملك تى . أوسر . رع

أصدر مجموعة من المراسيم لحكام الأقاليم للمحافظة على حقوق المعابد وامتيازاتها، والواقع أن هذا المبدأ الخطير كان البداية لتقلص نفوذ الملكية فيما بعد وزيادة هيبة المعابد وكهنتها مما كان سببا فى انهيار الدولة القديمة فى نهاية المطاف .

خلفه « شبسس كارع » ، « نفر اف رع » الأول حكم ٧ سنوات والثانى ٢٠ سنة تبعا لمانيتون ، ثم خلفهم « نى اوسر رع » وهو معروف لنا لبقايا معبده فى « أبى صير » حكم نحو ٣٠ عاما وهو ما تؤكده الآثار ، تميز بالنشاط فى السياسة الخارجية أرسل قواته إلى الشمال الشرقى ، كما أرسل البعثات إلى سيناء لاحضار المعادن .

الملك السابع فى الأسرة « من كاو حور » لدينا اسمه منقوش فى سيناء دليل على ارساله بعثات التعدين إلى منطقة سيناء .

٤ - جد كارع اسسى :

أطول فترة حكم فى الأسرة حيث ظل على العرش ٣٩ عاما تبعا لبردية تورين ، بينما يعطيه مانيتون فترة حكم ٤٤ سنة ، آثار حملاته وجدت فى منطقة سيناء وفى وادى الحمامات ، وقد عثر على أربعة نقوش من عهده فى وادى مغارة وعلى واحد من هذه النقوش اسمع مسبوقا بلقب « سارع » (ابن الشمس)، أرسل أكثر من حملة إلى بلاد النوبة، واحد موظفيه (باو ردد) ذهب إلى بلاد بونت وعاد منها بقزم .

كما واصل سياسة اسلافه فى الاهتمام بالساحل الفينيقى حيث تم العثور على منتجات مصرية حملت اسم جد كارع اسسى فى بيبلوس (جبيل) على الساحل السورى .

٥- وناس :

وناس (ونيس Wnis) ، اسمه الحورى واج توى ، بلغت مدة حكمه ثلاثين سنة تبعا لبردية تورين، وهو أول الملوك الذى حوى هرمه فى سقارة – قريبا من الجهة الجنوبية لهرم زوسر المدرج – حيث حوت حجرة الدفن والقاعة المؤدية إليها بنصوص دينية واسطورية نقشها الفنانون بالكتابة التصويرية الهيروغليفية فخرجت معجزة فى اتقانها ورقة حروفها ، كما تضمنت معلومات عن العقائد الجنزية للعصور القديمة، وعلى أحوال عصور ما قبل التاريخ ، والموضوعات غير مرتبة من الناحية الموضوعية لكنها تعطى كم هائل من المعلومات عن الحضارة والمعتقدات المصرية القديمة .

من بعد وناس نهج ملوك الأسرة السادسة نفس التقليد بكتابة هذه النقوش داخل مقابرهم .

بقية المجموعة الهرمية لـ « وناس » طريق صاعد ومعبد الوادى ، ومعبد الوادى الخاص بهذا الملك به اعمدة على هيئة النخيل من الجرانيت الاحمر ومتصل بطريق صاعد مغطى طوله حوالى ٧٠٠ متراً، حوائطه عالية ومغطى بمناظر الصيد والزراعة، وفى مناظر آخرى مناظر للصراع مع البدو والاسيويين، ولعل هذا ما يؤكد قيام هذه العناصر بإثارة الاضطرابات على حدود مصر الشرقية، ويدعم تلك الصور التى وردت عن اقتحام أحد القلاع الأسيوية المصورة فى اقليم دشاشة .

عثر للملك « ونيس » (وناس) على آثار فى جزيرة الفنتين ويبدو أنه قد زار الحدود الجنوبية واستقبل رؤساء النوبة هناك مما يشير على اهتمام مصر بهذه البلاد، وفى نقوشه صدر السفن محملة بعواميد من الجرانيت اللازمة لمعبده والحاصل عليها من محاجر الجرانيت باسوان .

الملكة الرئيسية للملك هى الملكة «نيت» وبجانب هرم وناس نحد عدد من الأميرات قد تم دفنهن، ولما لم يكن للملك أى وريث انتهت الأسرة الخامسة(١).

وتشير مقابر الأفراد فى الأسرة الخامسة مثل مقبرة بتاح حوتب وغيره أن الفنانون فى عصر الدولة القديمة وحتى الأسرة الخامسة كانوا مبدعين فى تخيلاتهم وهذا ما وضح فى مقابر الأفراد عن هذه الفترة التى تميزت بالفخامة لكنها تشير فى نفس الوقت على ملامح تبدو فى الأفق على ضعف القوة الملكية.

كلمة موجزة عن البناء السياسى والادارى فى عصر الدولة القديمة :

فى خلال عصر الدولة القديمة اصبحت مصر من أعظم الحضارات القديمة ، ثم هى بحكم موقعها واحدة من أعظم القوى إن لم يكن أعظمها على الاطلاق ، لذا كان من المفيد إلقاء الضوء على نظامها السياسى والإدارى فى تلك الفترة، وقد ارتبطت رفاهية مصر وثرواتها القديمة بالنجاح فى شؤون الزراعة والرى وفى وجود إدارة ناجحة تتوافق مع تكامل عناصر البيئة الجغرافية فى مصر وأهمها نهر النيل الذى لم يكن واهب التربة والماء والحياة للإنسان فحسب وإنما كان ممهد لقيام وحدة راسخة على اسس إدارية ناجحة ومتغيرة نحو الأحسن دائما، ففى فترة بداية الأسرات كان «العج مر» المسؤل عن شق القنوات أو القائم على حفر الترع ، وهو رأس الإدارة فى كل مقاطعة أو اقليم، ويخضع مباشرة تحت إشراف السلطة الملكية حيث أن الإشراف على شؤون الزراعة والرى ليست من واجبات حكام الإقاليم وحدهم وإنما هى مسئولية الملك فى المقام الأول والتى حرصت كل الأدلة الأثرية أن توضح اهتمامه بمشروعات الرى

---

(١) Beckerath, J.V., Unas , LÄ VI, Wiesbaden, 1985 , Sp. 845 - 7 .
وكذا :
Vercoutter , J., Op. Cit., P. 296 .

وشق الترع والقنوات ، وحاكم الأقليم إنما هو ممثل للملك فى هذا الأمر وأضيفت له مهام جديدة إلى جانب هذه المهمة الرئيسية عبرت عنها القابه الجديدة مثل سيد القلعة ، مدير الأراضى، مقيم العدل، مما يشير إلى مسئوليته عن الأمن والقوة العسكرية وتحصيل الضرائب العينية وإحصاء السكان وتنفيذ تعليمات الملك والعاصمة فى مشروعات الرى والزراعة وباختصار فهو حاكم الاقليم .

والألقاب العديدة سواء الألقاب الحقيقية أو الألقاب الشرفية التى ظهرت منذ العصر العتيق : الرفيق الوحيد (السمير الوحيد) ، المشرف على هيراقنوبوليس ، الأول لدى الملك ، سيد اسرار الملك فى كل مكان، وهى القاب لا نعرف منها طبيعة مهام القائمين بها، وإنما كانت لإرضاء أصحابها وتقديرا لمكانتهم وقربهم من شخص الملك.

وهناك القاب أخرى تشير إلى القيام بنوع من الخدمة الشخصية للملك مثل: المشرف على ثياب الملك، المشرف على التيجان الملكية ، المسؤل عن الشعر المستعار، المسؤل عن موظفى القصر ، رئيس الفنانين (صناع الحلى والأثاث) ، المشرف على الأعمال المتعلقة بالقصر . . .

وهذه الألقاب والقائمين بها مرتبطين ارتباطا وثيقا بالملك، الشخصية الأولى والرئيسية التى حملت العديد من الألقاب – التى سبق الإشارة إليها – والصفات التى تؤكد كون الملك ينتمى إلى عالم الآلهة الذى تفضل وأقام بينهم على الأرض ، وهو « ابن إله الشمس رع » ، وهو الإله الطيب، عليه يعتمد الكون، وهو يحيط اسمه بالشكل البيضاوى» .المعروف «بالخرطوش» الذى يحيط باسم الملك والذى ظهر مع بداية الأسرة الرابعة فى عصر الدولة القديمة، وربما رمز لإحاطة الشمس بالأرض [١].

---

(١) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 299 .

والملك يحكم بمقتضى حقه الالهى، فمصر حكمتها الالهة منذ قديم الأزمنة، وهو حور وريث «أوزير» بمقتضى الحق الطبيعى والقانونى، وهو الاله الطيب إثناء حياته مصدر الخير وواهب الحياة ومالك الكون فى حياته، وهو الإله العظيم بعد موته ، وهو الذى يسيطر على كل شئ فى المجتمع فهو الادارة والقوة المسلحة، العدالة بما تعنيه من حق ونظام وادارك ، والعقيدة، وهو لا يستطيع تأدية كل شئ من الناحية الواقعية ولذا كان فى حاجة إلى مساعدين فى العصر العتيق حيث يرى البعض فى شخص الرجل الموجود خلف نعرمر (بحجم صغير) وكلمة (ثت) إشارة إلى لقب الوزير ، الشخصية الموجودة فى الأسرة الثالثة «ايمحوتب» الذى كانت له سلطات واعباء الوزير لكن اللقب (ثاتى «ثات») لم يظهر إلا مع بداية الأسرة الرابعة، حيث ارتبط هذا اللقب بالأسرة الملكية وحمله «نفر ماعت» أول وزير معروف ويبدو أنه كان من ابناء «حونى» وآخر غير شقيق للملك «سنفرو» ، وظلت هذه الوظيفة محصورة فى ابناء الملوك من الزوجات الثانويات ربما ارضاء لهن عن منصب «ولى العهد» حتى عصر الأسرة الخامسة عندما تولى منصب الوزارة أفراد من خارج الأسرة الملكية.

ومن خلال الوظائف العديدة والواجبات فى إدارة العدالة اصبح هورئيس العدالة ورئيس المجالس الستة الكبرى، ومن الأسرة الخامسة اصح كاهن ماعت الهة الحق والعدل والنظام، وفى الحقيقة هو رئيس لاشياء عديدة منها الادارة والبلاط الملكى، الخزانة، الصناعة، العاصمة، الأعمال العامة والزراعة، الأعمال والخدمات فى القصر، رئيس البعثات، رئيس القضاة، وهو كاهن للإله تحوت رب الحكمة ، والإلهه «سشات» ربة الكتابة .

ولعل من أهم الأمثلة على نجاح الإدارة المصرية القديمة ما يختص «بادارة الخزانة» أو «بيت المال» وتأتى على رأس الإدارات المهمة [1]، فى البداية

(١) التنظيم الإدارى اشتمل على عدة ادارات منها : الإدارة الملكية المركزية – مصلحة الحقول – ادارة المالية (الخزانة) – إدارة المبانى والأشغال .

كانت مزدوجة «بيت مال الجنوب» للصعيد وبيت مال الشمال للوجه البحرى، ولكنها تبعا للتطور فى عصر الدولة القديمة توحدت تحت اسم «البيت الابيض» (بيت المال الابيض) «برحج» ولها فروع فى البلاد تسمى البيت الابيض ويتبعها الأبيض المزدوج فى العاصمة قسمين هما : بيت الذهب ، بيت الشونة (المزدوجة) وإلى هذه الإدارة جاءت المحاصيل من مختلف الاقاليم وتم تخزينها فى المخازن المزدوجة بالعاصمة تحت إشراف عدد من المشرفين والكتبة والعمال ، وهذه الادارة تولت جمع المحاصيل والضرائب العينية وتوزيعها بكل دقة باسم الملك الذى تقع على عاتقة مسؤلية عدالة التوزيع سواء فى صورة مرتبات لموظفى الدولة وعمالها أو فى صورة هبات عينية لأن الجميع ياكلون من هبات الملك، وهذا يشير إلى الدقة المركزية فى مصادر الثروة التى يتحكم فيها الملك بنظام وعدالة، والخزانة دائما مستعدة وقادرة على الوفاء بالأجور لكل العاملين فى أى مكان فى مصر، ولابد أن الخزانة المركزية فى العاصمة تاخذ من هذه المدخرات الشئ اللازم للقصر وموظفيه واحتياجات العاصمة، والباقى يدخر للاقاليم التى ترسل بياناتها للإدارة المركزية، والوزير مسؤل بمراقبة ذلك .

والمجتمع المصرى لم يكن منغلقا ولم يكن مستحيلا على ابن الفلاح أن يصبح كاتبا ووزيرا تبعا للكفاءة ، وكل شئ كان مطروحا وواضحا أمام الملك، وعلى الوزير ان يقابل الملك يوميا ليطلعه على كل أمور الدولة ويحظى منه بالموافقة على جميع القرارات .

والجيش يقوده الملك ولم يكن جيشا نظاميا فى أيام الدولة القديمة، وعند الحاجة تقوم الأقاليم المختلفة بتجهيز الفرق وأرسالهم للعاصمة والملك يعين قادة الجيوش والبعثات ويخلع عليهم الالقاب التى تضاف إلى القابهم المدنية [١].

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 298 - 299 .

الأسرة السادسة ونهاية عصر الدولة القديمة :

خلف ملوك الأسرة السادسة اسلافهم ملوك الأسرة الخامسة على العرش المصرى القديم، بردية تورين حينما وصلت لحكم « ونيس » (وناس) آخر ملوك الأسرة الخامسة أخذت فى إحصاء مدد الحكم من « منى » إلى « ونيس » كعلامة لنهاية مرحلة ، ولانعرف الأسباب التى أدت لنهاية حكم « ونيس » وبدء الأسرة السادسة ، وذكر مانيتون احتمالية كون هذه الأسرة من « منف » بسبب اهتمام الملوك الأوائل فيها نحو الاعلاء من شأن بتاح اله منف وتقريب كهنته والانصراف عن كهنة الشمس .

وبرغم اختلاف العلماء فى تحديد بداية ونهاية فترة حكم الأسرة السادسة، فهناك ستة من الملوك وربما سبعة فى الأسرة، اختلفت مدة حكم كل منهم ، لكنهم استمروا جميعا حوالى قرن ونصف من الزمان ، من حوالى ٢٤٢٠ إلى ٢٢٦٠ ق.م. ، واستمرت فترة حكم الملك «ببى الثانى» وحدة فترة تقترب من ثلثى الفترة كلها المخصصة للأسرة، وملوك الأسرة يمكن ترتيبهم كالتالى :

١- تتى (سحتب تاوى)

٢- وسر كارع

٣- ببى الأول .

٤- مرن رع الأول .

٥- ببى الثانى

٦- مرن رع الثانى

٧- الملكة نيتو كريس

الملك تتى :

اول ملوك الأسرة السادسة واسمه الحورى « سحتب تاوى » ومعناه « مرضى

الوجهين» ، وجدا سمه على بعض اجزاء اناء عثر عليه في بيبلوس ، وفي سقارة ، وعلى قطعة من الباستر في ابو غراب محفوظة الآن في برلين ، وفي المرسوم الملكي الذى أصدره الملك تتى في معبد أبيدوس خاص بعدد من الاعفاءات للمعبد مما سيؤثر على قوة الملكية في نهاية الأسرة، وعلى بقايا حجارة من معبد منف محفوظة الآن بالمتحف المصرى (١).

فترة حكمه بالتقريب حوالى ١٢ عاما تبعا لمانيتون ، أما فترة حكمه في بردية تورين فمفقودة، ويذكر مانيتون انه قتل بواسطة حراسة، ومن المعتقد كما يرى كثير من العلماء ان الملكة «ايبوت» الذى عثر في هرمها في سقارة على القاب لها من بينها «الأم الملكية» وكذلك لقب «ابنة ملك مصر العليا والسفلى» مما يستدل منه انها كانت ابنة لاحد ملوك الأسرة الخامسة ويرجح انه الملك «ونيس» وكذلك حملها لقب «زوجة الملك» الذى يرجح انه الملك «تتى» وبالتالى فهى يمكن أن تكون حلقة وصل بين الأسرتين الخامسة والسادسة .

وقد بنى تتى هرمه بالقرب من هرم وناس ، وأقام بالقرب منه هرمين الأول لزوجته الرئيسية «أيبوت» والثانى للملكة «خويت» والأولى هى أم ببى الأول، وللملك زوجة ثالثة هى «سششت» ظهرت لها صورة على قطعة صغيرة من الحجر في أجزاء من معبد تتى الجنزى.

معلوماتنا عن السياسة الداخلية والخارجية للملك تتى قليلة ويبدو انه تابع سياسة اسلافه فى الاهتمام بتنشيط التبادل التجارى مع المدن الفينيقية بدليل العثور على اسمه فى بيبلوس كما سبق القول، وحافظ على حدوده الجنوبية .

أما خليفة تتى الملك «أوسر كارع» فمعلوماتنا عنه من القوائم الملكية قليلة، حيث لم يدرج فى قائمة سقارة، ومانيتون اعتبره مغتصبا للعرش، ووجود

---

(١) Petrie , F., Abydos II , 1903 , P. 148 .

اسم رع فى ثنايا اسمه قد يشير إلى صدام محتمل بين كهنة الشمس وكهنة الاله بتاح فى منف وربما سقط تتى نتيجة هذا الصراع .

وربما كان لأوسر كارع دوراً فى مساعدة الملكة « ايبوت » فى القيام بدور الوصاية فى بداية عهد « ببى الأول » الذى كان صغيرا عند وفاة تتى مؤسس الأسرة .

الملك ببى الأول :

حكم على الأقل ٤٠ سنة وربما ٤٩ سنة ولعل الخلاف مرجعه ان ولايته للعرش شرعية منذ وفاة أبيه او مقتله وبذلك اضيفت إلى مدة حكمه مدة حكم « أوسر كارع » الذى اعتبره المؤرخون ملكا غير شرعى، اقام « ببى مرى رع » (ببى الأول) هرمه بالجنوب من هرم ازيزى (اسيسى) واطلق عليه « من نفر » [١] وهو الذى اشتق منه اسم منف (ممفيس) الحالى [٢].

تزوج من زوجتين كانتا ابنتين للأمير « خوى » وزوجه « نبت » من أمراء أبيدوس ، والزوجة الأولى هى « مرى رع عنخس » وربما ولدت فى عهده حيث حمل جزء من اسمها اسم زوجها ، وانجب منها ولى عهده مرن رع الأول والابن الثانى ببى الثانى، وهناك من يرى أن الملك قد تزوج من أختها التوأم لوفاة الأولى بعد الوضع مباشرة، وأن الثانية انجبت له « ببى الثانى » [٣]، وهذا الزواج دليل على تنامى نفوذ حكام الاقاليم ومدى ضعف ملوك الأسرة السادسة الذين اقتربوا من رعاياهم وتزوجوا منهن برغم ما هو معروف عن نظام وراثة العرش الفرعونى

---

(١) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 321 .

(٢) تقع مدينة «منف» مكان قرية «ميت رهينة» الحالية بمركز البدرشين ، وقد سميت «من نفر» واطلق عليها الاغريق ممفيس ، وحرفها العرب إلى منف .

(٣) نجيب ميخائيل : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

من قواعد صارمة، ولذلك فليس من المستغرب أن يحصل «زعو Zau» أخو الملكة وخال الملك القادم في الأسرة الكثير من الالقاب والامتيازات نتيجة ذلك الزواج .

ومن الشخصيات الهامة التي عاشت في عصره «وني» الذي نعرف من سيرة حياته ، أن الملك كان متزوجا أيضا من الملكة «ايمتس» وهي التي اشترك «وني» في اجراءات محاكمتها، وهي التي ستأتي بالحديث عنها حين التحدث عن سيرة حياة موظفي القصر الملكي .

خلف مرن رع (الأول) والده ببي في الحكم ويبدو أنه كان مشاركا لوالده في الحكم كملك حيث صدرت بعض الأوامر الملكية باسم ببي الأول ومرن رع، والأخير حكم لمدة خمس سنوات فقط وعند وفاته خلفه أخيه (غير الشقيق) ببي الثاني .

ببي الثاني : (نفر كارع) :

ذكر مانيتون أنه ارتقى العرش في سن السادسة وعاش حتى بلغ المائة، أي أنه حكم حوالي ٩٤ سنة، الوثائق المعاصرة تشير إلى عام حكمه الخامس والسنين، احتفل مرتين بعيد الحب سد، كان لنفوذ خاله الأمير «زعو» الأثر الكبير في تثبيت ولايته على العرش وخاصة في بداية عهده ، ويبدو أن الملكة الوالدة (مري عنخس) كانت تقوم بالوصاية في أوائل سني حكم ابنها كما تشير بذلك الشواهد الأثرية التي صورت واسمه فقط بجانب القابها كما هو موجود في لوحة وادي مغارة بمحاجر سيناء .

كما اصدر ببي الثاني عدة مراسيم ملكية ، والكثير من الامتيازات الممنوحة للمعابد شملت معابد الاله مين بقفط ، ومعابد ابيدوس ، ومنف ، مما يتم على البذخ الملكي وتناقص ثروات الملك نتيجة هذه الاعفاءات الملكية وتزايد نفوذ الكهنة وحكام الاقاليم، الأمر الذي أضعف الملكية وافقدها مصادر ثرواتها في النهاية .

مرن ان رع (عنتى ام سا اف) :

كان حكم ببى الثانى الطويل كارثة على مصر، وإذا كان هذا الملك مرن ان رع ابنا له فالأغلب انه كان فى الثمانين من عمره وتولى الحكم تبعا لبردية تورين لمدة عام واحد ، والفترة بعد وفاة ببى الثانى مليئة بالغموض ويرى مانيتون أن الملكة « نيتوكريس » جاءت فى نهاية الأسرة السادسة ولا توجد وثيقة معاصرة تؤكد وجودها ، وحسب وصف مانيتون لها بانها كانت أجمل امرأة وأنبل نساء عهدها ، وذكر هيرودوت قصة انتحارها بعد مقتل أخيها مرن رع الثانى فانتقمت لمقتله وأقدمت على الانتحار .

الفصل الخامس
عصر الثورة الاجتماعية الأولى
(عصر الفترة المتوسطة الأولى)

الفصل الخامس

عصر الثورة الاجتماعية الأولى

(عصر الفترة المتوسطة الأولى)

تعد تلك الفترة التى مرت بها مصر القديمة والتى اصطلح على تسميتها بعصر الفترة الأولى أو بعصر الثورة الإجتماعية الأولى وغيرها من المسميات من أهم فترات تاريخها لما ساد فيها من روح جديدة لم يعرفها الإنسان المصرى القديم من قبل والتى نتجت عن إنقلاب الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمع وبالتالى تصدع بناء الدولة على أثر الثورة الإجتماعية والتى تناولتها «بردية ليدن Leiden » [١] ، وغيرها من الوثائق المعبرة عن الحيرة واليأس اللذين انتابا الإنسان المصرى القديم عندما رأى أن مجتمعة بما يحويه من آلهة يكن لها كل الخشوع والتقدير وحياة مستقرة ثابتة كالأهرام فى خلودها ، كل هذا قد انقلب وتداعى ودبت فيه مظاهر الضعف والإنحلال .

وتناولت الأعمال الأدبية التى خلفتها تلك الفترة كل مشاعر الدهشة والألم الذى أصاب مصر فى تلك الفترة فكان ذلك التساؤل إلى النفس ومحاسبتها وهو هذا الإزدواج فى الفكر الذى وضح تماما فى حوار ذلك الرجل الذى دفعه الألم والبؤس والفقر فى حياته إلى محاولة الإنتحار [٢] .

وإتجهت نصوص تلك الفترة إلى إقتراح حلول مختلفة للقضاء على ما يتهدد حياتهم من فوضى شاملة والرغبة فى وضع قيم جديدة قد يكون فى بعضها تخلص من تلك القيم القديمة المنهارة والاعتماد على أسس إنسانية

---

(١) Hayes, W., C., Op. Cit., P. 135.

(٢) Wilson , J., Op. Cit., PP. 206 - 207

جديدة وقيام حاكم عادل إفتقدته البلاد مما يحيى الأمل فى إعادة الأمان والإستقرار والخير أو بمعنى آخر توفير العدل الإجتماعى لهذا المجتمع .

وعلى الرغم من إتفاق المؤرخين عن غموض الأسباب التى أدت إلى إنهيار حكومة الدولة القديمة بإنتهاء حكم الأسرة السادسة، إلا أن هذه هى النهاية المنطقية للتطور فى التداعى الذى بدأ تقريبا منذ منتصف الأسرة الخامسة حيث أصبحت الوظائف الهامة فى الدولة وخاصة فى الأقاليم مقصورة على عائلات معينة من كبار ملاك الأراضى ثم أصبحت الوظائف وراثية [١] .

وكما يرى «ولسون Wilson» أن العامل الإقتصادى كان له أثره الفعال – بجانب العوامل الأخرى – فى ذلك الضعف الذى هدد كيان الدولة المصرية وأجمل عدة أسباب منها عبء تشييد مبان تهدد إقتصاد الدولة مثل قيام كل ملك جديد ببناء مقبرة له وتخصيص المخصصات والأوقاف الدائمة للإنفاق على مقابر الملوك والملكات والأمراء الأمر الذى يحرم الدولة من جزء كبير من الدخل نتيجة حرمانها من هذه الأوقاف ، كذلك إحتمال إنقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية وخاصة حينما عجز الملوك عن توفير الأمن والإستقرار فى البلاد وفى الأنحاء البعيدة في بلاد النوبة والسودان وغيرها مما كان له أثره السئ على مصر اقتصاديا وسياسيا[٢]، بالإضافة إلى محاولة الملوك كسب رضاء وتأييد حكام الأقاليم المختلفة مما أدى إلى إزدياد روح الثقة بالنفس بين هؤلاء الحكام فاعتبروا أنفسهم إما سادة الاقليم أو موظفى الملك تبعا لقوة أو ضعف الملكية، وفى الوقت الذى كان فيه ميراث الوظيفة والمكانة منحة دينية من الملك الاله الذى يملك كل شئ بما فى ذلك عالم الآخرة فإن

---

(١) Erman , A., Ranka , H., La Civilisation Egyptienne, Paris, 1963, P. 112.

(٢) Wilson , J., Op. Cit., PP. 93 - 110 .

هذه المنحة أصبحت حق سياسي ، نتيجة ضعف الملوك وبالتالى أصبح حكام الأقليم ملوك على مصر أو إذا شئنا الدقة على جزء كبير من أقاليم مصر كما اصبح حاكم الإقليم رغم مظاهر التقرب والخضوع الإسمى لملك البلاد يحكم الاقليم ويجمع حوله الحاشية وتؤرخ الأحداث حسب توليه حكم الاقليم كما لو كان ملكا .

وهكذا أصبح حكام الأقاليم بما يملكون من قوة وثروة من العناصر التى تهدد السلطة المركزية المتمثلة فى الملك ، ومما يشير إلى التداعي أن المقاطعات اصبحت لها نفس أهمية العاصمة .

كذلك أيضا فقد لجأ الملوك في النصف الثانى من عهد الدولة القديمة إلى محاولة كسب وتأييد الكهنة إلى جانبهم عن طريق الاكثار من بناء المعابد لهم ووقف الأوقاف عليها وإصدار الأوامر الملكية بخصوص الإعفاءات الممنوحة لها، وقد عثر على عدد من هذه الأوامر الملكية بعضها يرجع إلى حكم « ببى الثانى » وتهدف جميعها إلى حماية معبد الاله « مين » وكهنته وإعفائهم من القيام بأى عمل للقصر وكذلك عدم مطالبتهم بأي سلعة أوقطعان للماشية حيث انهم معفون من أجل الههم كذلك يهدد الملك اى حاكم للوجه القبلى يجرؤ على استدعائهم إلى أى مكتب فى إدارة الملفات الملكية أو إلى مكتب رئيس المراجعة أو إلى أى مكتب فيه ختم (رسمى) ليفرض عليهم عملا للقصر ، فإن اللعنة ستحل عليه وتحق عليه كلمة الخيانة [1] .

وتشير هذه الاعفاءات والمنح من جانب إلى حرمان الخزانة الملكية من جزء غير قليل من دخلها وأيضا زيادة فى الثروة والقوة لهذه الفئات التى إستغلت ضعف الملوك من أجل مصالحها الذاتية .

(١) Ibid ., P. 100 .

وكذا Gardiner , A., Op. Cit., 108.

وبوفاة « ببى الثانى » فإن قوة الإدارة المركزية فى « منف » قد تلاشت وسادت الفوضى البلاد وبدأت بالنسبة لمصر أظلم فترة سياسية فى تاريخها وهى الفترة المتوسطة الأولى وتضم الأسرات من السابعة حتى العاشرة وجزء من الأسرة الحادية عشرة [١] .

ولقد تناول « فوركيته Vercoutter » هذه الفترة وقسمها إلى ثلاث مراحل، الأولى تمثل انهيار المملكة القديمة واضطراباتها الإجتماعية والتسلل الأجنبى وخلال هذه الفترة لم يستمر حكم الأسرتين السابعة والثامنة فى « منف أكثر من أربعين عاما (٢٢٨ – ٢٢٤٢ ق.م.) ، وفى المرحلة الثانية نجح أمراء أهناسيا (هرقليوبوليس) فى حكم مصر معتبرين من أنفسهم خلفاء لملوك « منف » تمتعوا فيها بفترة من الهدوء أثناء الأسرة التاسعة (٢٢٤٢ – ٢١٣٣ ق.م.) ، غير أنه تحت حكم الأسرة العاشرة حوالى (٢١٣٣ – ٢٠٥٢ ق.م.) انفجرت المعارك فى الوقت الذى كان هناك جزء من الأرض محتل بواسطة أجانب والمقاطعات تحارب بعضها البعض منهم يعترف بسلطة أهناسيا والآخر بسلطة طيبة ، والفترة الثالثة والأخيرة والتى يراها البعض كجزء من الدولة الوسطى حيث كان النصر النهائى لطيبة وفيها أسست الأسرة الحادية عشرة حوالى (٢١٣٤ – ١٩٩١ ق.م.) التى حكمت الجزء الجنوبى من مصر ومسيطرة على مصر كلها من الشمال إلى الجنوب مع إعتبار طيبة هى العاصمة الأساسية للبلاد كلها [٢] .

الحوادث التاريخية والاجتماعية :

خلف « ببى الثانى » عدد من الملوك الضعاف وتشير بردية تورين أنه بعد « نيتوكريس » فإن الأسرة السادسة قد استمرت مع أربعة ملوك بعدها، فى الوقت

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 327 .

(٢) Ibid., P. 328.

الذى لم يضع فيه « مانيتو » أى حاكم بعد هذه الملكة [١]، التى وصفت بأنها كانت أنبل وأجمل امرأة فى عصرها، وتبعا للإسطورة فإنها قد استولت على العرش بعد مقتل أخيها الأمر الذى جعلها تنتقم له وتقدم بعد ذلك على الانتحار [٢] .

وفى هذا دلالة على تردى الملكية ومدى ما انتابها من ضعف عجل نهاية الأسرة السادسة وأصبحت الحالة السياسية فى البلاد شبيهة بتلك الفترة التى سبقت توحيد مصر قبل بداية الأسرات وتفتت وحدة البلاد واستقل حكام الأقاليم وحاول كل منهم أن يمد نفوذه إلى ما جاوره من مناطق [٣] .

ومن الواضح أن تاريخ الأسرة السابعة غير واضح نتيجة لعدم وجود آثار معاصرة لهم بالدرجة الكافية حتى أن « مانيتو » يذكر سبعين ملكا حكموا سبعين يوما والأسرة كلها يعتقد أنها صورية وأن « مانيتو » كان يقصد من ذلك الإشارة إلى الفوضى وسوء الأحوال فى البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة [٤]، أو أنها تعنى أن مصر قد حكمت فى تلك الفترة بما يشبه حكومة القلة التى تكونت من كبار موظفى وعقلاء تلك الفترة الذين حكموا معا كمجموعة لفترة تقدر بسبعين يوما [٥]، وطبقا لآخر دراسة قام بها « هيز .Hayes W.C » فقد وجدت تسعة ملوك لهذه الأسرة ولكنها لم تحكم أكثر من ثمانى سنوات أى بمتوسط حوالى عشرة شهور لكل فرعون [٦] .

---

(١) Petrie, F., A History of Egytp , London , 1963 , P. 109 .

(٢) Hawkes, J., The First Great Civilization , London , 1973 , P.297.

(٣) Breasted , J. H., A History of Egypt, P. 143 .

(٤) Gardiner, A., Op. Cit., P. 107 .

(٥) Hayes , E.C., Op. Cit., P. 136.

(٦) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 329 .

أما الأسرة الثامنة فتاريخها غامض رغم وجود أسماء ملوكها فى قوائم الملوك حيث ذكرت « قائمة أبيدوس » أسماء سبعة عشرة ملك وفى « قائمة تورين » نجد ثمانية ملوك فقط بينما ذكر « مانيتو » أن عدد ملوكها ثمانية عشرة دون أن يذكر أسمائهم، على حين أن قائمة سقارة لم تذكر أحداً بعد « ببى الثانى » حتى أوائل الأسرة الحادية عشرة كما لم نعثر أيضا فى سقارة على أهرامات لهذه الأسرة (١) .

ومن واقع قائمة « أبيدوس » فاننا نرى أن ملوك الأسرة الثامنة حاولوا التشبه والتمسك بالتقاليد القديمة وتسموا بأسماء الملوك القدامى فى معظم الأحيان وأنهم حكموا لفترات قصيرة وكانوا ذو سلطة ضعيفة ولم تمتد سيطرتهم أكثر من وسط مصر (٢) .

ويلاحظ أن « قائمة أبيدوس » لم تلتزم فى أسماء ملوك هذه الأسرة بتسلسلهم وخلطت بين أسماء ملوك الأسرة التاسعة ووضعتهم بين ملوك الأسرتين السادسة والثامنة (٣)، وحرص ملوك هذه الأسرة على إتباع تقاليد « ببى الثانى » فى تخصيص إعفاءات ومنح لصالح معبد « الاله مين » وكهنته فى « قفط » وتضمن أحد هذه المراسيم تهديدا من أحد ملوكها لكل من يعتدى على المقدسات الدينية بحرمانه من ميراث آبائه ونفيه وعدم تقديم الطقوس الجنزية المعتادة له عند وفاته، مما يتضح معه أن الاعتداءات على المقابر والمعابد والتماثيل كانت قائمة بالفعل ولجأ الحكام الضعفاء لمحاولة منعها بشتى الوسائل (٤)، والمعلوم أن آثار التخريب الذى قام فى خلال تلك الفترة إمتد وشمل حتى مقابر وأهرامات الملوك أنفسهم..

---

(١) Drioton , E., Vandier , J., Op. Cit., P. 214 .
وكذا Breasted, J. H., Op. Cit., P. 147.

(٢) Hayes , W. C., Op. Cit., P. 136 .

(٣) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٤٠١ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٢ -٤٠٣ .

ويبدو أن حاكم مقاطعة « قفط » قد نجح فى تكوين مملكة مستقلة تشمل مقاطعات الوجه القبلى السبعة الواقعة فى أقصى الجنوب وأسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة « منف » الحاكمة وبالعثور على مقبرة كل من « عنخ تيفى » وإلى « جبا (ادفو) » و « نخن » ، (هيراكنوبوليس) ، يتضح أن هاتين المقاطعتين بالإضافة إلى مقاطعة « يبو (الفنتين) » لم تقبل حكم ملوك « قفط » دون قتال ومقاومة وإنتهى الأمر بإنحسار نفوذ « قفط » وإنتقال السلطة فيما بعد إلى طيبة كما حدث وسنشير إليه فى حينه [١] .

وكما يرى « كورت زيته Sethe, K. » بأن السلطة التى توفرت لهم لم تستمر أكثر من أربعين عاماً [٢] .

بينما يرى (هيز Hayes) ويؤيده فى ذلك (فوركتيه Vercoutter) بأن آخر الملوك الثلاثة فى الأسرة الثامنة المنفية قد سجلت أسماؤهم على مجموعة مراسيم ملكية أصدرها بشأن طقوس جنازية وجدت منحوتة على حوائط معبد « مين Min » فى قفط ، وتعيين « شماى » أميرا للاقليم وابنه « أيدى » وهما من أسرة قوية هناك فى منصب الوزير وحاكم مصر العليا وهى كغيرها من المراسيم الملكية التى كان يصدرها ملوك الدولة القديمة وتسجل على الواح من الحجر الجيرى ووضعت فى مدخل معبد « مين Min » وبالتالى فإن هذا لايمكن أن يكون سببا فى الإعتقاد بأن هناك أسرة ملكية مستقلة قامت فى « قفط » أو فى « أبيدوس » والمدون فى معبد « مين » هى مراسيم ملوكها كما رأى بعض المورخين [٣] واحد هذه المراسيم يثبت « شماى Shemay » فى وزارته على أقاليم مصر العليا الاثنين والعشرين ، والثانى يعين ابنه « ايدى Idy » كحاكم

---

(١) Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., P. 215 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤٠٣ .

(٣) Hayes , W. C., Op. Cit., P. 136 .

وكذا : Vercoutter , J., Op. Cit., P. 331 .

على مصر العليا في أقصى الأقاليم الجنوبية السبعة والنص الخاص بـ « أيدى » كامل تقريبا .

ولا أثر هناك في هذه النصوص لأى اضطراب سياسي ولكن يمكننا أن نستنتج أنها تدل على رغبة الملك في إرضاء أحد كبار حكام مصر العليا والضعف الذى إنتاب الملكية في « منف » حيث تهدف هذه المراسيم إلى إبراز التحالف بين الملك وكل من « شماى » وأبنه الذين كانوا بدورهم نبلاء مقاطعات في قفط، وهو برهان على ان الأسرة الثامنة شهدت تحولا من نبلاء مقاطعات إلى مستخدمى قصر ملكى ضعيف يعترف فيه الفرعون بالأمر الواقع من حيث قوة هؤلاء الحكام في الوقت الذى عادت فيه مصر إلى مجموعة ولايات متصارعة [(١)] .

ومن المرجح أنه خلال تلك الفترة المضطربة منذ أواخر حكم الأسرة السادسة حتى الأسرة الحادية عشرة فإن الثورات لم تنقطع إلا لتعود بعد فترة مما جعل فكرة الملكية الالهية نفسها موضع تساؤل .

ولقد وجد لدينا نص يشير إلى تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر وهو ما يعرف « ببردية ليدن » * الخاص بذلك الحكيم المصرى « إيبوور » وهو يصف

---

(1) Ibid ., P. 331 .

* بردية « ليدن » الخاصة بنبؤات وتحذيرات « ايبوور » عبارةعن مخطوط كتب في الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ربما من نص أصلى من الفترة بين المملكة القديمة والوسطى حيث تطابق الحالة تلك الفترة .

والنص في حالة حفظ يرثى لها، وقد ترجم النص الأول مرة بمعرفة العالم الاثرى الدانمركى « لنج Lange H. » والدراسة النهائية للنص مازالت للعلامة « جاردنر Gardiner » تحت عنوان : The admonition from Egyptian Sage (Leipzig, 1909)

وترجمت الدراسة إلى لغات اخرى متعددة منها الارامية والفرنسية وغيرها .

عن مزيد من التفاصيل انظر

WilSon, J., The Admonitions of Ipo-Wer, ANET, P. 441 .

الحالة فى مصر وما حدث فى البلاد من بؤس وشدة بعبارات تنم عن المعاناة كما وصف انعكاسات الحالة الداخلية على خارج مصر وأوصى فى مقالة بضرورة الاصلاح وإيجاد اسس جديدة يقوم عليها عصر جديد .

وعلى الرغم أن المخطوط مجزأ ولا يسمح بمعنى متكامل ومتصل ولكنه يبدو واضحا منه أن مصر عانت من إنهيار الحكم مصحوبا بفوضى إجتماعية واقتصادية وسياسية .

وقد قوبلت تلك المصائب من السلطة المهيمنة على الأمور بعدم المبالاة مما جعل مفكروا تلك الفترة ومنهم حكيمنا « ايبوورIpu-wer » الذى لا نعرف عن شخصيته شيئا يقدم تقريرا للملك عن الفوضى الضارية فى البلاد، والفرعون المشار إليه غير معروفة شخصيته ويرى « جاردنرGardiner A. » أن الفرعون المقصود ربما كان من بين آخر فرع لملوك منف (١) .

ويتفق معه كل من « ويلسون Wilson » و « وفوركتيه Vercoutter » و « هيز Hayes » بأن تلك الحالة الموصوفة تنطبق على تلك الفترة من التاريخ المصرى بعد سقوط الملكية وأن الفرعون المشار إليه ربما هو أحد حكام الأسرة السادسة أو أحد ملوك الأسر الضعيفة اللاحقة (٢) .

ويتفق الجميع أنه من المستحيل تحديد الوقت المعين لحدوث ذلك الاضطراب الخطير الذى أشارت إليه بردية « ليدن » ولو أنه حدوثه حقيقة لاشك فيه، ومن المحتمل أن الفوضى ظلت مستمرة بصورة مستمرة أو متقطعة خلال عصر الفترة الأولى وحتى قيام الأسرة الحادية عشرة .

---

(١) Gardiner, A., Op. Cit., 109 - 110 .

(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 441 .

وكذا : Vercoutter, J., Op. Cit., P. 329 .

والبردية مثلها مثل نصوص مصرية كثيرة ضاع أولها وآخرها وهى لا تتبع نظاما أو ترتيبا منطقيا للأحداث ولكنها من الآثار الهامة جدا والتى تلقى ضوءا عن الحالة الفعلية لتلك الفترة، كما تعطينا صورة للاضطراب العام بين الحكومة والادارات التابعة لها، والعلاقة بالأجانب فى مصر وتسلل عناصر البدو الآسيويين إلى الدلتا الذين بدأ دخولهم الأراضى المصرية أواخر حكم « ببى الثانى » منتهزين فرصة الفوضى وتفتت السلطة لكى ينعموا بالخير والاستقرار على أرض الدلتا الغنية بخيراتها .

ويتضح من تلك الرواية التى سردها لنا « ونى » أن مصر واجهت مشاكل من هؤلاء الرحل الذى اشار إليه نصه بإصطلاح (عامو حريوشع C3m- hrywsa بمعنى أولئك الذين فوق الرمال) [١] .

ولقد اختلفت آراء العلماء عن الكيفية التى جاء بها هؤلاء الآسيويين إلى مصر وفى الوقت الذى يعتقد فيه « جاردنر Gardiner » بأن هذا العصيان أوكلت مهمة القضاء عليه إلى « ونى » فانه يمثل فى الواقع أول موجة من الضغط الآسيوى التى سببت لمصر المتاعب أثناء محنتها بعد سقوط الدولة القديمة[٢]، ويؤيده فى هذا الرأى مجموعة من العلماء حيث يرى « دريوتون وفانديه Drioton , Vandier » أنه على الرغم من الهزيمة الثقيلة التى نزلت بالبدو أيام « ببى الأول » إلا انهم تحينوا الفرصة المناسبة لكى يغزوا مصر وقد لاحت لهم فى نهاية الحكم الطويل للملك « ببى الثانى » حيث كانت الحالة مهيئة لهم، ففى صعيد مصر كان الحكام مشغولين بتنظيم أقاليمهم كممالك صغيرة مستقلة وفى العاصمة (منف) كان الملك المسن عاجز عن المقاومة، أما

---

(١) Breasted , J.H., Ancient Records of Egypt , P. 142 .

(١) Gardiner, A., Op. Cit., P. 99.

فى الدلتا فلربما كانت هناك محاولة للمقاومة ولكن فى غياب الوثائق الدالة عن ذلك فإنه لا يمكن تأكيد هذا الغرض [١] .

وكذلك يؤكد « بيكى Baikie » آراء « بترى Petrie » التى ترى أنه بنهاية الأسرة السادسة ضعفت البلاد وإضطربت نتيجة شيخوخة الملك « ببى الثانى » ولذا غزوها وربما إحتلت الدلتا وجزء من صعيد مصر وذلك بواسطة عناصر من الشمال الشرقى لسوريا (عناصر آمورية)، بل ويضيف « بترى» أن مصر قد تعرضت لغزو آخر من الجنوب نجح فى تهديد طيبة وفيما بعد أعطى مصر فرعين من الملوك وهم ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة [٢] .، وهناك رأى آخر لمجموعة من المؤرخين الأجانب ومنهم (هيز .Hayes, W) وغيره الذين ارجعوا دخول هؤلاء الآسيويين البلاد مستغلين حالة الفوضى والحرب الأهلية والتنافس بين الأقاليم المختلفة ووجود جماعات النهب حيث تسلل هؤلاء البدو من سيناء وجنوب فلسطين مقيمين فى الدلتا [٣] .، وهونفس رأى مجموعة من المؤرخين الوطنيين التى أشارت إليه أنه كان تسللا وليس غزوا قامت به جماعات مهاجرة منتهزة ضعف الملكية المصرية والحالة التى كانت عليها البلاد من تنافس وفساد الكهنة وجشعهم [٤] .، وهو ما يؤكده « ولسون .J , Wilson » حيث يرى ان النصوص المصرية القديمة ترجع مسئولية الفوضى والضعف التى انتابت مصر إلى دخول البدو الآسيويين للدلتا فى حين ان هذا يعد تهربا من مسئولية الفساد، لان هؤلاء البدو لم يأتوا غازين بل أنهم انتهزوا فرصة أختلال الأمور بالدلتا ليتوغلوا فى البلاد، مما زاد الأمور إضطرابا وأدى إلى إنفصال الدلتا وإنقطاع الضرائب عن العاصمة وبإنتهاء عصر

---

(١) Drioton , E., Wandier, J., 22 P. Cit., P. 213 .

(٢) Baikie, J., Op. Cit., P. 221 .

(٣) Hayes, W. C., Op. Cit., P. 135 .

(٤) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٨٢٢ – ٨٨ .

الفترة الأولى فانهم كانوا قد امتزجوا بالمصريين [١]، ويبدوا أن الأنسان المصرى القديم ولأسباب نفسية قد تجاهل العوامل الأخرى التى سببت الإضطراب والقى بمسئولية ذلك على الأجانب وحملهم أسباب هذه الفوضى ويصف « ايبوور » ذلك :

« .... حقا ، الصحراء منبسطة فى البلاد المقاطعات مدمرة البرابرة من الخارج أتوا إلى مصر ، لا يوجد أناسا فى أى مكان ..... » [٢] .

كان المصريون يستعملون كلمات : الناس ، الإنسان، الرجال للدلالة على أنفسهم على عكس الأجانب الذين لم يكونوا يعتبروا أناسا حقيقيين لسبق المصريين الحضارى عليهم وإحساسهم بذلك ويستمر النص :

« ... حقا أرض الدلتا الخصبة لن تخفى بعد الآن وثقة أرض الشمال أصبحت طريقا معبدا ، ماذا نستطيع أن نفعل أنظر أنه فى أيدى الذين لم يعرفوا، والذين عرفوا، الأجانب الآن مهرة فى العمل فى الدلتا ... » [٣] .

ويقصد « ايبوور » أن خيرات الدلتا أصبحت مباحة بسبب الاهمال فى حماية حدود مصر الشرقية وأن الطريق فى مصر السفلى ممهدة للأجانب ليدخلوا البلاد ويقيموا بها فى الوقت الذى عجزت السلطة عن القيام بأى شئ

---

(١) Wilson , J., The Burden of Egypt, P. 106 ff.

(٢) Wilson , J., The Admonitions of Ipr.- Wer, ANET, P. 441 .

(٣) Ibid., P. 442 .

وكذا :

Hayes , W.C., Op. Cit., P. 135 .

لوقف هذه الجماعات [١]، وأيضا عجز السلطة حتى عن ارسال الحملات والبعثات التى كانت ترسل إلى الخارج مما يعود بالخير والرخاء من جراء تلك الأنشطة الاقتصادية ويصف النص ذلك :

« .... لا احد يبحر اليوم شمالا إلى « بيبلوس »
(فى اتجاه بيبلوس) ماذا سنفعل (بشأن خشب
شجرة الأرز لاستبدال أكفان موتانا التى يستخدمها
الكهنة، النبلاء كانوا يدهنون بالزيت الذى يأتى من
« كفيتى » (يرجح أنها كريت) ولكنه لم يعد يجئ ،
والذهب يتناقص (–) ، كم هو مهم (الآن عندما
يأتى سكان الواحات حاملين المؤن.... » [٢] .

ومن المرجح أن منتجات الواحات لم تكن ذات قيمة بالنسبة إلى تلك البعثات الاقتصادية التى اعتاد الملوك أن يرسلوها إلى الشمال والجنوب التى توقفت لإنهيار الحالة الداخلية وتعرض حياة المسافرين للأخطار والسلب والنهب والمنازعات بين المقاطعات المختلفة وحدوث الثورة الاجتماعية التى جاءت مصحوبة باستمرار التسلل الأجنبى للبلاد .

والمعنى السابق يتفق مع ما ذكره المتنبىء « نفر رهو »* الذى أشار أن قلة تدابير الأمن هى التى سببت دخول البدو والرحل للبلاد :

---

(١) ج. برستد : تطور الفكر والدين ، ص ٢٩٢ .

(١) Wilson , J., Op. Cit., PP. 441 - 442 .

* « نفر رهو » (نفرتى) : Neferti : كاهن حكيم ولد فى مقاطعة أون (هليوبوليس) وكان كاهنا فى « بوباسطة » ويرجح أن نبوءته كتبت فى عصر الدولة الوسطى ، أنظر :
Wilson, J., The Prophecy of Neferti , Anet, P. 444 ff.

« ... حيث جاء الأعداء الآسيويين من الشرق إلى
مصر لن يصغى أحد من الحماة ، سيشرب وحوش
الصحراء (المقصود بهم الآسيويين) من مياه النيل .
وسيمرحون على ضفتيه لعدم وجود القوة التى
تطردهم ...» (١) .

ومن المؤكد أيضا أن السبب فى توقف التجارة الخارجية مرجعه إلى إنهيار التركيب الاجتماعى للمجتمع وسوء الحالة الداخلية التى شغلت حيز كبير من نص « ايبوور » ، يختار منها الدارس بعض الفقرات المعبرة عن ذلك .

« .... يقول [حارس] البوابات : هيا بنا ننهب ...
الرجل المكلف بالنظافة يرفض حملها ... [رجال]
الدلتا يحملون الدروع (دليلا على القسوة والعنف)
الرجل الفاضل يسير فى حزن لما حل بالبلاد ...
لماذا حقا الوجه شاحب وحامل القوس مستعد
السرقة فى كل مكان، لايوجد رجل الأمس (حيث
الماضى باستقراره والوقت
الطيب الممنوح له من الآلهة) —
النيل يفيض (ولكن) لا احد يحرث لنفسه لأن كل
واحد يقول : أننا لا نعرف ما عساه يحدث للأرض
لماذا حقا لقد نضبت النساء ولم تعد تستطيع
الانجاب ...».

---

(١) Ibid., P. 444.

لقد انقلبت الأمور وهو لذلك يستخدم تشبيه ملموس فى حياته الدينية والعملية وهو الاله « خنوم » وعجلة الفخار للدلالة على سوء الحالة الاجتماعية

« . . خنوم لا يستطيع تشكيل الآدميين بسبب حالة

الأرض ، الرجال الفقراء أصبحوا يمتلكون الكنوز ،

الذى لم يكن يستطيع أن يعمل لنفسه زوج صنادل

أصبح (الآن) يمتلك الثروات » (١)

ويستمر الحكيم فى وصفه موضحا الأحوال التى طرأ عليها التغيير :

« . كثيرا من الموتى دفنوا فى النهر والمجرى

اصبح (بمثابة) مقبرة ومكان التحنيط أصبح مجرى

(النهر) ، النبلاء فى حزن بينما الفقراء فى مرح ،

وكل مدينة تقول دعنا نطرح (نقص) كثير منا (ربما

للدلالة على الفقر والجوع) والقذارة تعم البلاد ولا

يوجد أحد (ذو) ملابس بيضاء فى ذلك الوقت ،

الأرض تدور (الأوضاع تنقلب) مثل عجلة الفخار ،

اللص (اصبح الآن) هو سيد الثروة

النهر (ملئ) بالدم وإذا شرب منه أحد فهناك

من يمنعه ويظل عطشان . . » (٢) .

---

(١) Ibid., P. 441 .

(٢) Ibid., P. 441.

وفى هذا دلالة على العنف والقسوة التى انتشرت فى البلاد حيث يغطى الدم كل مكان [1] ، وامتدت سوء الأحوال فشملت كل شئ حتى الإدارات وموظفى القصر أنفسهم الذين أهملوا واجباتهم حيث إمتدت الثورة إلى قاعة المحكمة وأرشيفها ممزقة ناهبة كل شئ، والمكاتب العمومية انتهكت وكشوف الاحصائيات مزقت ، والمعروف أن المكان السرى للادارة ، يحتوى على مكاتبات مدنية ودينية لا تفتتح للعاديين من الشعب وللحصول عليها والرجوع إلى ما فيها يلزم للفرد أن يتبع قواعد معينة بهذا الصدد [2] .

« ... مكاتبات الكتبة نقلت من مكانها (وحملت
بعيدا) وقوت (غذاء) مصر فى متناول أى شخص
(ربما يعنى هذا أن المخازن الحكومية قد نهبت) ،
والقوانين ألقى بها بعيدا والناس يسيرون عليها فى
الطرقات والفقراء يمزقونها فى الشوارع ...» [3] .

ويتضح من النص أن القوانين التى تنظم الحياة والتبادل فى غياب الحق لم تعد ذات قيمة فالعامة تدوس عليها بالفعل فى الطرقات والفقراء يقطعونها فى الطريق والضرائب لا تجبى بسبب الحرب الأهلية :

« ... الفنتين واقليم ثنى و [المكان المقدس] لمصر
العليا لا يدفعون ضرائب بسبب الحرب [الأهلية]
... وبيت المال بدون دخل ..

---

(1) Hayes , W.C., Op. Cit., P. 135 .

(٢) ج. برستد ، نفس المرجع السابق، ص ٢٩١ .

(3) Wilson , J., Op. Cit., P. 442 .

انظر لأن النار تصاعدت أعلى ولهيبها امتد تجاه

أعداء البلاد (الأرض).

انظر الآن لقد حدث شئ لم يحدث أبدا منذ زمن

بعيد لقد استولى الفقراء على الملك.

انظر الذى دفن على أنه صقر (اله) (يرقد الآن)

في تابوت عادى، وما كانت الأهرام تخفيه أصبح

خاليا، انظر الآن لقد وصلنا إلى درجة (نقطة)

تدار معها الأرض الملكية (تنهب) بواسطة عدد

قليل من الرجال غير المسئوليين،

انظر الآن لقد وصلنا لدرجة يثور معها (الرجال)

ضد آريوس (علامة الملكية) .. لـ « رع » الذى يجعل

الأرضين سالمتين .

انظر سر الأرض التى لا يعرف حدودها أصبحت

مكشوفة . انظر الثعبان (الحارس) قد أخرج من

حجرة (الثعبان المؤله الذى كان يحرس المعبد

والقصر) وأسرار ملك مصر العليا والسفلى

أصبحت عارية مكشوفة ...» (1) .

---

(1) Ibid. , P. 442 .

ويتضح من العبارة السابقة سوء الحالة التى وصلت إليها البلاد وهى نتيجة طبيعية أو تطور لملك ضعيف لا يملك القدرة على إصلاح الأمور وإعادة الأمن والإستقرار إلى ما كان عليه وبالتالى اتسعت الثورة حتى عليه نفسه وعلى جهازه الإدارى البعيد عن أداء الواجب بالصورة المطلوبة ويبدو من بعض الفقرات أن الأيدى قد امتدت إلى الملك نفسه وإلى المقدسات الدينية التى إعتقد فيها الإنسان المصرى منذ فجر تاريخه وفى هذه الفقرات السابقة فإن كاتب النص يوجه إتهامه العلنى للملك ويحمله مسئولية محاربة هذا الفساد الذى رغم فداحته فإن القصر وعلى راسه الملك لا يبالى بسبب ضعفه الشديد أو أن مظاهر الفساد قد بلغت درجة أعظم من طاقته .

والسطور السابقة عن مصير الملكية فى نص « ايبوور » غير واضحة تماما وتضعنا أمام تساؤلات عدة .

هل خلع الملك بواسطة الجماهير وحل محله ملك آخر شرعى أو غير شرعى حاول بدون جدوى اعادة النظام لأرض الكنانة .

وبرغم أن هذا الحدث وفى تلك الفترة المؤلمة من تاريخ مصر يعد من مفاخر ذلك العصر الذى قام فيه شعب مصر فى ثورة عاتية مطالبا بحقه فى الحياة والعدل الاجتماعى، فإن الأدلة تعوزنا وخاصة أن النص ملئ بالفجوات والتناقضات مما يزيد من غموضه .

ويفترض « شبيجل Spiegel » أن الملك المخلوع هو « مرن رع الثانى » (الأسرة السادسة) وخلفه هو ملك الأسرة الثامنة على إعتبار أن الأسرة السابعة لم يكن لها وجود (١) ، بينما يرى « دريوتون وفانديه » أن الشعب قد انتهز الفرصة ليعبر عن سخطه للأحوال التى آلت إليها البلاد فى أواخر الأسرة السادسة

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 330 .

ليقوم بثورته التي حدثت مع آخر ملوك الأسرة « مرن رع الثاني » و « نيتوكريس »[١] .

ولقد وصف « ايبوور » الملك المثالي الذي سيعيد المجد والاستقرار إلى شطري الوادي وسيحرر مصر من اعدائها ووازن في عبارات تحمل كل الأماني بين الحاكم الحالي وبين عهد اله الشمس « رع » الحاكم العادل الذي لا يحمل في قلبه سوى الخير .

« ... سيأتي الوقت الذي يأتي فيه الهدوء إلى القلب،
سيقول الرجال : انه راع كل الرجال الشر ليس في
قلبه وربما قطيعه صغير إلا انه أمضى النهار كله
للعناية به ... » .

ثم يعقب ذلك بفقرة غير واضحة وكما يرى « ويلسون Wilson » فإنها ربما تشير إلى الاله « رع » ويحتمل ايضا انها تشير إلى المستقبل :

« ... ليته قد أدرك افعالهم منذ خلقهم في
(الجيل) الأول لكان ضربهم (وقضى على) الشر
ولكان قد مد زراعه ضده ولكان قد قضى على بذرته
وإرثهم ... » [٢] .

ثم يتساءل « ايبوور » عن شخص هذا الملك الذي هو بمثابة الحل والاصلاح للأمور المضطربة :

---

(١) Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., PP. 213 - 214 .
(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 443

« ... أين هو اليوم ؟ هل هو نائم ؟ انظر المجد لا

يمكن رؤيته ... »

ثم يمضى فى بيان ما يجب أن يتحلى به الملك من صفات :

« ... السلطة أو ما يعنى النطق الآمر

الفهم (الادراك) .

ثم العدالة (الحقيقة والنظام)

وهى قد اضطربت معك فى البلاد ... » (١).

ثم يعود الحكيم موضحا الحالة الكئيبة التى وصلت إليها البلاد وضرورة الاصلاح حتى يتحقق الرخاء ونهاية النص ورد الملك وإجابة « ايبوور » عليه محذوفة ويبدو أن حكيمنا كان يجابه أعذار الملك الضعيف بما يمثله الواقع من مرارة يتألم لها كل مصري غيور على وطنه والذى يهم الدارس أن يوضحه هو ما انفرد به عصر الأنتقال الأول أنه كان العصر الأول الذى جرأ فيه شخص من الشعب على الوقوف أمام مليكه معددا مساوئ الحكم مطالبا بضرورة الرجوع إلى الحكم الصالح مصرا على تحقيق العدالة ومعرفة الحقيقة وهو ما توضحه عبارة « ايبوور » :

« ... يجب أن يغتبط قلب الملك حين تأتى

إليه الحقيقة » (٢) .

وفى وجود الملك لم يتردد عن الافصاح عن النتيجة الضارة التى نجمت عن إحتفاظه وأمثاله من الحكماء والشعب بالحقيقة وعدم التصدى للفساد وهذا

---

(١) Ibid., P. 443 .

(٢) Ibid., P. 442 .

يعتبر مفخرة للحضارة المصرية وقيمها العظيمة التى حثت على ذكر الحقيقة ونبذ السلبية وهو ما دعت إليه الأديان السماوية فيما بعد :

« ... لو كنت رفعت صوتى من وقتها كان ذلك
يريحنى من العذاب الذى أعانيه الآن ... »

كذلك يتضح من نص « ايبوور » والصفات التى يجب أن يتحلى بها الحاكم المثالى من أغراض خيرة وأخلاق لا تشوبها شائبة وجهاده من أجل الخير وقضائه على الشر يعد إنجاز للفكر المصرى القديم فى تلك الفترة [١] ، وهناك نص هام ينتمى إلى تلك الفترة سجله أديب مصرى سأم مظاهر الفساد وإضطراب الأحوال فى عصره فدخل فى حوار مع روحه من أجل أن ينهى حياته وفى البداية فإن روحه ترفض الفكرة ثم وافقتها [٢] ، ويمكن اعتبار النص كما يرى الدكتور عبد العزيز صالح تعبيرا عن التشاؤم واليأس الذى انتاب الإنسان المصرى القديم فى تلك الفترة أو انتابت ذلك الأديب صاحب ذلك الحوار الذى ناقش روحه كأنها شخص آخر قام بذاته شارحا لها سوء الأحوال فى عصره وسوء طالعه بينما تمسكت روحه بالحياة الدنيا راغبة أن يترك الحياة فى العالم الآخر عندما يحين وقته، ثم اقترحت عليه الانتحار حرقا ولكنه تردد وفى النهاية حكى لها أسباب تشاؤمه ويأسه فى أربع قصائد [٣]، فى الأولى وصف لها مقت المجتمع له بدون وجه حق والظلم الواقع عليه بصفة خاصة .

وفى الفقرة الثانية يتحدث عن إضطراب الأحوال فى المجتمع بصفة عامة فى عبارات أدبية منها :

« ... لمن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يتذكر

---

(١) ج. برستد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 342 .

(٣) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

الماضى لمن اتحدث اليوم ولم يعد هناك الرجال المتحلين بالحق

وما يهمنا أن نوضحه الآن وحسب ما وجدناه من نصوص قليلة للأسرة الثامنة وهو أن آخر ملوك هذه الأسرة كان لهم نفوذ محدود فالدلتا تعانى فساد الأحوال الإقتصادية وإضطراب الأوضاع الاجتماعية وممتلئة بالرحل الآسيويين كما أوضحنا وبالتالى أصبحت خارج سيطرة الحكومة المنفية ، والجنوب بما يحويه من مقاطعات هامة مثل (ثنى بالقرب من أبيدوس) بمركزها الدينى الهام، ومقاطعة « يبو (الفنتين) كمدخل للنوبة ، وغير ذلك من مقاطعات، الجميع يعترفون بالسلطة الملكية ولكنهم نادرا ما كانوا يطيعونها لما تعنيه من ضعف .

وهكذا لا يبقى للملك الجالس فى العاصمة سوى الحكم على منطقة صغيرة حول منف وبعض الأمراء القليلون الذين يدينون له بالطاعة مثل امراء قفط وغيرها .

غير أن هذه السلطات أيضا قد نزعت من آخر ملوك الأسرة الثامنة نتيجة نجاح حكام اقليم « أهناسيا » (هرقليوبوليس) الذى أقام الأسرة التاسعة معتبرا من نفسه وخلفائه ملوكا على مصر كلها خلفا لملوك مصر القدامى [١] .

ملوك أهناسيا :

حوالى عام ٢٢٤٢ ق.م. استولى « خيتى » (الأول) على عرش مصر ونادى بنفسه ملكا على كل من الوجه القبلى والبحرى ، وبذلك إنتقل مركز الحكم والثقل من « منف » إلى « أهناسيا » (الاقليم العشرين من مصر العليا) [٢]، والظروف التى أدت إلى نشأة أسرة « خيتى » تحيط بها الغموض .

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

(٢) Hayes , W. C., Op. Cit., P. 143 .

وكذا : Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., P. 215 .

وتقع عاصمة الاقليم « نن نسوت » وهى مدينة « اهناسيا » الحالية على الضفة الغربية من نهر النيل مقابل «بنى سويف » على بعد ٥٥ ميل إلى جنوب منف القديمة وعاصمة الملك الجديد « خيتى » (الأول) كانت أصلا مركزا هاما قبل توحيد القطرين بصفتها عاصمة ملوك الوجه القبلى ومن الناحية الدينية. إرتبطت بآلهة « تاسرع أون » وبذلك كانت من الأماكن المقدسة فى البلاد [١]

ومن الناحية الاستراتيجية كان موقف حاكم « نن نسوت Nen - neswt » ممتازا عند مصب نهر الفيوم وهى منطقة تعد من احدى اغنى مناطق مصر الزراعية، كان اذن قريبا من « منف » ولكن هناك مسافة كافية بين أراضيه وبين جماعات الآسيويين فى الدلتا، كما كان أيضا بعيدا عن الجنوب وحكام مقاطعاتها المحاربين فى طيبه وأبو (الفنتين) [٢]، وهم الذين تسببوا فى نهاية حكمه فيما بعد حينما اكتملت لهم أسباب القوة .

ولم يجئ ذكر الملوك الاهناسيين فى قائمة أبيدوس أو سقارة ومصادرنا الرئيسية « مانيتو » و « بردية تورين » .

ويأتى اسم « خيتى » فى أول قائمة « مانيتون » للملوك الأهناسيين وهو لا يفصل بين الأسرة التاسعة والعاشرة ولكنه جعل لكل منهما سنوات حكم منفصلة فقدر للأسرة التاسعة ١٩ ملكا حكموا ١٨٥ عاما .

---

(١) Hayes , W. C., Op. Cit., P. 143 .

وكذا :

Baikie , J., Op. Cit., P. 222.

(٢) Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., PP. 215 - 216 .

وكذا :

Maspero, G., Historie Ancienne des Peuples do L'Oriont, Paris, 1978, P. 95 .

وبردية « تورين » برغم أنها دونت أسماء ثلاثة عشر ملك فإننا لم نستدل إلا على أربعة أسماء فقط، وابتداء من الاسم السادس حتى النهاية فهى ضائعة أو غير كاملة .

وتدل أسماء ملوك هذه الأسرة مثل « نفر كارع Nfr K3 Rc » و « نب كارع Nb K3 Rc » إلى أن الأسرة أيضا كانت تود التمسك بتقاليد المملكة الممفية القديمة (١) .

وهكذا فإننا لا نستطيع أن نجزم بترتيب فراعنة هذه الأسرة لكن المؤكد حاليا أن « خيتى الأول » هو « مرى أيب رع » (بمعنى حبيب قلب رع) وقد حكم نحو ٤٢ عاما تقريبا (٢٢٤٢ – ٢٢٠٠ ق.م.) (٢)، و « مانيتون » يقول عنه أنه تصرف بقسوة أكثر من كل الملوك الذين سبقوه (ربما لتدعيم حكمه) وبعض الكتاب الأغريق (اسيبيوس ، ارستنيوس) يقولون أنه أصيب بالجنون فى نهاية عمره وقتل بواسطة تمساح (٣) .

ومن الأدلة الأثرية التى تؤكد وجود « خيتى » (الأول) عثورنا على إناء من النحاس موجود الآن فى اللوفر بالاضافة إلى عصا من الأبنوس وبعض الآثار الأخرى القليلة الأهمية عثر عليها فى « مير » وتحمل اسمه، ثانى من حمل هذا الاسم هو « واح كارع Wh Ka Rc » عرفناه عن طريق تابوت عثر عليه فى « البرشا » ، El-Bersheha وهناك أيضا ملك يحمل نفس اللقب هو « اختوى تب كارع »(Nb K3 Rc) وقد جاء اسمه فى حفائر « بترى Petrie » فى الرتابة كما جاء ذكره فى قصة الفلاح الفصيح (٤) .

---

(1) Breasted , J. H., A History of Egypt , P. 147 .

(٢) سليم حسن ، مصر القديمة، جـ١ ، القاهرة ، ص ٢١٦ .

(3) Petrie, F., Op. Cit., P. 112 .

(4) Gardiner, A., Op. Cit., P. 112 .

ومن المعروف ان اسم « خيتى Khety » من الأسماء الشائعة وهناك أكثر من ستة وثلاثون اسم فى تلك الفترة لملوك وحكام وغيرهم (١) .

وما يهمنا الآن ان أسرة هيراقليوبوليس (أهناسيا) سواء الأسرة التاسعة أو التالية لها اى منذ قيامها حتى حدوث الصدام بينهما وبين طيبة فى الجنوب فإنها قد أعطت مصر الوسطى قدراً كبيرا من الاستقرار مما جعل تلك الفترة هى الفترة الغنية للأدب المصرى وجاءت بنتائج هامة ساعدت الباحثين فى إلقاء ضوء على تلك الفترة بفضل ما تركته لنا من نصوص (٢) .

وتعتبر تعاليم « خيتى » إلى ابنه « مرى كارع » من اهم نصوص تلك الفترة فهى مرآة تنعكس عليها هذه الروح الجديدة التى كان لها اثرها فيما بعد وانتهجه الحكام وعملوا عليه وهو ما طالعتنا به الأيام فيما بعد بتلك الوصية السياسية الخاصة بنصائح الملك « أمنمحات » لمن سيخلفه من ملوك المستقبل .

وبالاضافة إلى تلك الإرشادات من فنون السياسة والادارة فهى تحوى اشارات واضحة إلى الأحداث المعاصرة وعن مجموعة من القيم الخاصة بالأخلاق والسلوك وأهمية الحياة المستقيمة الصالحة والحث ان يحكم ابنه وفى ذهنه الحياة فى العالم الآخر ، وهى المرة الأولى التى يعترف فيها أحد الملوك إلى ابنه وبتواضع خلقى غير مألوف بل مستحيل أيام الدولة القديمة أنه أخطأ ويستحق عقاب الآلهة .

ونستشف منها أيضا ذلك التحول الكبير فى مفهوم الملكية الإلهية والقوة بين المملكة القديمة والفترات التى تلتها وهو ما أوضحته نصوص تلك الفترة

---

(١) Pertrie , F., Op. Cit., P. 115 .

(٢) Wilson , J., The Burden of Egypt , P. 105 .

حيث كان التعبير عن القيم الجديدة روحيا وإجتماعيا مما كان له انعاكسه على أدب تلك الفترة . الأمر الذى حدا بالدارس إلى إلقاء مزيد من الضوء على ذلك النص الهام .

التعاليم إلى مرى كارع :

لازال الملك صاحب تلك التعاليم الهامة غير معلومه لنا شخصيته بالتحديد، فبينما يقترح « شارف Scharff » ان يكون مؤلفها هو « خيتى الثانى Wah. Ka. Ra » فان « فوركتيه Vercoutter » ، معه « دريتون Drioton » يرون أنه « خيتى الثالث » هو التى تنسب إليه هذه التعاليم، فى الوقت الذى يرى فيه « جاردنر Gardiner » أنه ليس أول من يحملون لقب « خيتى » بينما يرى « هيث Hayes » انه رابع من حمل هذا الاسم(١) .

وإلى أن يكشف البحث العلمى الغموض عن صاحب هذه التعاليم فإن المخطوط الرئيسى لتعاليم الملك « خيتى » لابنه « مرى كارع » موجود فى بردية تعرف « ببردية لينجراد رقم 1116 A » وقد نشرها " Golenischeff" وهناك مخطوطان ثانويان أحدهما بموسكو والآخر فى كبنهاجن وقد تمت ترجمتهما .

والمخطوطات الثلاثة حسب خصائصها الخطية ترجع إلى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) غير أنها وحسب ما تضمنته من وصف ترجع إلى تلك الفترة المعروفة بعصر الفترة الأولى والتى انقلب فيها نظام البلاد .

والجزء الأول من النص مفقود ويبدو أن هذا الجزء يخص السيطرة على ثورة من تلك الثورات المنتشرة فى تلك الفترة حيث ينصح ابنه بالحذر من المشاغبين والتخلص منهم :

---

(١) Wilson , J., The Instruction for King Meri. Ka-Re, Anet, PP.414- 415.

« .... [إذا وجدت رجل] ... تابعيه كثيرين (–)

وهو لطيف فى نظرته لجماعته (متحيز) ... سريع

الهياج ... ابعده ، اقتله ، امسح اسمه (اقضى)

على جماعته واطرد ذاكرته هو وتابعيه ومن

يحبوه ، الرجل الميال للخلاف مزعج لمواطنيه ، وهو

يكون حزبين من خلال الشباب وإذا وجدت

المواطنين إنحازوا إليه اتهمه علنا فى حضور

(موظفى) القصر وابعده، أنه أيضا خائن ...»[1] .

وبالرغم من قيمة تعاليم « خيتى » من الناحية السياسية ووصف الحالة الاجتماعية للبلاد فإنها قد تضمنت – كما سبق القول – مجموعة من القيم الخلقية تعد من أروع القيم للحياة والسلوك .

فبالنسبة لشخص الحاكم والرجل الحكيم فهو يشير إلى أهمية حسن الكلام ويدعو ابنه إلى الحرص فيه لكى تبقى مكانته لأن الحديث الجيد هو قوة الإنسان وهو بمثابة سلاح له ، وهو يتمسك بفضائل الماضى حيث المجد والحكمة :

« ... كن صانع ماهر للحديث ان هذا يجعلك قوى

اللسان (مثل) السيف (للرجل) والكلام اكثر شجاعة

من اى قتال، لا يستطيع احد ان ينال من الرجل

الواعى (المدرك) ، ومن تعرف حكمته لا تهاجمه،

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 415 .

الحقيقة تأتى إليه كاملة وتبعا لقول الأجداد : خذ عن
والدك واجدادك، انظر كلماتهم تبقى مكتوبة ، افتح
(الكتب) لعلك تستطيع قراءة ونسخ حكمتهم ،
وبذلك يصبح الرجل الماهر متعلما[1] .

ومن المؤكد أن تعاليم الحكماء أمثال «بتاح حوتب» وغيره كانت لا تزال تحظى بالاحترام والتقدير ، والفقرة السابقة تتفق فى معناها من حيث أهمية الكلام الحسن مع تعاليم «بتاح حوتب» غير أنها تختلف فى روحها نتيجة لما مر بالملكية ومصر نفسها من أحداث فبينما كان الوزير الحكيم «بتاح حوتب» مهتما بالنجاح الدنيوى ورضاء الملك الاله فإن مليكنا «خيتى» ينصح ابنه بأهمية ضمان رضى الاله للتمتع بحياة طيبة فى عالم الآخرة ولذلك فإن عليه أن يتحلى بالشفقة :

« ... لا تكن شريرا ، فالشفقة طيبة ، اجعل ذكراك
حتى الأبد من خلال حب الناس لك والاله
سيمدحك كمكافأة لك وستقدر بسبب أفعالك
(طيبتك) وسيصلى لك من أجل صحتك ...»

والعدل من أهم الصفات التى يجب أن يتمسك بها الحاكم الصالح ، ولابد أن مليكنا قد رأى عواقب عدم التحلى بها كسمه من سمات الحكم لذلك فإنه فى صورة أمر خلقى يطلب من ابنه :

« ... أقم العدل لتوطد مكانتك على الأرض هدئ
الباكى ولا تظلم الأرملة ، ولا تغتصب من رجل

---

(١) Ibid., P. 415 .

ميراث أبيه، ولا تضر المسؤلين فى مناصبهم ، ولا
تتولى العقاب (بنفسك) أنه ليس مفيد بك،
(ولكن)أتركه للجلادين وبدون مبالغة ، وبذلك
تستقر الأرض (الأمور) ما عدا المتمرد حينما
تتكشف خططه لأن الاله يعرف الخائن والاله يعاقب
بالدم ...»

(كانت خيانة الدولة تعد جريمة كبرى عند المصريين)[1] .

والاشارة إلى العدل تؤدى إلى فقرة من اهم الفقرات والمعانى وهو الجزء الخاص بمحكمة الآلهة فى العالم الآخر التى يخضع لها الملك، كما يخضع لها كل من كان مصيره الموت ويلاحظ ان اللامركزية التى صاحبت فترات ضعف الدولة وخاصة فى أواخر الدولة القديمة بالاضافة إلى انتشار مذهب «أوزير» وما يمثله من بعث وتسامح وعدالة للجميع – كما سبق وأوضح الدارس فى الفصل السابق – كل هذا كان له أثره فى تلك المساواة والتى تتضح فى النص :

« ... أنك تعرف أن القضاة الذين يحاكمون المذنب
لا يتسامحون فى هذا اليوم ...
ولا تثق فى طول السنين لأنهم يعتبرون مدة الحياة
كأنها ساعة واحدة والإنسان يبقى (يبعث) بعد
موتة وأفعاله تبقى بجانبه كالاكوام لأن الخلود
مكانة هناك والغبى من لا يكترث بذلك (ولكن) من

---

(١) Ibid., P. 415 .

يصل إلى هناك بدون أفعال خاطئة فإنه سيعيش

كاله ويتنزه بحرية مثل آلهة الخلود . . . »[1] .

ومن المعروف أن القبر وما يحويه من أثاث جنزى يستخدمه المتوفى فى العالم الآخر كان من أهم الأشياء التى حرص عليها الإنسان القديم ولذلك يشير « خيتى » إلى أن روحه ستذهب إلى المكان الذى تعرفه :

« . . من خلال الناس جيل يمضى بعد جيل والاله الذى يعرف أخلاق (الناس) قد أخفى نفسه ولكن لا يستطيع أحد أن يتحمل (مثل) الاله أنه يهاجم ما تراه الأعين وقر (أعبد) الاله بطريقته مثل الفيضان الذى يحل محله فيضان (آخر) (دليل على إستمراريته وخلوده) إذ لا يوجد نهر يسمح لنفسه أن يختبئ . أيضا الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه جمل بيتك الغربى (مكان المقبرة كالمعتاد) وجمل مكانك فى الجبانة لأنك رجل مستقيم يحكم بالعدل الذى يرتاح إليه الجميع، أن أخلاق الرجل المستقيم العقل أكثر قبولا (أكثر فائدة) عند الاله من ثور الظالم أعمل للاله يعمل من أجلك (ليكافئك) بقربان يزود به مائدة القربان وبالنقوش لأن ذلك يحمل (يخلد اسمك) والاله مدرك بمن يعمل من أجله . . . »[2]

---

(١) Ibid., P. 415 .

(٢) Ibid., P. 417 .

وفى الفقرة السابقة مثلها مثل فقرات أخرى فى النص يتضح فيها الاشارات الدالة على ضرورة الابتعاد عن المادية وان الخلق الطيب والعمل الحسن خالد وراسخ للأبد بل انه قد يفوق تلك القرابين التى تقدم للآلهة لضمان رضاها [١]، بل أن « خيتى » قد ربط فى وصفه بأن الاستقامة والعدل هم الذين يحظوا بتقدير الناس نتيجة لتوفر العدل الحقيقى ومن الواضح أن هذه الأفكار مثل غيرها من القيم كانت وليدة عصر الأنتقال الأول .

ومع هذا فإن علاقته بالاله يجب أن تحظى أيضا بإهتماماته وفى هذا دلالة على تمسكه بخير الماضى وإيمانه بقدرة الآلهة التى تفوق كل وصف ولذا يقول ناصحا أبنه « مرى كارع » (عن الاله) :

« . . . لقد صنع السماء والأرض طبقا لرغبتهم (حسب رغبة أهل مصر) وطرد وحش البحر (يقترح شارف Sharff بأن المقصود بذلك وحشا هزمه الاله الخالق عند بدء الخليقة) ولقد صعد إلى السماء طبقا لرغبتهم ، لقد خلق لهم النبات والحيوان والطيور والسمك ليطعمهم ، لقد قتل أعدائه وأصاب أولاده أيضا لأنهم فكروا فى الثورة لقد صنع لهم ضوء النهار تبعا لرغبتهم وأبحر لكى يراهم وأقام لهم أماكن العبادة، وعندما يبقوا يسمعهم لقد صنع لهم حكاما (حتى وهم) فى البيض . ومؤيد (حامل لظهر العاجز. . . » [٢] .

---

(١) Wilson , J., The Burden of Egypt , P. P. 120

(٢) Wilson, J.,The Instruction for King Meri-Ka-Re,Anet, P. 120.

وطبيعى فإن الاله الذى يقوم بكل هذه الأعمال الطيبة من أجل اسعاد رعاياه ويمتلك تلك القوة العظيمة لابد وان يحظى فى قلب وعقل الانسان المصرى القديم بكل طاعة وتقدير ولذلك فإنه على الرغم من أن مليكنا قد اهتم بضرورة الحياة المستقيمة الصالحة فوق الأرض إلا انه قد جعلها هى الركيزة والمقدمة للحياة فى العالم الآخر فجاءت كلماته لتؤكد تلك الموازنة بين تصوره للقيم الخلقية التى يحب التحلى بها وبين تلك التقاليد الموروثة والتى لم يكن من السهل التخلى عنها أو تركها وخاصة فيما يتعلق بتلك المعتقدات الدينية .

ولذا يوصى ابنه «مرى كارع» :

« ... أعمل آثار (للاله) لأنها تجعل أسم صاحبها
يبقى، الرجل(الملك) يجب أن يفعل لمنفعة روحه:
الخدمة الشهرية ويرتدى الصندل الأبيض ، ويزور
المعبد ، ويكشف أسرار العقيدة (يتعمق فيها)
ويدخل فى المعبد إجعل مائدة القرابين مضاعفة،
زود الأرغفة وزود العطايا اليومية ، أنه مفيد لمن
يفعل ذلك، أجعل آثارك خالدة حسب قدرتك، يوم
واحد يعطى للخلود ، وساعة واحدة تنفع فى
المستقبل ، والاله يدرك من يعمل من أجله ...»[1]

ويتضح فى الفقرة السابقة أهمية بناء المبانى والمعابد للآلهة والعمل على زيارة هذه الأماكن المقدسة وإقامة شعائرها الدينية وتقديم القرابين اللازمة

---

(١) Ibid. , P. 416 .

والتمسك بالطهارة والنقاء للحصول على عطف الآلهة .

وتطرق النص إلى أشياء دنيوية أخرى كثيرة بعضها يتعلق بشخص الحاكم وإقامته للطقوس الدينية ومحاكاة الأقدمين والأجداد ، وفي حديث لا يخلو من حكمة وعدالة يتناول النواحي السلوكية والادارية لكبار رجال الدولة وكيفية اختيارهم وضرورة احترامهم والعمل على رخاء المجتمع وما يجب ان تكون عليه العلاقة بين الحاكم ورعيته :

« ... احترم النبلاء واجعل شعبك في رخاء ...

قدم الرجال العظماء الذين يمكنهم تنفيذ قوانينك

ومن كان غنيا في بيته لا يظهر تحيزا (او محاباة)

أنه لا يريد لأنه يملك ، (ولكن) الرجل الفقير لا

يتكلم إلا حسب مصلحته وهو ينحاز لمن يمتلك

مكافأة له، بينما الرجل العظيم شجاع ، (وإذا)

كان الملك يمتلك في حاشيته العظماء فهو

غني .... ».

ومع هذا فإن عليه عند اختيار رجاله ان يختار الرجل المناسب الكفء وبذلك يضم بلاطه كل ذي مقدرة وكفاءة وهي أمور تستحق التقدير :

« ... لا تميز بين ابن رجل (ذو مكانة او مولد) وبين

ابن رجل فقير ، (ولكن) خذ الرجل من أجل عمل

يديه (كفاءته) ، وكل عمل ماهر سيكون خبرة

(مران) تبعا إلى (–) الملك ...» [1] .

وفى جملة تحمل كل المعانى الخلقية ينصح الملك أبنه باتباع الحق والعدل حتى تستقيم له أمور البلاد ويهابه الجميع وأن يكون قدوة للجميع وضرب لذلك مثلا لمدخل المنزل وجزئه الأمامى إذا أحسن العناية به فهذا معناه أن البيت كله فى صورة حسنة :

« ..إذا تكلمت الصدق (الحق فى بيتك) فإن عظماء

(القوم) الموجودين على الأرض سيخافونك،

وصواب القلب (العقل) يناسب الملك، لأن واجهة

المنزل هو الذى يبعث الاحترام فى داخله ...» [2]

(كانت واجهة المنزل تعبر عن صاحبه من وجهة النظر المصرية القديمة) .

وبالاضافة إلى تلك الارشادات عن فنون الادارة والسياسة وما اتسمت به من قيم وأفكار فالنص يحتوى أيضا الجانب السياسى والأحداث التاريخية التى عاصرت عهد الملك « خيتى » وهو فى حديثه من هذه الأحداث بما فيها من خير وشر يحاول الربط بينهما وبين ارشاداته لأبنه وهى تحوى اعترافات فريدة من نوعها فى التاريخ المصرى القديم، كما أن الشك لا يتطرق إليها حيث يتحدث الملك بصدق عن حوادث معروفة له ولأبنه وللإنسان المصرى فى تلك الفترة، وعلينا أن نستشف بقدر الامكان من النص الوقائع الصحيحة لتلك الفترة التى لاتزال يكتنفها الغموض .

---

(١) Ibid., P. 415.

(٢) Ibid., P. 415 .

ونستنتج من التعاليم أن والد « مرى كارع » قد تولى الحكم مثله مثل من سبقه من ملوك « اهناسيا » الذين كان نفوذهم محدودا ولم يتعدى « ثنى » (اقليم أبيدوس) في الجنوب [١] وبالرغم من نجاحهم في إقامة علاقات مع بعض مقاطعات الجنوب ونجاحهم في تطهير الدلتا من جماعات البدو فإن الجنوب الطيبى قد أخذ موقف العداء من هذه الدولة، والمعروف أنه منذ نهاية الأسرة التاسعة (٢١٣٣) ق.م. وطيبة[٢]، تحكم بواسطة أمراء يحملون أسم « انتف Antef » وفي البداية أعترف أمراء طيبة بسلطان ملوك أهناسيا وهادنوهم ولم ينسبوا لأنفسهم أية ألقاب ، وتلقب زعيمهم « أنتف الأول » (٢١٣٤ - ٢١٣١ ق.م.) في بعض نصوصه بلقب عادى مثل : الأمير بالوراثة الحاكم العظيم لأقليم طيبة المحبوب من الملك بإعتباره الحارس على مدخل أقاليم الجنوب كبير الكهنة[٣].

هذا بالنسبة للجنوب، أما بالنسبة لمنف فلقد ظلت بمثابة العاصمة الإدارية كما كان الحال في الدولة القديمة وقد ربطت بالعاصمة الجديدة في « أهناسيا » عن طريق قناة[٤] أما شرق الدلتا فقد أغار البدو الآسيويين على البلاد

---

(١) Baikie, J., Op. Cit., P. 224 .

(٢) مدينة « واسة » أو طيبة كما اطلق عليها اليونانيين فيما بعد لم تكن في عصر الدولة القديمة سوى قريتين على الضفة اليمنى للنيل إحداهما « الأقصر الحديثة والثانية الكرنك » ، وعاصمة المقاطعة كانت تسمى قديما « أون » أو باليونانية (هرمنتس Hermonthis ، ارمنت الحالية) وهناك كان المعبد الرئيسى لاله المقاطعة « مونتو » الإله المحارب، غير أنه في الأسرة ١٢ أصبح «آمون» هو الاله الرئيسى لطيبة وللدولة كلها ، انظر :

Hayes , W.C., Op. Cit., P. 147 .

وكذا : Vercoutter, J., Op. Cit., P. 334 .

(٣) Winlock, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, Newyork , 1947, PP. 5 - 6.

(٤) Wilson , J., Op. Cit., P. 417 .

ويبدو من النص أن الملك قد نجح فى القضاء على خطرهم وما يسببوه له من متاعب وأعاد تنظيم البلاد إذ قسمها إلى مناطق إدارية صغيرة وأعطى الكهنة اقطاعيات جديدة والنص يتحدث عن ذلك :

« .. أنظر [المنطقة] التى اجتاحوها مقسمة الآن إلى مقاطعات وكلها مدن كبيرة أملاك رجل واحد، الآن فى أيدى عشرة رجال مثقلين بكل نوع من أنواع الضرائب الموجودة الكاهن مقدم بالحقول ويعمل من أجلك كجندى.

(وهذا يعنى أن الكاهن عليه أن يؤدى الضرائب المفروضة عليه) ولن يمروا من هنا لأنهم غشاشون فى القلب، أنظر القيود تفرض فى المنطقة التى قفلتها فى الشرق حتى حدود « هابانو » وحتى طرق حورس (وهذا يعنى المناطق التى استعادها من الأجانب) ويضيف بأنه قد ملأها بالناس الذين أختارهم من كل مكان من مصر حتى يمكنهم صد هجوم الآسيويين... »[1]

---

(١) Ibid., P. 416 .

ثم يستمر فى الحديث عن الآسيويين واصفا لهم بلادهم باحتقار شديد وهو احساس طبيعى :

« .. الآسيوى التعيس شر اينما يكون ، مبتلى بالمياه
يعانى من الأشجار طريقة غير ممهد بسبب
الجبال ، انه لا يسكن (يقيم) فى مكان واحد ،
(ولكن) أرجله صنعت ليتجول ، أنه يحارب منذ
وقت حورس (ولكن) لا ينتصر ولا يغلب على أمره
انه لا يعلن يوم الحرب مثل اللص ..
(انظر لترحاله وعدم اشتراكه فى معارك)
ولكن طالما أنا حى فالمحاربين على أى حال اغلقوا
الأنحاء لقد جلت المناطق الشمالية تذبحهم ، لقد
أسرت سكانهم لا تقلق نفسك بهم أنه فقط آسيوى
شخص مكروه فى بلاده يمكنه سرقة شخص
واحد ولكنه لا يقوى على مواجهة مدينة بها
مواطنون كثيرون ...»[١] .

وربما نستشف من كلمات الملك الاستهانة بهؤلاء البدو الآسيويين ولكنه فى نفس الوقت يدعو ابنه لكى يعد العدة والتعاون من أجل القضاء على خطرهم، ويرى « ولسون Wilson » ان وصف الآسيويين بهذه الصفات وعدم قدرتهم على مواجهة مدينة يؤكد أن مثل هؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا سببا فى القضاء على الدولة المصرية القديمة وأن الانهيار كان مرجعه أسباب داخلية .

(١) Ibid., P. 416.

ثم يعود « خيتى » وينصح ابنه « مرى كارع » بأن يبنى الحصون فى الجهة الشمالية ويقصد الملك بالناحية الشمالية، الشمال الشرقى لأنه إذا قامت ثورة فى اتجاه الجنوب فإن ذلك سوف يعطى الفرصة للآسيويين فى الشمال الشرقى للقيام بغارات ويحذره من ذلك قائلا :

« ... احترس من أن يطوقك اتباع عدوك سواء فى الشمال أو الجنوب ... »[1] .

ولهذا حث الملك ابنه « مرى كارع » أن يعمل على احلال السلام مع الجنوب حتى لا يترك الحدود الشرقية بدون قوات فى حالة قيام حرب .

وهكذا اتجهت ارشادات الملك فى هذا الشأن إتجاهين، إحلال السلام مع مصر العليا وتقوية الحدود الشرقية لمصر لأهميتها الجغرافية .

ولابد أن هذه السياسة كان لها أثرها فى ثراء حكام « أهناسيا » نظرا لإستقرار الأمور لهم إلى حين وصول ضرائب الدلتا من جديد والجرانيت اللازم للبناء من الجنوب وكما يشير النص إلى « مرى كارع » .

« ... أن الأمور تسير فى صالحك فى المنطقة الجنوبية .. »

وبالرغم من صعوبة النص وضياع بعض الفقرات الهامة إلا أنه لا يخفى الواقع من حيث وجود صراع بين كل من مقاطعة « أهناسيا » ومقاطعة « طيبة » التى زاد نفوذها وأحست بقوتها مما جعلها تدخل فى صراع السلطة مع حكام « أهناسيا » .

ولذلك فإن خيتى « يتحدث إلى ابنه مفتخرا باستيلائه على مدينة « ثنى » منجزا عملا عظيما لم يستطع من سبقه من الملوك القيام به » :

---

(١) Ibid., P. 417 .

« . . لا تتعامل بالشر مع المنطقة الجنوبية لأنك تعرف النبوءة لمدينة الاقامة الخاصة بها . انهم لا يعتدون على حدودنا كما قالوا . لقد اخذتها مثل سحابة (يشير إلى أنه قد اخذ هذه الأماكن بسرعة)، الملك « مرى أيب رع » المنتصر لم (يستطع) أن ياخذها ، كن حليما بسببها . . أنه لمن الأفضل العمل من أجل المستقبل . . . »[1] .

كما ينفرد النص بفقرة تعد من أعظم الأشياء التي تركتها لنا تلك الفترة من قيم وهي اعتراف الملك بالفشل وكما يشير « ولسون Wilson » فإن الاعتراف بالفشل كان من الأمور الغريبة بالنسبة لأى مصرى وبالذات لشخص الفرعون الذى يعترف بانه غير معصوم من الخطأ وأنه مثل الآخرين يخطئ وعوقب نتيجة لذلك عقابا شديداً من الآلهة، والنص يشير إلى ذلك (رغم غموضه) :

« . . . لأن جيل سيضغط على جيل كما تنبأ الأسلاف مصر تحارب حتى في نكروبوليس بفتح المقابر بـ لقد فعلت نفس الشئ ونفس الشئ حدث كما يحدث لمن يقتحم طريق الآله . . . »[2] .

---

(١) Ibid., P. 416 .

(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 416.

وكذا :

في إحدى حلقات الصراع بين اهناسيا ومؤيديها وطيبة ومؤيديها استطاع حاكم اهناسيا – كما يبدو من النص – ان يستولى على مدينة ابيدوس ذات الأهمية الدينية ولكنه استنكر فعلته هذه وربما اضطر ان يقبل تقسيم البلاد ، انظر :

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 336 .

ومن الطبيعى أنه كان يقصد من ذكر هذه الأشياء لأبنه « مرى كارع » أن يتجنب مثل هذه الأمور فى المستقبل لأنها تغضب الآلهة وتمس المقدسات ، وعلى أى حال فنحن لا نعرف ما إذا كان « مرى كارع » قد نفذ نصيحة والده أم لا ولكن الشئ المؤكد أن تلك الهدنة القصيرة بين الشمال والجنوب قد إنتهت عندما بدأ حاكم « طيبة » بالهجوم لتحقيق اغراضه السياسية ولم شمل البلاد.

ومن مجموعة النصوص الشخصية التى وجدت فى مقابر مصر الوسطى والعليا يمكن أن نستنتج أن بعض المقاطعات الجنوبية لم تتردد فى مؤازرة « أهناسيا هيراكليوبوليس » وذلك لمعارضة قوة طيبة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن سياسة أهناسيا إزاء حكام الأقاليم الموالين لها قد أتت ثمارها – لفترة ما – أثناء صراعها مع طيبة والتى يبدو أن نتائج معاركها الأولى كانت فى صالح أهناسيا (١) .

ونستطيع أن نجد فى نصوص مقابر أمراء أسيوط التى تنتمى إلى الأسرات التاسعة والعاشرة ما يلقى الضوء على تلك الفترة (٢) ، وخاصة مقابر « تفيبى » وابنه « خيتى » الذى أطلق عليه « خيتى الأول » وتقع مقبرته إلى الوسط وذلك للتمييز بينه وبين « خيتى الثانى » التى تجئ مقبرته بعده، ومن نصوص مقبرة الأخير « خيتى الثانى » أقدم المقابر الثلاثة فإننا نستنتج من نصه ومن سرده لسيرة حياته أنه عاش تلك الفترة قبل اندلاع الحرب بين « أهناسيا» و «طيبة » ونقشه يبدأ بالألقاب التقليدية باعتباره حاكم اقليم أسيوط وأنه لم يكذب فى سرد سيرة حياته لأن كل الأعمال الطيبة التى قام بها واضحة أمام الناس وشاهداً على كلامه(٣) ، وصاحب المقبرة يروى لنا كيف أمضى شبابه وكيف تعلم مع أولاد

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى للقديم ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢) Petrie, F., Op. Cit., P. 115 .

(٣) Breasted , J. H., Ancient Records of Egypt, PP. 187 - 188 .

الملك، وكيف أصبح حاكما للأقليم وهو لا يزال صغيرا لا يتعدى طوله القدم[1]، وهو يحكى بأنه قام بشق القناة باقليمه مما جلب معه كمية كبيرة من المياه أثناء موسم الجفاف :

« .. لقد أتيت بهدية لهذه المدينة التى لا توجد عائلات من شمال البلد أو ناس من وسط مصر [ ] ...» .

ويقصد من ذلك بأنه راعى أصول العدالة ولم يأتى بأى عامل بالقوة للعمل فى هذه القناة من أى مكان فى مصر وكان مهتماً بتحسين أحوال البلاد لاقامته مشروعات الرى وتوفير سبل الغذاء لرعاياه .

« ... كنت متسامحاً كما هو واضح فى آثارى [—] (تحملت مسئولية) الحياة فى مدينتى[2] وصنعت الـ[—] بالحبوب وأعطيت المياه فى منتصف النهار إلى [—] (زودت المياه) إلى الأراضى والأنحاء العالية لقد زودت بالمياه هذه المدينة فى وسط مصر وأوصلتها إلى (الجبال) التى لم تكن ترى المياه (من قبل) ...»[3].

---

(١) Gardiner , A., Op. Cit., P. 113.

(٢) Breasted , J.,H., Op. Cit., P. 189 .

(٣) Ibid., P. 189 .

وواضح أن « خيتى (الثانى) » يفخر بحسن إدارته لإقليمه وذلك من خلال وصفه لقيامه بواجبه موضحاً عطفه وكيف سمح للمواطن أن يحمل الحبوب لنفسه ولزوجته وللأرملة وابنها وسماحه أيضاً بأن يعطى كل إنسان المياه إلى جاره وإلى كل من فى حاجة إليها الأمر الذى جعله يتباهى بأن عدالته كانت سبباً فى تقريب صداقته للملك فى « أهناسيا »

« ... كنت محبوبا لدى الملك وفى موضع الثقة من

أمرائه ... »[1].

ولابد أن هذه السياسة كان لها وقعها الطيب على نفوس مواطنيه الذين أيدوا هؤلاء الحكام عندما انحازوا إلى جانب « أهناسيا » فى صراعها مع « طيبة » وكان من أكبر المؤيدين لأهناسيا حكام أسيوط « وبنى حسن » ، و « أخميم » و « الأشمونيين » و « وحتنوب » الذين تقربوا بالأعمال الطيبة إلى أهل أقاليمهم رغبة فى تأييد هؤلاء الحكام فى أوقات الشدة[2] ، وهو ما تشير إليه نصوص « تفيبى * التى تتحدث عن أول حلقات الصراع مع الجنوب وعن شجاعته ، ولكن النص غير واضح عن تفاصيل ذلك الصدام الذى اشترك فيه الملك .

« .. هو سارع إلى المعركة مثل [الضوء] ، كذلك معروفة نتائجه.. »[3].

---

(١) Ibid., P. 190 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ١٤٧ .

(*) «تفيبى Tefibi » حاكم اقليم أسيوط وتوجد مقبرته ضمن ثلاث مقابر وتقع إلى الجنوب تليها مقبرة ابنه «خيتى الأول» فى الوسط وإلى الشمال منها تقع مقبرة «خيتى الثانى» التى قام «جريفث» بنشر نصوصهم فى :

Gruffth,F.,L.,The Inscriptions of Siut and Der Refeh, London, 1889.

عن مزيد من التفاصيل انظر :

Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 179 - 180 .

(٣) Gardiner , A., Op. P. 114.

وكذا : Breasted , J., H., PP. 182 - 183 .

وهو فى حديثه عن الاحتكاك بيه وبين طيبه وكذلك عن حسن إدارته لإقليمه لا يخفي شعوره القوى بالاستقلال الذاتى وهو يصف حكمه الصالح لاقليمه بأنه مد يد المساعدة لكل شخص فى أقليمه وكان محبوبا ونافعاً للجميع وعامل الأرملة معا ملة طيبه وكان بمثابة النيل فى عطائه وفى خيره لأهل مدينته وعن توفيره للأمان واستتباب الأمن والعدل فى أقليمه فانه يصف :

« . . . عندما يأتى الليل من ينام فى الطريق يمدحنى لأنه مثل الرجل الذى ينام فى داره لأنه فى حماية جنودى . . . »(١).

ثم يضيف شيئا من أهم الأشياء حيث يؤكد أن قيمة الشخص بعمله وكفاءته وفى هذا تأكيد على قيمة العمل والكفاءة مقروناً بالخير وكما يرى « عبد العزيز صالح » أن الشخص النبيل هو الذى يستطيع أن يتفوق بمآثره على مآثر أبيه (٢) ، ثم يؤكد انتقال الحكم إلى ابنه « خيتى الأول » بالوراثة :

« . . . ثم أتى ابنى مكانى والموظفين كانوا تحت سلطته وحكم حينما كان طفل والمدينة إبتهجت وفرحت به وتذكرت الشيء الطيب الذى فعله والده لان كل نبيل يفعل الخير لمواطنيه سوف يكون مباركاً فى العالم الآخر وسوف يكون ابنه مطيعاً فى منزل أبيه وذكراه (سمعته) ستكون طيبة فى المدينة وتمثاله سيكون معظما بعد موته (حينما يحمله أبناء أسرته) . . . »(٣).

ومع ذلك فلقد استمرت الحرب الأهلية بين المقاطعات فى محاولة للسياده على مصر كلها حيث نجد أيضاً فى مقبرة « ابن تفيبى » « خيتى الأول » أضواء

---

(١) Ibid., P. 181 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٣) Breasted , J., H., Op. Cit., P. 181 .

على ما أنتاب مصر فى تلك الفترة من أحوال سياسية وأجتماعية حيث يحكى « خيتى » أنه قد ورث الأرض والألقاب الخاصة بأبيه وبالأضافة إلى وظائفه العادية فى أقليمه كان أيضاً قائد القوات فى كل الأراضى .

ونصه فى غاية الأهمية لتاريخ الدولة الأهناسية ، ويبدأ النص فى وصف الخدمات التى أداها « خيتى » إلى الملك « مرى كارع » (Mry K3 Rc).

ومرافقته إلى الجنوب حتى الأقليم الحادى عشر (شاسحوتب Sheshotep) ثم عودتهم إلى العاصمة التى خرجت كلها لأستقبال الملك معبرة عن سرورها به ، ويبدو أن الغرض من حضور « خيتى (الأول) » إلى العاصمة هو المشاركة فى بيعة وتتويج الملك الشاب « مرى كارع Mry K3 Rc »(١) ، الذى أمر فى تلك المناسبة بإجراء إصلاحات وتجديدات فى معبد « وب واوات Wp. Wawet » الأله ابن آوى لأسيوط : «

... اله المدينة أحب « خيتى ابن نفيبى » الذى ينتظر للمستقبل لكى يعيد (بناء) معبده لكى يرتفع البناء القديم ، المكان الأصلى للعطايا إلى (—) التى بناها « بتاح » باصابعه وأسستها « تحوت » من أجل « وب واوات Wp.Wawet » إله أسيوط . . »(٢) .

ولكن رغم حالة التقلب بين السلم والحرب فيبدو انه كانت هناك منطقة هادئة نوعاً فى مصر وهى المنطقة الواقعة فى الأقليم المتوسط بين منف وطيبة حيث جبانات الأقاليم الوسطى فى بنى حسن وأخميم تزخر بالمقابر الثرية ، ومن أجمل التوابيت المنتمية إلى تلك الفترة توابيت « البرشا » .

---

(١) Gardiner , A., Op. Cit., P. 114 .

(٢) Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 186 - 187 .

وكانت البرشا فى ذلك الوقت تحوى مقابر حكام اقليم «الارنب Hare»
وكانت خمون Khamun (هرموبوليس الاشمونين الحالية) هى المدينة
الرئيسية فى الاقليم ، وقامت فيها أسرة جديدة من الأمراء قد حلت محل أمراء
الدولة القديمة الذين عثر على مقابرهم فى الشيخ سعيد إلى الجنوب قليلا،
وهذه المنطقة كانت تحت نفوذ الأهناسيين ولكن هناك من الدلائل ما يشير أن
ولاء حكامها إلى الشماليين لم يكن ولاء تام وتخلو جدران مقابرهم من أية
اشارات لمثل هذا، غير انهم استطاعوا أن ينهضوا بشئون اقليمهم وكان
باستطاعتهم بناء المعابد واقامة المبانى العامة وشجعوا الصناعات تحت اشرافهم
المباشر مما تسبب فى تقدم أحوال الاقليم الاقتصادية والاجتماعية [١].

غير أننا نجد الكثير من النقوش التى تكيل المدح لحاكم الاقليم وذلك فى
محاجر المرمر فى «حتنوب» وهى توجد إلى الشرق من هذه المنطقة وفيها نجد
أسماء حكام الاقليم مصحوبة بصيغ كانت مقصورة من قبل فى استعمالها على
الملوك وحدهم مثل «فليعيش إلى الأبد» أو مثل «فلتكن حماية الحياة حوله كا
«رع» [٢] إلى الأبد» .

ولقد عثرنا على نصين من أقدم هذه الكتابات تتحدث عن العام ٣٠ ، ٢٠
من حكم هؤلاء الأمراء أنفسهم مما يدل على أن هذه الكتابات مؤرخة بسنين
حكمهم وليس الملوك المعاصرين لهم مما يدل على أنهم كانوا أقل تأثرا من
حكام الأقاليم الموجودة إلى الجنوب منهم حيث تقابلت المملكتان فى قتال
أخير [٣]، كان النصر النهائى فيها لصالح البيت الطيبى الذى أعد نفسه منذ

---

(١) Gardiner , A., Op. Cit., P. 114 .
(٢) Breasted , J., A History of Egypt , Pp. 159 - 160 .
(٣) Gardiner, A., Op. Cit., P. 114 .

عهود الأسرتين العاشرة والحادية عشرة للمعارك من أجل السيطرة على مصر تعرضت أثناءها البلاد لكساد اقتصادى كبير نتيجة للفوضى السياسية .

والنصوص الخاصة بتلك الفترة تذكر المجاعات التى نتجت عن الحرب الأهلية ويحدثنا (عنخ تيفى Ankhtifi) من هيراكونبوليس عن مجاعة رهيبة حلت بمصر العليا فى هذه الفترة بلغت من قسوتها أنها عرفت بعض حالات عن أكل لحوم البشر .

والظاهر أن مصر كلها قد ضعفت من المعارك الأهلية مما عجل بانسياق طيبة نحو الوحدة ونجاحها فى ذلك الأمر الذى جعل مصر بحلول عام ٢٠٤٠ ق.م. تقريبا تمتد من النوبة السفلى حتى البحر الشمالى وأصبح فى إمكان البلاد أن تنهض من الخطر الذى استمر طويلا سواء من الداخل أو الخارج وبذلك أكد فراعنة الأسرة الحادية عشرة ما حققوه [١]، من نجاح .

وبرغم مما حفلت به تلك الفترة التى أعقبت نهاية الدولة القديمة وما نسميه بعصر الفترة الأولى من أحداث واضطرابات كان لها أثرها فى هبوط الفن من عمارة ونحت وتصوير ، إذا ما قورن بالأعمال الفنية فى الدولة القديمة بإستثناء بعض الأعمال فإن ما يعنى الدارس التأكيد عليه أن تلك الفترة كانت سببا فى ظهور بعض قيم جديدة مثل تنمية وإعادة الروح الحربية وتقدير الفردية والكفاءة، وأهمية العدالة الإجتماعية، والمحافظة على العقائد والتقاليد الموروثة ثم المناداة باتباع المثل العليا والاهتمام بالعالم الآخر وهى ما حوته

---

(١) Vercoutter, Op. Cit., PP. 338 - 339 .

نصوص تلك الفترة وأوئل الدولة الوسطى[1]. وهو ما يجعلنا ننظر إلى تلك الفترة بأنها فترة هامة فى تاريخ التقدم الإنسانى حيث رأى أن المثل والقيم الخلقية والمساواة هى التى يجب أن تسود مجتمعهم وبالتالى أصبحت « ماعت Meet » بما تعنيه من معانى على درجة كبيرة لدى الإنسان المصرئ القديم للحصول على رضاء النفس وبلوغ السعادة فى عالم الدنيا وفى العالم الآخر ولدينا من تلك الفترة نصا يعد من أهم النصوص تصويرا للاتجاه الجديد نحو المساواة الاجتماعية والعدل الاجتماعى والتمسك بالحقيقة ومراعاة أولى الأمر والقائمين على شئون المجتمع بالتمسك بالحق والعدل وحث للإنسان المصرى القديم على أن يتمسك بقيم الحق والمعانى الخلقية وهو ما عبر عنه نص « الفلاح الفصيح » الذى ترجع حوادثه إلى العهد الأهناسى[2]، وكما يرى « جاردنر Gardiner » فى عهد الملك « خيتى الثالث » حيث جاء ذكر أسمه فى حفائر « بترى Petrie » فى الرتابة [3]، وفى نفس هذه القصة التى نقلت إلينا فى نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى [4]، وفى هذا دلالة هامة على أن القصة وما تضمنتها من قيم قد وجدت صداها فى نفوس الشعب المصرى القديم مما جعلها تتداول بعد ذلك وتكتسب الذيوع والشهرة لأنها صورت المبادئ الإنسانية فى شكل مواقف ملموسة عبر عنها إنسان مصرى قديم أو أديب مصرى قدير[5]، من حملة الأقلام الذين طالبوا بضرورة العدالة الاجتماعية

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٢ .

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر وآثارها ، ص ٤١٤ .

(٣) Gardiner , A., H., Egypt of the PH. P. 112 .

(٤) النص موجود فى أربع نسخ منها ثلاث نسخ فى متحف برلين فيما يعرف ببردية برلين أرقام (10499 R, 3023 BI., 3025 B2) والنسخة الرابعة بالمتحف البريطانى تحت رقم (19274) ، أنظر ·

Wilson , J., The Protests of the Eloquent Peasant , Anet, P. 407.

(٥) Gardiner , A., H., The Eloquent Peasant , JEA, Vol., 9 , London, 1923, P. 7.

، وأصر على حقه رغم ما تعرض له من إضطهاد ولم يخش فى الحق غنى أو ذو مركز[1]، كما صور كيفية الحكم فى ذلك العصر سواء عن طريق الفرعون أو من يساعدونه من طبقة الموظفين وأمنية الإنسان المصرى القديم عن العلاقة التى يرجو أن تسود بينه وبين القائمين على أموره حتى يتحقق الخير والعدل الإجتماعى للجميع .

ورغم بساطة القصة فإن الموضوع يتيح للكاتب أن يقص كثيرا عما يعانى منه الناس فى تلك الفترة من فساد وإنعدام العدالة المنتشرة فى مصر فى تلك الفترة وعجز الملكية والسلطة عن تطبيق المثل العليا التى يجب أن تسود المجتمع المصرى .

والقصة بشكل عام تتكون من جزءين، الجزء الأول منها يحكى واقعة ظلم تعرض لها إنسان بسيط يعمل فلاح فى « وادى الملح »[2]، « وادى النطرون » يدعى « خون أنبو Khun - Anpu » الذى ترك زوجته وأولاده بعد أن ترك لهم جزءا مما يدخره من الغلال وأخذ الباقى للمتاجرة به :

« .. انظرى إنى ذاهب أسفل إلى مصر لأحضر طعاما لأولادى وعليك الآن أن تذهبى وتكيلى لى غلالا من الجرن، الغلال التى تبقت من [العام الماضى] ثم قال لها أنظرى هناك عشرين مكيال من الغلال لكى وللأولاد وعليكى أن تصنعى لى هذه

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ .

وكذا : Wilson , J., Cit., P. 407 .

(٢) الاسم الحالى وادى النطرون شمال غرب أعناسيا ، أنظر :

Wilson , J., Op. Cit., P. 407 .

وكذا : Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 7.

السـتـة مكـاييل خـبـزا وشـرابـا للأيام التـى سـاسـافـر
فيها ...» (١) .

عند ذلك سافر إلى مصر بعد أن حمل حميره بالبضاعة المنتجة فى وادى النطرون من أعشاب وجلود وأحجار شبه كريمة وكل الأشياء التى يمكن يبيعها فى مدينة «أهناسيا» العاصمة (٢)

ثم سار جنوبا فى اتجاه «أهناسيا» «هيراكليوبوليس» ووصل إلى منطقة تسمى «برفيفى Per - fefi» إلى الشمال من مدنيت «Medenit» (٣) .

وهناك رأى رجلا واقفا على شاطئ النهر يدعى «تحوت ناخت» يتولى أمر هذه القرية نيابه عن موظف كبير يتولى نظارة الخاصة الملكية يسمى «رنسى بن مرو» وعندما رأى «تحوت ناخت» ذلك الفلاح وبضاعته مال قلبه إليها وطمع فى الإستيلاء عليها وحدث نفسه :

«.. ليت لى صنما مؤثرا (وسيلة سحرية) حتى
أتمكن من سرقة بضاعة هذا الفلاح بعيدا
عنه..» (٤).

لذلك فقد لجأ إلى حيلة دنيئة وخاصة أن منزله كان يقع على ممر ضيق بجانب النهر كانت المياه تحيط به من أحد الجوانب بينما الغلال من الجانب الآخر ولذلك أمر «تحوت ناخت» خادمة بأن يحضر له ملائه (قطعة من القماش

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 407 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٤
وكذا Breasted , J., H., The Dawn of Conscience , P 183 ff.

(٣) موقعهم غير معلوم وقد تكون مدينة «أطفيح» بحالية بالقرب من الفيوم ، أنظر سليم حسن نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ ، وكذ: Gardiner , A., H.. Op. Cit., P. 7

(٤) Wilson , J., Op. Cit., P 407

من داره) وفرشها على الممر فى الوقت الذى حضر فيه الفلاح وبضاعته فقال له « تحوت ناخت » كن حريصا أيها الفلاح ولا تطأ ثوبى عندئذ قال له الفلاح سأفعل ما يسرك وعندئذ سار إلى الأمام مرتفعا (بعيدا) عن ثوبه فقال له « تحوت ناخت » أتريد أن تجعل من غلالى ممرا فرد الفلاح عليه أن طريقى جيد والجسر عالى والطريق الوحيد لى تحت الحبوب وهو المكان الذى يوجد فيه رداؤك فهل تسمح لنا أن نمر على الطريق وفجأة قضم أحد حمير الفلاح حزمة من القمح فانتهز الفرصة « تحوت ناخت » وأصر أن يستولى على الحمار جزاء ما فعل .

« ... انظر سوف آخذ حمارك لأنه أكل قمحى ... »

فاحتج عليه الفلاح قائلا :

« ... أن طريقى جيد وحزمة واحدة فقط من الغلال
قد ضاعت لقد أحضرت حمارى بسبب [–]
وأنت تستولى عليه لأنه ملأ فمه بحزمة من القمح
إنى أعرف السيد (صاحب) هذه الناحية ... »[1].

غير أن ذلك لم يثنه عن فعلته واستمر فى ظلمة قائلا :

« ... ان اسم الرجل الفقير ينطق (فقط) من أجل
سيده وأنا الذى أتحدث إليك فلماذا تذكر صاحب
الضيعة ... »[2] .

ثم أخ فى ضرب هذا الفلاح البائس وأخذ كل بضاعته إلى داره مما جعل الفلاح يبكى بشدة لما أصابه من الم وضياع ممتلكاته فقال له « تحوت ناخت » :

---

(١) Ibid., P. 408 .

(٢) Ibid., P. 408

« . . لا تكن مزعجا أيها الفلاح لأنك فى أرض رب

السكون (قد يعنى هذا وجود ضريح الآله أوزير

قريب من المكان) . . »[1] .

فأجابه الفلاح :

« . . . انك تضربنى وتسرق بضاعتى والآن تمنع حتى

الشكوى أن تخرج من فمى . . . » .

ووجه حديثه إلى رب السكون طالبا العدل :

« . . . أنت يا رب السكون أعد إلى ممتلكاتى ولن أرفع

صوتى الذى يزعجك . . . »[2] .

واستمر الفلاح نحو عشرة أيام يتضرع فيها إلى « تحوت ناخت » لكى يرفع الظلم الواقع عليه ولكن بدون نتيجة فاتجه إلى العاصمة لمقابلة رئيسه « رنسى » ليعرض عليه شكواه ، وفعلا قابله وهو خارج من بيته إلى النهر ليستقل قاربه الرسمى ورجاه أن يرسل معه أحد تابعيه حتى يقص عليه قصته الحقيقية فاستجاب « رنسى » إليه ، وعرف منه القصة كاملة[3] .

اقام « رنسى » تحقيق ضد « تحوت ناخت » أمام مجموعة الموظفين وبدلا من قول الحقيقة فإنهم إنحازوا ضد الحق ووقفوا إلى جانب زميلهم وشككوا فى

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤١٥ .

(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 408 .

(١) Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 9 .

وكذا .

Breasted , J., H., Op. Cit., P. 185 .

صحة كلام ذلك الفلاح المظلوم وأتهموه بعدم الصدق والمبالغة راغبين أن يقوم زميلهم بإرجاع ما أخذه لأن هذا الموضوع لا يستدعى أن يعاقب من أجله[1]، ولكن « رنسى » ظل صامتا لم يؤيدهم فى إنحيازهم ضد الحق ولم يجب الفلاح بشئ لتنتهى مقدمة القصة ويبدأ الجزء الثانى من القصة التى أراد الأديب أن يضمنها أراءه فى التمسك بالحق والكفاح بصبر وعزيمة حتى يتحقق، وتصوير الظلم وفاعليه والعدل والقائمين بتحقيقه فى صور محببه إلى النفس والقلب من خلال تسع شكايات :

فيبدأ الفلاح شكوته الأولى إلى «« رنسى » نفسه بعبارات تحبب إليه فعل الخير وتحقيق العدل :

« ... إذا أبحرت إلى بحيرة العدالة فإنك ستبحر فيها بنسيم طيب ولن يمزق الهواء قلعك وقاربك لن يبطئ ولن يحدث لصاريك أى ضرر ومرساك لن ينكسر ولن يجرفك التيار بعيدا ولن تتذوق أضرار النهر (لن تغرق) ولن ترى وجها خائفا حتى السمك الخائف سوف ياتى إليك وسوف تحصل على أثمن طائر لأنك أب لليتيم وزوجا للأرملة وأخ لتلك التى نبذت و مئزر لمن لا أم له (دليلا على عدله وشفقته) ودعنى أجعل أسمك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون طيب (عادل) وحاكم خالى من الطمع ورجل عظيم خالى من الأخطاء من يحطم الزور

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 408 .

(الكذب) ويأتى بالعـــدل مكانه ، من يلبى نداء
المستغيث ، وعندما أتحدث فهل لك أن تسمعنى،
أقم العدل أنت ممدوح بهؤلاء الذين يحبونك، أنظر
إنى فى عسرة ...» (١) .

ويتضح فى سطور تلك الشكوى الأولى أن صاحبها مهذب يحاول إستعطاف من يسمعها لرفع الظلم الذى تعرض له متخذا من العدالة الضمان له ولكل من يسير على نهجها النجاح فى الحياة والذكرى الطيبة وهى الضمان للبعد عن الطمع والكذب وكل سوء .

وعند هذا الحد من القصة فإن « رنسى » قد أعجب بفصاحة ذلك الفلاح فعرض الأمر على مليكه .

« سيدى لقد وجدت أحد هؤلاء الفلاحين انه حقا
بليغ وقد سرقت بضاعته ، وأنظر انه قد حضر
ليتظلم من أجل ذلك ...»

عندئذ رد الملك عليه :

« ... بحق ما تحب أن ترانى فى صحة دعه هنا
فترة أطول بدون أن تجيبه على شئ يقوله وعندما
يتحدث إلزم الصمت ثم أحضر لنا ما يقوله مكتوبا
حتى نسمعه، ولكن مد زوجته وأولاده باساليب

---

(١) Ibid., P. 408 .
وكذا :
Gardiner, A., Op. Cit., PP. 408 - 409 .

المعيشة ...» (١) .

وعمل «رنسي» بتوجيهات الملك فأرسل إلى رئيس قرية وادى الملح الذى قام بإمداد زوجة الفلاح وأسرته بثلاثة مكاييل من القمح يوميا(٢).

وهكذا يتضح أنه فى الوقت الذى عبر فيه الكاتب عن وجود فئة من الموظفين الظالمين المستغلين لسلطتهم فإنه أحسن التعبير عن أهمية الكلام الجيد وفى هذا دلالة على أن الفصاحة كانت من الأمور الهامة التى تحظى بتقدير تلك الفترة وما قبلها، أيضا فإن من الأشياء التى يجب الإشارة إليها وتعبير من مميزات تلك الفترة أنها لم تحرم الناس من الكلام إذا إقتضت مصلحتهم ذلك حتى ولو كان هذا فى صورة إحتجاج(٣)، بل وتجلت القيم فى اخلاق كل من «رنسي» عندما لم يأخذ جانب زملاء «تحوت ناخت» المجافى للحق، وكذلك الملك الذى أمر بالإحسان إلى عائلة الفلاح دون أن يعرف من هو المحسن عليه(٤) .

وعلى أى حال فلقد عاد الفلاح إلى بث شكواه وحتى الشكوى التاسعة فإنه سيصبح أكثر سخطا وتذمرا بسبب سوء المعاملة وسوف يتهم صاحب الضيعة نفسه بعدم العدالة لأنه بصفته أحد المسئولين فإنه لم ينصفه من هذا الظلم الواضح - بناء على تعليمات الملك - الذى تعرض له ومازال يتعرض له إذ يبدو أن مدير الضيعة قد قاطعه مهددا إياه بالضرب والعقاب إذا ما أصر الفلاح أن يسترد ممتلكاته الضائعة .

غير أن الفلاح لم يلتفت إليه ولم يثنه التهديد على المطالبة بحقه بل انه

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., PP. 408 - 409 .

(٢) Gardiner , A. , H., Op. Cit., P. 10 .

(٣) Wilson , J., The Burden of Egypt, P. 122.

(٤) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ص ٤١٥ .

راح يعدد بعض مساوئ ذلك العصر والأنانية التي تفشت في بعض المواطنين مما جعلتهم بعيدين عن واجباتهم في تحقيق العدل :

« إن كيال الحبوب يعمل لصالح نفسه وذلك الذى

يجب عليه أن يملأ للآخرين (يساعدهم) يسوى

نصيبه ، وذلك الذى يحكم تبعا للقانون يأمر

بالسرقة ... »

ويضيف :

« ... الانصاف قصير ولكن الضرر يمتد تاثيره

طويلاوحكمة الأمس تقول أفعل للفاعل حتى تجعله

يفعله .. »[1].

أو بمعنى :

« ... عامل الناس بما تحب أن تعامل به »[2].

وكما يرى « جاردنر Gardiner » فإن تعبير الأمس هنا كان عادة الإنسان المصرى القديم ليصف شكره وإمتنانه أو عدم شكره[3] . ويبين له ضرورة العدل :

---

(١) Wilson ,J., The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, P.409 .

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) Gardiner, A., H., Op. Cit., P. 12 .

« ... اقم العدل يكن (مثل) تنفس الأنف »[1] .

وعن أهمية تحقيق العدالة بين الجميع بدون تحيز أو محاباة :

« .. وقع العقاب ضد من يستحق العقاب ولن يكون
هناك شئ يعادل استقامتك هل يخطأ الميزان هل
يميل إلى جانب هل ينحاز « تحوت » إذا أظهر
الثلاثة تساهل إذا يمكنك أن تميل لجانب وخذ
نصيحة فالرجل العظيم إذا كان طماعا فهو ليس
حقا عظيم واللسان هو الإستقامة من الميزان
والقلب هو الثقل والشفتين هما ذراعه[2] ... » .

من الأشياء العظيمة إستخدام كاتب النص تعبير القارب والميزان للعدالة وإتخاذه من أجزاء الميزان ومقارنتها باللسان والشفتين عند الإنسان وإعادة نفس الكلمات بالمعانى المختلفة[3] وهى المعانى التى جاء ذكرها فى ذلك الأدب الإنسانى وعبرت عنها الأديان السماوية بعد ذلك ، كما تهدف المقارنات بين اخلاق وتصرفات « رنسى » وفئة الموظفين من جانب والموازين من الجانب الآخر اى ضرورة قيام المسئولين بإصدار الأوامر العادلة التى لا تخطئ كالموازين التى لا تميل عن الحق ولا تخطئ .

وفى الشكوى الثالثة يقول :

« ... سيدى انك « رع Rc » رب السماء فى صحبة

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 409 .

(٢) Ibid., P. 409 .

وكذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 6 - 7 .

حاشيتك أن قوام بنى الإنسان منك لأنك كالفيضان

وانت « حعبى Hcpy » اله النيل الذى يجعل المراعى

خضراء ويمد الأراضى القاحلة اكبح جماح

السارق ، دافع عن الفقير ولا تكونن فيضانا ضد

الشاكى واحذر من قرب الآخرة ... » [1] .

وهى كلها صفات للملك الجالس على العرش رغم أنه لم يذكره صراحة ولا يزال الغموض يكتنفها [2] .

وتستمر الاتهامات من جانب الفلاح إلى المسئولين وفئة الموظفين البعيدين عن الأمانة والشفقة الفاقدين لروح العدالة :

« ... إن « رنسى » لا يزال مستمرا فى خطئه

ووجهه(حواسه) أعمى عما ينظر ، لا يسمع ما

يجب أن يسمع، ضالا القلب عما روى له ، انظر

أنت مثل مدينة لا رئيس لها، أو مجموعة لا رئيس

لها، مثل سفينة لا ربان لها، حلف بدون مرشد،

انظر انك مسئول يسرق ورئيس (قرية) يقبل

رشوة، ومشرف ناحية واجبه معاقبة السارقين

ولكنه أصبح قدوه لهم ... »[3] .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

وكذا :

Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 13 - 14 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤١٧ .

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 409 .

واستمر «خوان انوب» في شكواه ينقد ويحذر البعيدين عن تطبيق العدالة ففي شكواه قبل الأخيرة ينصرف بالكلمات بحيث تؤدى الهدف منها[١]، حيث يحذر عن عواقب التغاضى عن العدل :

«.. (الرجل) يسقط بسبب جشعه، والرجل الطماع خالى (بعيدا) عن النجاح لأن قلبه ملئ بالجشع ويفكر في السرقة، أن السرقة لن تفيدك أنت يا من يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته العادلة ذلك لأن ما يكفيك في بيتك ولان جوفك قد ملأ ولان مكيال القمح قد فاض وإذا أهتز فانه يضيع في الأرض ، اقم العدل من أجل اله العدل والذى عدالته موجودة ، وأنت أيها القلم والبردية ودواة «تحوت» (لوحة الكتابة الخاصة بالاله تحوت) كونوا بعيدين عن عمل السوء انه طيب عندما يكون طيبا وهو طيب فعلا والآن العدل يبقى للأبد يذهب مع فاعله إلى الجبانة عندما يدفن ولكن أسمه لن يمسح (يمحى) من الأرض بل سيذكر دائما للخير[٢] ، (الذى قام به) ....» .

لم يقتصر الكاتب في العبارة السابقة أن يحذر من عاقبة الظلم ومن دعوته

---

(١) Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 12 - 20 .

(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .

وكذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٧ – ٦٨ .

لإقامة العدل المرتبط بالآلهة، بل أن الإنسان المصرى القديم قد توصل إلى أن العدل خالد وباق للأبد وأن الإنسان حتى بعد موته ترافقه أعماله فى الحياة الدنيا سيظل خالدا بسبب حرصه على العمل الصالح وإقامته لأركان العدل وهو ما يؤكده فى الشكوى التاسعة برمز واضح للإنسان المصرى القديم :

« .. لسان الناس هو ميزانهم وهو الذى يزيد نقائصهم (يكشف طبيعتهم) نفذ العقاب على من يستحق العقاب والكذب قد انتهى ولا يستطيع أن يعبر معدية ولن يتقدم، أما من تنمو ثروته فلن يكون له أطفال ولن يكون له وريث على الأرض، لا تكن ثقيلا يا من لست خفيفا ولا تتأخر لأنك لست مسرعا ولا تكن تستمع إلى قلبك (لا تنحاز إلى أحد) ...»[1] .

وبالنسبة لمن يقلع به (الكذب) فلن يستطيع الوصول إلى الأرض وقاربه لن يستطيع أن يبلغ (الأرض) مدينته ثم يختتم شكوته بتحذيره من الاستمرار فى التغاضى عن فعل الخير وتحقيق العدل وأنه سيذهب ليشكوه للاله « أنوبيس » بعد أن شكى إليه بدون نتيجة[2] .

عند ذلك أرسل « رنسى » اثنين من تابعيه لكى يحضروه وبعد أن طمأنه نتيجة خوفه لما بدر منه من كلام وأطلعه على شكواه مكتوبة[3]، لكى يطلع

(١) Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 20 .
وكذا :
Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .
(٢) Ibid., P. 410.
(٣) Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 21.

الملك عليها حيث أمره بأن يقضى فى القضية حسبما يراه فقام بتجريد « تحوت ناخت » من ممتلكاته واعطاها للفلاح تعويضا له عما أصابه من ظلم(١).

ويتضح لنا من النص الحالة الإجتماعية والسياسية وكيف رأى الإنسان المصرى القديم أن العلاج الأمثل لن يتحقق إلا بوجود حاكم صالح وطبقة من الموظفين الأمناء وبذلك تعود العدالة إلى مكانها فى نظام وطيد الأركان وهو ما جعل ذلك المتنبئ الحيكم « نفر رهو » بعد وصفه لما آلت إليه الحالة من اضطراب وفوضى ويرى العلاج فى ظهور حاكم صالح تعود به العدالة إلى أرض الوادى لأنه يحب العدل (ماعت) ، الأمر الذى يجد بالدارس أن يتناول معه الأفكار والقيم من خلال عصر الدولة الوسطى .

---

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .

وكذا :

عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤١٧ .

الأسرة العاشرة ٢١٣٠ - ٢٠٤٠ ق . م

معلوماتنا قليلة عن هذه الفترة ، ولكن على الأقل أسماء ملوك هذه الأسرة معروفة لدينا من خلال المصادر الأثرية المختلفة ، من نهاية الأسرة التاسعة تولى الحكم فى طيبة عدد من الأمراء حملوا اسم « إنتف » (أنتوف)، فى البداية دان أمراء طيبة بالولاء لملوك أهناسيا ولكن بحلول عام ٢١٣٠ ق . م بدأ حكام طيبة يشعرون بانهم أحق بتولى زمام الأمور وأعلنوا ذلك صراحة بحملهم القاب ملك مصر العليا ومصر السفلى ، وبذلك أصبح هناك عاصمتان الأولى فى أهناسيا حيث الأسرة العاشرة ، ثم الأسرة الحادية عشرة وعاصمتها طيبة فى الجنوب ، وبذلك تعاصرت الأسرتان العاشرة فى أهناسيا، والحادية عشرة فى طيبة كالتالى :

الأسرة العاشرة (٢١٣٠ – ٢٠٤٠ ق . م)

مرى حاتحور (نفر كارع) ٢١٣٠ – ٢١٢٠ ق . م

واع كارع (ختى الثالث) ٢١٢٠ – ٢٠٧٠ ق . م

مرى كارع ٢٠٧٠ – ٢٠٤٠ ق . م

الأسرة الحادية عشرة ٢١٣٣ – ٢٠٤٠ ق . م (والعاصمة طيبة)

سهر تاوى « إنتف الأول » ٢١٣٣ – ٢١١٨ ق . م

واح عنخ « إنتف الثانى » ٢١١٧ – ٢٠٦٨ ق . م

نخت نب تب نفر « إنتف الثالث ٢٠٦٨ – ٢٠٦٠ ق . م

سعنخ إب تاوى منتوحتب ٢٠٦٠ – ٢٠٤٠ ق . م

ثم تتابع الملوك المناتحة لمصر الموحدة حتى نهاية الأسرة الحادية عشرة.(١)

---

(١) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 333 .

ولابد من الإشارة إلى أن طيبة لم تكن في عصر الدولة القديمة أكثر من قرية قليلة الأهمية على الضفة الشرقية للنيل (تضم الأقصر الحديثة والأخرى الكرنك) ، والواقع أنها ربما كانت في هذه المرحلة أصغر أربع مدن صغيرة تضمها المقاطعة الرابعة لمصر العليا ، أما المدن الأخرى فهي الطود على بعد عشرين ميلا إلى الجنوب الشرقي ، وأرمنت (Iun Reayt) « هرمونتس » مقابل الطود عبر النهر ، ومدامود إلى شمال طيبة بالقرب من الصحراء الشرقية ، والأله الرسمي لأقليم « واست »هو الأله « مونتو » (إله الحرب) – حيث لم يكن أمون قد نال الشهرة الكبيرة بعد إلامع بداية الأسرة الثانية عشرة –[1] ، ويمكن القول أن أمراء طيبة بالتدريج وتحت حكم الأسرة العاشرة نجحوا في أن يجعلوا من أنفسهم قوة لا يستهان بها وكونوا حلفا من الإقاليم المجاورة ، حتى انتهى الأمر بزعامتهم للجنوب ، واشتهر حكامهم باسم « الأناتفة » واتخذوا من طيبة عاصمة لهم (واست) ، وتعاقبت أدوار الصراع بين طيبة وأهناسيا حتى حسمت طيبة الأمر حوالي عام ٢٠٤٠ ق.م .

بداية عصر المناتحة أو ما يمكن أن نسميه مؤسس الدولة الوسطى حمل بالتعاقب ثلاثة ألقاب حورية ، ولا زال عدد من الباحثين على غير بينه مما إذا كانت هذه الألقاب لثلاثة ملوك حكموا على التعاقب أم كانت لأقل من ثلاثة،[2] بينما هناك وجهة للنظر ترى التالي : الملك منتوحتب الأول (نب حبت رع) ٢٠٦٠ – ٢٠١٠ ق . م وقد حمل اللقب الحوري « سعنخ إب تاوى في الفترة من ٢٠٦٠ – ٢٠٤٠ ق . م ثم لقب « نترحجة » في الفترة من ٢٠٤٠ – ربما إلى ٢٠٢٥ ق . م ، ثم اللقب الثالث « سما تاوى (– – إلى ٢٠١٠ ق.م).

---

(١) Ibid., P. 333.

وكذا : Gardiner , A., Op. Cit., P. 116 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤٢٢

ثم الملك منتوحتب الثانى (سعنخ تاوى إف) ٢٠٠٩ – ١٩٩٨ ق . م.
الملك منتوحتب الثالث (نب تاوى) ١٩٩٧ – ١٩٩١ ق . م .(١)

منتوحتب الأول ٢٠٦٠ – ٢٠١٠ ق . م :

تعاقب اللقب الحورى لمنتوحتب الأول كان معاصراً لكل مراحل حكمه، عند وفاة والده « إنتف الثالث » حمل اللقب « سعنخ إب تاوى (أى محى قلب الأرضين) وتحت هذا اللقب قاد قواته لاخضاع شمال مصر ، وحينما نجح فى هزيمة أهناسيا حمل حوالى عام ٢٠٤٠ ق . م اللقب الحورى « نترحجة » (سيد التاج الأبيض) وحينما مد نشاطه إلى كل أنحاء مصر فى الجنوب والشمال أخذ اللقب الحورى الأخير « سما تاوى » بمعنى موحد الأرضين ، وغير واضح بالتأكيد كيف حقق هذه الأنتصارات ، بالقوة المسلحة فقط ، أو باستخدام الدبلوماسية ، المهم أنه فى أول سنى حكمه الذى دام نحو واحد وخمسين عام أقام نفسه ملكاً على مصر كلها دون منازع .

لم تقتصر جهود « منتوحتب » على المجال الداخلى بل أهتم ببلاد « واوات » النوبة السفلى التى قدمت الجزية ، وساعدت البعثات المصرية وزودتها بالجنود ، كما أرسل حملة فى العام الثانى من حكمه إلى وادى الحمامات لإحضار الفيروز من مناجمها ، كذلك أرسل قواته إلى ليبيا وقتل أحد قادة التحنو لتامين حدود مصر الغربية ، كذلك أهتم بتامين واحات الصحراء الغربية .

كذلك اهتم بالتشييد والبناء حيث اقام معابد كثيرة فى أسوان ، والكاب والطود ودندرة وابيدوس وغيرها ، (٢) وشهدت العمارة تقدما ملحوظاً كما

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 348 .
(٢) Ibid., P. 348 .
Gardiner , A., Op. Cit., P. 120 - 121 .

يتضح ذلك من معبده الجنازى الفريد فى نوعه . الذى بناه بين صخور الجبال على الضفة الغربية لطيبة ، فى المنطقة المعروفة بأسم الدير البحرى ، وهو يحوى فى تصميماته كثيراً من التجديدات ، حيث الطريق الجنازى الغير مسقوف الذى يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل ويمتد من مبنى الوادى إلى فناء كبير محاط من كل جوانبه ما عدا الغربى منها بجدران عالية ، وعند الطرف الغربى للفناء الأمامى أقاموا صفين من الأعمدة المربعة ، حجبت الجانب الشرقى من شرفة عريضة اقاموا فوقها المعبد ، وأقام الملك داخل حدود المعبد كلا من قبره الرمزى وقبره الحقيقى (١)

منتوحتب الثانى ٢٠٠٩ – ١٩٩٨م

بعد وفاة « إنتف » الأبن الأكبر لمنتوحتب الأول تولى ولده « منتوحتب الثانى » البالغ من العمر حوالى الخمسون عاما تقريباً الحكم لمدة قصيرة حوالى اثنى عشر عاما ، ومع ذلك فلقد كان دائب النشاط فى إقامة المعابد ، وهناك نص نقش فى العام الثامن من حكمه على صخور وادى الحمامات يروى كيف أن أحد رجاله المدعو « حننو Henenu » (حنو) أرسل إلى هناك على رأس بعثة قوامها ثلاثة الاف جندى بعد أن طهرت قوة من البوليس الطريق أمامهم من العصاة ، ويروى (حنو) تزويد جنوده بالمؤن والماء والخبز ، وعند وصوله إلى ساحل البحر الأحمر أمر جنوده بتركيب السفن ، وتم هذا بسهولة ثم أبحرت السفن إلى بلاد بونت ، وعند عودته قام بقطع أحجار تخص تماثيل للملك .

منتوحتب الثالث ونهاية الأسرة الحادية عشرة (١٩٩٧ – ١٩٩١ ق .م)

بردية تورين تنهى الأسرة الحادية عشرة بحكم الملك منتوحتب الثانى « ولكن هناك فجوة تتمثل فى فترة سبع سنوات بين نهاية حكم منتوحتب الثانى

---

(١) Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 172 - 176 .

وبداية حكم أمنمحات الأول (الأسرة ١٢) هذه الفترة تتطابق مع حكم منتوحتب الثالث ولقبه الحورى سب تاوى ، والذى تولى الحكم لفترة قصيرة حوالى ٦ سنوات ومعظم معلوماتنا عنه تأتى من خلال نقوش عثرنا عليها فى وادى الحمامات حيث أرسل وزير له يدعى « أمنمحات » على رأس حملة يقدر عددها بنحو عشرة آلاف من الرجال وذلك لاستحضار احجار لتابوت الملك ، وعادت بعد تحقيق هذه المهمة ، وتحدث الوزير « أمنمحات » بعد أن ذكر ألقابه نجاحه وأفتخاره بإنجاز هذه المهمة التى كانت ذو أهمية كبيرة فى حياته، الأمر الذى جعله يخصص لها أربع نقوش لكى يسرد فيها تفاصيل هذه البعثة .(١)

نهاية الأسرة الحادية عشرة يكتنفه الغموض ، ولذلك رأى بعض الباحثين ومنهم « جريمال » أن الأسرة قد أنتهت بالملك « منتوحتب الرابع » الذى خرج عليه وزيره أمنمحات صاحب البعثة السابقة ، على أعتبار أن الوزير « أمنمحات» والملك « أمنمحات » شخصاً واحداً ، وهى أمر فى حاجة لمزيد من الأدلة (٢) .

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 354 .

(٢) جريمال ، نيقولا · تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٤ .

الفصل السادس
عصر الدولة الوسطى

الفصل السادس

عصر الدولة الوسطى

أمنمحات الأول مؤسس الأسرة :

حوالى ١٩٩٠ ق.م. (١٩٩١ ق.م. تبعا للمؤرخ هيز W.Hayes) الوزير أمنمحات اعتلى العرش وحمل اللقب الحورى سحتب إيب رع هذا هو أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الذى ذكره مانيتون باسم « أمنمس »، ظروف توليه الحكم غير واضحة، مع احتمالية نشوب حرب اهلية حيث الوزير « أمنمحات » لم يكن ينتمى إلى العائلة الملكية ، مع احتمالية نشوب حرب أهلية حيث الوزير « امنمحات » لم يكن ينتمى إلى العائلة الملكية ، مع مراعاة عدم استبعاد قرابته للملك « منتوحتب الثالث » مع التأكيد بأن صعوده للعرش لم يكن بسبب صلته بعائلة ملوك الأسرة الحادية عشرة وهو ما توضحه النصوص التى تناولت هذه الفترة، وعلى وجه الخصوص « نبوءة نفر رهو » (نبوءة نفرتى) وغيرها من النصوص .

من الواضح أن « أمنمحات الأول » أراد أن يجعل من عصره بداية لعصر جديد كما يبدو هذا واضحا من أحد ألقابه « وحم مسوت » أى معيد الولادات، وكذلك من اختياره بحكمة عاصمة جديدة فى مكان أكثر مركزية يقع بين الدلتا ومصر العليا واطلق عليها « إيثت تاوى » (أى القابضة على الأرضين بمعنى المهيمنة عليهما) . وهى قرب اللشت الحالية فى شمال الفيوم، ومع ذلك فقد ظل يهتم بطيبة وأقام بها المعابد تمجيداً للإله آمون الذى بدأ نجمه فى الأرتفاع حتى وصل إلى درجة كبيرة مع بداية عصر الدولة الحديثة .

أما سياسته تجاه أمراء الأقاليم فكانت فى غاية الحكمة، فحتى ذلك

الوقت لم تبد في الجو مسالة القضاء تماما على سلطان حكام الأقاليم، مع مراعاة ان الظروف لم تكن مهيأة لذلك بسبب تعاظم نفوذهم منذ عقود طويلة من السنين، ويبدو هذا واضحا في المقابر العظيمة التي شيدوها لأنفسهم في اقاليمهم ، وعلى سبيل المثال إقليم بنى حسن حيث مقبرة خنوم حتب حاكم. إقليم الوعل (المقاطعة رقم ١٦ من مصر العليا)، وكذلك في مقبرة ابنه الذى يحمل نفس الاسم ما يشير إلى أنهم كانوا سادة في ممارسة حقوقهم، وتبعهم الكثير من الموظفين تذكرنا القابهم بالوظائف التى كانت تتصل بالقصر الملكى ، وبالرغم من ذلك ومن خلال نقوش خنوم حتب على مقبرته نلاحظ ان أمنمحات الأول في الوقت الذى اتبع سياسة حكيمة في مخاطبة ود الكثير من حكام الأقاليم الأقوياء فإنه لم يتوانى عن استعمال الشدة في ظروف أخرى فهو الذى ابقى على الموالين له وعزل غير الموالين له وخاصة من الحكام الضعاف ، وهو قد حدد حدود كل اقليم « ليجعل كل مدينة تعرف حدودها مع غيرها وقد ثبت أحجار حدودها كالسماء وعرفت مياهها طبقا لما جاء في الكتابات .. كل ذلك بسبب عظمة حبه للعدالة » .

وقد سجل الانسان المصرى القديم تراثه الفكرى في عدد كبير من الوثائق كما عبر عنه أيضا في التراث الأثرى الخالد سواء في العمارة أو النحت أو النقش

وقام العلماء بدراسة هذا التراث وتحليل مادته التاريخية واستنباط الحقائق التى سجلها التاريخ في مجال القيم والمفاهيم والمثل العليا سواء في الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجوانب السلوكية الفردية أو الجماعية.

وقد ترك الإنسان المصرى القديم المنتمى إلى عصر الدولة الوسطى تراثا في هذا الموضوع، ففى مجال المادة النصية يتضمن هذا التراث النصوص التالية :

نبوءة « نفر رهو »

نصائح « أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول »

نص « أمينى » حاكم مقاطعة الغزال

نص « منتوحتب وزير الملك « سنوسرت الأول » بالاضافة إلى نصوص أخرى.

وعلى الرغم من تداخل المغزى السياسى مع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسلوكية فقد حاول الدارس تصنيف وتحليل مضمون المادة التاريخية فى تلك الوثائق حسب الجوانب سالفة الذكر حتى يمكن أداء التحقيق الدقيق لتلك المثل العليا فى المجتمع المصرى القديم على المستوى الفردى والجماعى الشخصى والرسمى لتلك الفترة، وسوف يبدأ الباحث بالجانب السياسى.

تناولت النصوص الملكية فى عصر الدولة الوسطى التعبير عن القيم والمثل التى آمن بها الانسان المصرى القديم وإصراره على وجود حاكم صالح على راس المجتمع حتى يحقق له الخير والاستقرار وعكست النصوص هذه الرغبة مع مراعاة ان كثيرا منها كان بتأثير من الملوك لتحقيق أهدافهم السياسية فى الحكم غير انها حوت كذلك على حالة مصر الاجتماعية فى تلك الفترة(١).

وينتمى إلى هذا النوع من النصوص الأدب الخاص بالتنبؤات وفيه يقوم المؤلف بسرد مجموعة من احداث الماضى وما مر بالبلاد من أزمات بغرض التحذير من تكرار مثل هذه الأمور والاستفادة من دروس الماضى للحاضر والمستقبل مع ضرورة طرح الحلول والآراء السديدة للخروج بالبلاد مما تعانيه من اضطراب وفوضى وسوء الأحوال إلى الخير والاستقرار والحكم الصالح وهى

---

(١) Vercoutter J., Op. Cit., P. 380 .

كلها هدف دائم للإنسان المصرى على مر العصور وهو ما تضمنته نبوءة « نفر رهو Nfrr- hw »[1] ذات المغزى السياسى للتمهيد لـ « امنمحات الأول » (١٩٩١ – ١٩٦٢ ق.م.) الذى سيستولى على الحكم فى مصر من الشمال إلى الجنوب وسيبدأ عهد جديد يحقق فيه المثل العليا للإنسان المصرى القديم وأهمها العدل والخير والاستقرار[2] .

ولكى يجذب المؤلف وهو من مصر السفلى آذان سامعية لذلك النص الهام فلقد وضع قصته فى إطار تمثيلى واضح لكل من يسمعه وادعى أن قصته قد ألقيت فى وجود الملك « سنفرو snfrw » الذى يحتفظ له الإنسان المصرى القديم بكل حب وتقدير لتمسكه بالعدل والخير الذى مكن لحكمه ولشعبه الاستقرار والتقدم الحضارى على أسس ثابته وربما هدف الحكيم من ذكر « سنفرو » ان يكون قدوة لمليكه فى العدل والحب والاستقرار أو أراد الملك ان يوحى لشعبه عن طريق النبوءة بما سيحققه حكمه من عدل ورفاهية .

والوثيقة تبدأ بسرد عادى لما يحدث فى القصر الملكى حيث كان تابعو الملك يقدمون له التحية ويخرجون ثم يعودون مرة أخرى لتقديم التحية تبعا للعادات اليومية ، عندئذ قال الملك لمستشاره الذى يقف بجانبه :

« اذهب واحضر لى(ارجع)موظفى مقر الملك الذين
قد خرجوا من هنا ليقدموا لى تحياتهم فى هذا
[اليوم] ... » .

---

(١) نبوءة « نفرو هو » موجودة بمتحف لينتجراد وقد نشرها العالم : « جولنشف Golenischeff » فيما يعرف ببردية « سان بطرسبرج رقم I 116 B » والنص كان يستخدم للاغراض المدرسية فى الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر ، انظر :
Wilson , J., The Prophecy of Neferti, ANET, P. 444 .

(٢) Ibid., P. 444

فدخلوا للقاء جلالته للمرة الثانية حيث تحدث إليهم
بكل ود وتواضع :

« يا قومي . . لقد أمرت بطلبكم لكى أطلب منكم أن
تبحثوا عن ابن لكم حكيم ، أو أخ لكم متمكن أو
صديق من أصدقائكم قد أنجز عمل طيب ، أى
شخص يتحدث إلى بكلمات حسنة وجمل مختارة
عند سماعى لها فربما [جلالتى] تجدها
مسلية . . . » .

عندئذ أجابوا جلالته :

« يوجد كاهن عظيم ممثل للآلهة « باستت Bastet[1]
يقوم بالطقوس وملما بالسحر أسمه « نفر رهو »
أنه شخص مهاب بذراعه (قوى الساعد) وكاتب
قدير باصابعه ، أنه شخص ذو منزلة وله أملاك
(أكثر من أى شخص) هل يسمح له برؤية
جلالتكم . . . »[2] .

وبعد تلك المقدمة جئ بالحيكم « نفر رهو » إلى الملك الذى دعاه باعتباره صديقه ولم يقم باستدعاء أحد من الكتبة للقيام بالكتابة وإنما فضل أن

---

(١) الآلهة باستت : آلهة مدينة « باست » (بوباسطة) رمز إليها بشكل آدمى برأس قطة تحمل باحدى يديها صورة رأس الأسد الخاص بالآلهة « سخمت » و فى اليد الأخرى « سستروم » الموسيقى وكان المصريين يتحدثون عنها باعتبارها شخص ودود محبوب ، انظر : أرمان : نفس المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) Wilson , J., Op. Cit., P. 444 .

يقوم بنفسه بذلك وأن يسمع من الأحاديث المختارة عما سيقع فى المستقبل .

وكما يرى «ويلسون Wilson» فإن اهتمام الانسان المصرى القديم بالمستقبل يبدو معقولا وخاصة أن فيه دلالة على إعادة الماضى بخيرة المرتبط بحكم «سنفرو»(١) .

ولكى يؤكد حاجة البلاد لهذا الملك العادل فإن حكيمنا يبدأ فى وصف الأوضاع التى تدعو تولى مليكه للحكم لتخليص البلاد مما تعانيه من الفوضى التى حولت البلاد (خراب) بسبب عدم الاهتمام بها وهى الأوضاع التى أصابت مصر منذ نهاية عصر الدولة القديمة وتوالى الملوك الضعاف الذين تضاءلت سيطرتهم على أنحاء مصر.

وأصبح من يمتلك القوة يطالب العرش لنفسه وأصبح حكام الأقاليم كل منهم بمثابة الحاكم فى اقليمه(٢) ، والنص يعبر عن ذلك :

«... ستعيش الأرض فى فوضى وأريكم الابن وكأنه

عدو والأخ كخصم والرجل يقتل أبيه المجاعة والفقر

يملآن الأرض ولكن زعمائها كثيرون ...»(٣).

ومن المحتمل – حسب النبوءة – وجود الأجانب فى الدلتا حيث قام «أمنمحات» فى النصف الأول من حكمه بطرد هؤلاء الأجانب الذين زحفوا على الدلتا خلال الفوضى التى أعقبت حكم «سنوسرت» (الآله المقدس) والتى استمرت نحو سبع سنوات وكانت العلامة المميزة لنهاية الأسرة الحادية

---

(١) Ibid., P. 444 .

(٢) Breasted , J., H., Op. Cit., P. 216 .

(٣) Vercoutter , J., Op. Cit., P. 355.

عشرة[١]، وللحيولة دون عودة مثل هؤلاء الأجانب فقد بنى الحصون القوية على حدود الدلتا [٢] وربما أراد الكاتب كما يرى « بوزنر Posner » قد تعمد أن يخلط أحداث عصر الانتقال الأول بأحداث نهاية الأسرة الحادية عشرة والقلاقل التى وجدت فيها هادفا من ذلك رفع شأن مليكه [٣] ، وخاصة أن تلك الأحداث لازالت فى ذكرى مؤلف النص ويرغب فى التحذير منها عدم تكرارها[٤] .

ثم يتحول « نفر رهو » إلى هدفه الرئيسى ذو المغزى السياسى موضحا الرأى السديد الذى سينقذ البلاد مما تعانيه من فساد فى الحكم والادارة معلنا قدوم الملك الذى سيخلص مصر :

« ولكن انظروا سيأتى ملك من الجنوب يدعى « أمينى ymny » (اختصار لأسم أمنمحات) أنه ابن امرأة نوبية[١] ، أنه ابن مصر العليا، وسيستلم التاج [الأبيض] وسيلبس التاج الأحمر (موجدا بذلك التاج المزدوج دليلا على وحدة البلاد) وسيرضى بذلك الالهة (كما يرى ولسون كلا من الاله حورس والاله ست)، وسيفرح أهل زمانه وسيجعل ابن الانسان (الملك) اسمه باقيا إلى الأبد ... » [٥].

---

(١) Winlock, H., E., Op. Cit., P. 54 .

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 361 .

وكذا : و . ايمرى : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٥ .

(٣) Vercoutter, J., Op.Cit., P. 356 .

(٤) Wilson , J., Op. Cit., P. 444 .

قد يقصد بذلك تاستى .

انظر . Gardiner, A., H., Onom., Vol. 2, P. 2

(٥) Wilson , J., Op. Cit., PP. 442 - 446 .

ويتضح من الفقرة السابقة أن المؤلف لا يحاول إخفاء الأصل الغير ملكى لأمنمحات الذى نجح فى إعادة سلطان مصر فى تلك الفترة بل انه يركز عليه مؤكدا نجاحه فى تحقيق الأمان والاستقرار فى الحكم وهو الأمل الذى اهتم كل مصرى إلى تحقيقه وهو أهم فى نظره من الأصل الغير ملكى الذى يبدو أن هناك كثيرون غير « أمنمحات » يطلبون العرش لأنفسهم لدرجة أن ظهوره قد أصبح امراً عاديا لدى الانسان المصرى الذى توصل نتيجة تجاربه أن قيام الملك بتحقيق متطلبات المجتمع يعد أهم من تلك القيم القديمة بشأن الأصل الملكى حسبما كان الحال من قبل فى الدولة القديمة .

ولا تزال الأدلة تعوزنا عن هذا النص وهل كتب بعد نجاح « أمنمحات » فى تولى العرش وأن نجاحه فى اصلاح أحوال مصر كان متوقعا، أو أن « نفر رهو » كان مرسلا بمعرف « أمنمحات الأول » إلى الوجه البحرى بعد نجاحه فى تنظيم أمور مصر العليا وذلك للقيام باعلاء شأن مليكه مبشرا ومؤكدا نجاحه فى ربوع مصر كلها(١) ، وهو ما تؤكده اصلاحاته التى قام بها بعد نجاحه فى الاستحواذ على السلطة .

ويشير « هيز Hayes» إلى الظروف التى صاحبت نهاية الأسرة الحادية عشرة حيث تولى « سنوسرت» المسمى والد الاله الحكم بعد « منتوحتب الثالث» ثم أعقبته فترة خمس سنوات تولى فيها الحكم عدد من الملوك الضعاف تركوا بعض الآثار فى النوبة، وفى نهاية الأسرة الحادية عشرة والتى استمرت نحو سنتين تولى الحكم « منتوحتب الرابع » (نب تاوى رع) (١٩٩٣ – ١٩٩١ ق.م.) الذى أرسل البعثات إلى (وادى الحمامات) ومنها نستدل على قيام وزيره « أمنمحات» بحملة من عشرة آلاف رجل إلى « وادى الحمامات» لقطع الاحجار الخاصة بتابوت الملك ويبدو أنه قد وجه هذه القوات الكبيرة بعد

---

(١) Breasted , J.H., Op. Cit., P. 203 .

عودته لكي يستولي على عرش مصر كلها ويؤسس اسرة جديدة تتولى الحكم(١).

بينما يرى بعض المؤرخين أن « أمنمحات » كان وزيرا « لمنتوحتب الثالث » وأنه لم يكن من أصل ملكي وهو نفسه الذى تولى حكم مصر بعد عودته هو وفرقته البالغ عددها عشرون الف رجل كانت مكلفة بحراسة إحدى البعثات الملكية أمام هجمات البدو الذين اعتادوا الهجوم على مثل هذه البعثات حيث نجح بعد عودته فى تاسيس الأسرة الثانية عشرة(٢) .

وعلى أى حال فلقد كان على « أمنمحات » كحاكم طيب تقى واجب وطني هام وهو حماية وطنه والقضاء على المغيرين ودفع غاراتهم وتأمين حدود مصر وواجب آخر وهو القضاء على الفساد والشر بإصلاح النظام الداخلي ولذلك فلقد قام « أمنمحات » باعادة تنظيم مصر بعد الاضطرابات التى ميزت نهاية عهد « منتوحتب الثالث » فحدد حدود المقاطعات « لقد جعل كل بلدة تعرف حدودها مع الأخرى حتى تكون حدودها ثابتة كالسماء » وخضع موقع العاصمة لتنظيماته الجديدة فأعاد « منف » كعاصمة إدارية للبلاد وقد يبدو ذلك لأن طيبة لم تكن تبدو شديدة الاخلاص لشخصه أو أنها فى قلب مصر العليا لم تكن موقعها تصلح لتكون عاصمة لكل الدولة، كما يتضح من الاسم الذى اختاره « أمنمحات » لعاصمته الجديدة « ايثت تاوى » ومعناها « القابضة على الأرضين » والتى يحتمل أن تكون بالقرب من المكان المسمى الآن « باللشت » حيث تم العثور على الهرم الخاص « بأمنمحات الأول » وذلك لسهولة الاشراف على جزئى

---

(١) Hayes, W.C., Op. Cit., PP. 167 - 168 .

(٢) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs , P. 124 .

وكذا Hawkes , J., Op.Cit., P. 300 .

ممالكته من المواقع الجديدة والقضاء بالقوة على أى محاولة للنيل من سلطته[1] .

والخطر الحقيقى من حكام الأقاليم كان واردا فى ذهن « أمنمحات » وخاصة فى اللحظات الحرجة أو هذه الأوقات من الضعف المؤقت عند تغيير الملوك ، لهذا يبدو ان « أمنمحات الأول » قد تجنب ذلك عن طريق نقل السلطة قبل وفاته ويدل على ذلك العثور على لوح حجرى فى أبيدوس[2] ، فى العام العشرين من حكمه يحكى انه اعطى لأبنه « سنوسرت الأول » مكانة ملكية متساوية بينما كان هو نفسه لايزال على العرش وهو اتجاه حكيم فبالاضافة إلى توريث أبنه والخبرة المكتسبة نتيجة ذلك فإنه سيجنب البلاد شر الاضطرابات للمطالبة بالعرش وهى أشياء لمسها « أمنمحات » نفسه وعانى منها الإنسان المصرى أشد المعاناة[3] .

وعلى الرغم من محاولات « أمنمحات الأول » وجهوده فى اعادة النظام القديم وتثبيت دعائم ملكه بقدر ما سمحت له الأحوال مراعيا كل الظروف التى تمر بها البلاد فى تلك الفترة وقيامه بالموازنة بين رغبته فى مركزية الادارة واللامركزية التى تمسك بها حكام الأقاليم غير مضحيا بتلك الروح الفردية وحقوقها الموجودة فى المجتمع[4] ، برغم كل هذا فلقد تعرض لمؤامرة غاضمة دبرت للنيل منه ، اختلفت آراء العلماء فى تحديد وقتها الزمنى وبالتالى أيضا فى

---

(١) Breasted , J.H., A History of Egypt, P. 157 .

(٢) أبيدوس : تعرف باسم « العرابة المدفونة » تقع على حافة الصحراء غربى مدينة البلينا أسمها القديم « أبدو » ضمن الأقليم الثامن من مصر العليا ، أنظر :
Gardiner , A. H., Onom., P. 36 .

(٣) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 361 .

(٤) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ١ ، ص ١٦٧ .

التاريخ الخاص بنصه[١]، الذى يتضمن نصيحة مختصرة إلى أبنه وتعد فى الوقت ذاته نوع من الوصايا السياسية[٢] ، وهناك من الآراء رأيان الأول يميل إلى الاعتقاد بأنه قد حدث للملك مؤامرة لاغتياله فى العام العشرين من حكمه وأنه نجا منها وأشرك أبنه « سنوسرت الأول » وأفضى إليه نتيجة تجاربه والأسلوب الأمثل للحكم والحياة بما يساعده فى تمييز ما يقابله من ظروف الحياة[٣] ، وهو رأى مجموعة من العلماء منهم « برستد Breasted » ويتفق معه « جريفثGriffith » الذى يؤرخ النص قبل موت « امنمحات الأول » .

وهناك رأى ثان يرى أصحابه أن المؤامرة حدثت فى العام الثلاثين من حكمه وأنها نجحت فى القضاء على « امنمحات الأول » وتمكن أبنه وخليفته أن يعود من حملته العسكرية أى الغرب فى المناطق الليبية تلك الحملة التى اشترك فيها « سنوهى » واستطاع بالفعل أن يجمع مقاليد الأمور فى يده خلفا لأبيه مدبرا أمور البلاد ويوصى أحد كتاب عصره أن يقص القصة على لسان أبيه « امنمحات نفسه » [٤]، وهو رأى « ماسبرو Maspero » وكذلك « دى بيك De Buck » الذى أخذ نفس وجهة النظر بأن النص بعد موت « امنمحات »، وفى بحث للعالم « جن Gunn» فنه يميل إلى الموافقة على وجهة النظر التى تميل

---

(١) من المرجح أن كاتب هذا المقال يدعى « خيتى » للعثور على مخطوط من الأسرة التاسعة عشرة وفيه رجاء لصالح الكاتب المتوفى « هذا الممتاز اختيار المنطوقات، أعطى أسمه للأبدية أنه هو من كتب تعاليم ملك مصر العليا والسفلى « سحتب أيب رع » حياة رفاهية صحة، عندما ذهب ليستريح عندما اتصل بالسماء ودخل بين سادة نكروبوليس ، انظر :

Wilson , J., Op. Cit., P. 418 .

(٢) Gardiner, A., New Literary works from Ancient Egypt, JEA, Vol. 27, P. 22.

(٣) Breasted , J., H., Ancient Records of Egypt, P. 229 .

(٤) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ١٦٨ .

إلى أن النص قد كتب بعد وفاة « أمنمحات » الذى ظهر لأبنه بعد وفاته فى حلم أو رؤية ليكشف له الحقيقة [1].

وعلى أى حال فلازالت الأدلة تعوزنا حتى يمكن تحديد أى الآراء أقرب إلى الحقيقة العلمية لهذا النص الذى يظهر النصيحة التى قدمها « أمنمحات الأول » إلى أبنه وخليفته سنوسرت الأول، باعتبارها رد فعل طبيعى لحاكم من أعظم الفراعنة المصريين الذى أدار شئون مملكته بحنكة وخبرة وبرغم جهوده من أجل اقامة دولة ناجحة فإنه يقابل بجحود ومؤامرة على حياته نفسها كانت دافعا ان تعكس على نصه نوع من عدم الافراط فى الثقة .

ويهم الدارس أن يوضح أن الإنسان المصرى القديم هنا ممثلا فى شخص « أمنمحات » أو فى شخص خليفته قد استطاع بفكره النابع من ضميره أن يحدد أن لكل إنسان دور يؤديه فى حدود وظيفته، والملك نفسه حسبما نجده فى نصائحه يوضح فى تلك الوثيقة قيامه بواجباته السياسية نحو رعاياه على الوجه الأكمل بل ويحث ابنه وخليفته أن ينهج نهجا سويا مستفيدا من تجارب ابيه .

ويبدأ الملك نصه باعتبار أن التعاليم موجهة من جلاله ملك مصر السفلى والعليا « أمنمحات » المنتصر (المتوفى) فى خطاب صدق إلى أبنه (خطاب الصدق يعنى حلم أو رؤية من الملك المتوفى للملك الحى) ويوجه الملك الحديث إلى أبنه وخليفته بصفة من صفات الالهة حيث يقول له :

« ... أنت الذى ظهرت كاله استمع إلى ما ينبغى أن
أقوله لك حتى تستطيع أن تكون ملك الأرض
وحاكم المناطق وحتى يمكنك تحقيق فائض من

---

(١) Breasted . J., H., Op. Cit., PP. 228 - 229 .

وكذا :

Gunn , B., Notes on Ammenemes, 1, JEA, Vol., 27, P. 3 ff.

الخير ...»[1] .

وتتضح فى تلك المقدمة اتجاه ملوك الدولة الوسطى فى استعادة ما فقدته الملكية من مكانة والارتباط الشديد بين الملوك والآلهة حين يخاطب ابنه باعتباره سيد الكل وكيف أنه تالق أو ظهر كاله واستخدام نفس الفعل hc الذى يستخدم بانتظام للتعبير عن شروق الشمس وأيضا ظهور الفرعون[2] ، وهو ما سبق الاشارة إليه فى الارتباط بين ملوك الدولة القديمة والالهة .

ومما يؤكد ما ورد فى هذه النصائح تلك النصوص المعروفة باسم «قصة سنوهى» لأنها تروى أن سنوهى كان مع ولى العهد سنوسرت (الذى اشركه امنمحات معه فى الحكم ابتداء من السنة العشرين من حكمه) فى حملة على ليبيا حينما وصل رسول من القصر وأبلغ الامير برسالة سرية بان والده الملك امنمحات قد تعرض لمؤامرة على حياته وأن الظروف تقتضى عودته بسرعة، وقد أتيحت الفرصة لسنوهى كى ينصت إلى الرسالة ومن الجائز أنه كان على علاقة بالمتآمرين فخشى على حياته وفر هاربا إلى فلسطين حيث أقام هناك وتزعم إحدى القبائل إلى أن وصل إلى سن الشيخوخة، وحينئذ صدر عفو ملكى بالعفو عنه نتيجة التماس قدمه فعاد إلى مصر.

---

(١) المستندات الموجودة لهذا النص تاتى من الأسرات الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين (١٥٠٠ - ١١٠٠ ق.م. تقريبا) عندما كانت هذه الكتابات شائعة تستخدم كنوع من التمرين لتلاميذ المدارس وقد نقل النص فى أربعة برديات :

بردية ميالنجن Mellingen، بردية برلين رقم ٣٠١٩ ، بردية ساليه رقم ١١، بردية المتحف البريطانى رقم ١٠١٨٢ ، بالاضافة إلى ما يقرب من ٣ طاولات كتابة، ستون شقفة ولفة جلدية ، انظر :

Wilson , J., The Instruction of King Amenemhet, ANET, P. 418

وكذا :

(٢) Breasted , J., H., Op. Cit., Pp. 230 - 231

سنوسرت الأول : (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق.م.) :

نجح سنوسرت الأول فى التغلب على تلك المؤامرة التى جاء ذكرها فى نصوص والده، لكننا لا نملك تفاصيل كيفية تغلبه على هذه المؤامرة، وتونى العرش قرابة ثلاث وأربعون عاما، وفى خلال العامين الأخيرين قبل وفاته اشرك هو أيضا ابنه « أمنمحات الثانى » .

استمرت جهود « سنوسرت الأول » فى بلاد النوبة ، تلك الجهود التى بدأها منذ كان مشاركا فى الحكم مع والده، وتابعها بعد أن تولى العرش بمفرده، ففى العام الثامن عشر من حكمه حوالى ١٩٥٤ ق.م. وصل إلى « كوش » ، حيث ذكر « امينى » حاكم قسم الوعل فى مصر الوسطى، انه قاد فيلق من الجنود تحت قيادة مليكه سنوسرت وغزا النوبة وتوغل فيها حتى بلغ كوش .

والمعروف أن سياسة مصر خلال عصر الدولة القديمة تجاه بلاد النوبة تتركز أولا فى الناحية الدفاعية، للأهتمام بحدود مصر الجنوبية، ثم الاهتمام بالجوانب التجارية مع بلاد النوبة، وفى عصر الدولة الوسطى زاد الاهتمام ببلاد النوبة بسبب الدوافع الاقتصادية حيث أرسل سنوسرت الأول حملة عادت محملة بالذهب ، واصبح الحصول على الذهب من بلاد النوبة من أهداف ملوك عصر الدولة الوسطى، بجانب تأمين الحدود الجنوبية لمصر فى الجنوب، وذلك بالسيطرة على بلاد النوبة وجعلها تابعة وموالية لمصر .

وبالنسبة لسورية (بلاد الشام) التى شهدت مع بداية الدولة القديمة نشاطا ملحوظا وزيادة البعثات التجارية إلى سيناء والمدن الفينيقية لجلب الفيروز والنحاس والأخشاب ، لكن فى نهاية عصر الدولة القديمة توقفت البعثات والنشاط التجارى ولم تعد إلا مع بداية الأسرة الثانية عشرة ، ومن خلال نص « سنوهى » نستطيع أن نستشف أنه خلال حكم « سنوسرت الأول » المنفرد والذى بلغ نحو ثمان وثلاثين عاما لا توجد خلالها اى حروب أو مشاكل

حدودية مع الجانب الآسيوى ، ورسل الفرعون المصرى وصلت إلى كل مكان بدون عائق أو متاعب ، كذلك أكدت الحفائر الأثرية في فلسطين وسوريا تنامى الجوانب التجارية بين الجانبين ، فعثر فى أوجاريت (حاليا رأس الشمرا) على عقد على شكل تمائم تحمل اسم سنوسرت الأول، وعدة جعارين وأوان نقشت بأسماء مصرية عثر عليها فى فلسطين ، وسورية فى مدن عدة منها غزة، جازر، بيسان ، مجدو وغيرها .

وكما يرى « فوركيته » فإن القصر المصرى نجح فى تقديم إهداءات الملوك الفراعنة إلى امراء سوريا وأمراء آسيا فى مقابل هداياهم، وطلبا للتحالف والتعاون التجارى، وأن هذه السياسة كانت موجودة منذ عهد « سنوسرت الأول » ، وشملت هذه السياسة أيضا بلاد النوبة وكريت مما يؤكد أن العلاقة بين مصر وكريت لم تكن فقط منذ عصر الدولة الحديثة وإنما تعود في جذورها لفترة بعيدة على الأقل إلى عصور الدولة الوسطى[١] .

ولما رأى « سنوسرت الأول » ما عاد عليه من الميزات والفوائد من اشتراكه مع أبيه فى الحكم اشرك هو أيضا ابنه « أمنمحات الثانى » مع فى الحكم لمدة عامين تقريبا وتوفى عام ١٩٢٨ ق.م. وأعقبه ابنه « أمنمحات الثانى » .

أمنمحات الثاني (١٩٢٩ - ١٨٩٥ ق.م.)

سار على سياسة والده تماما، ثم أشرك معه فى آخر حكمه ابنه « سنوسرت الثانى » فى الملك لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، وشهدت مصر فى عهده وعهد والده فترة من الرخاء والرفاهية ، ففى خلالها فتحت مناجم سيناء، وكذلك محاجر الرخام، واكثر « أمنمحات » من حفر الآبار والمحطات على الطريق الموصل قفط بالبحر الأحمر فتمكن القوم من اجتيازه فى خمسة أيام ، وهذا

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 367 .

الطريق شمال وادى الحمامات وينتهى بالقصير ، وساد السلم علاقات مصر الخارجية، وأصبح مركز مصر الخارجي قويا، وليست هناك نصوص عن قيام حملات عسكرية خلال حكمه، ووطد صلاته بجيران مصر ففى النوبة كان موظفى الملك يترددون عليها بانتظام، وفي آسيا سار على نفس سياسة والده بدليل العثور على تماثيل مصرية مغطاة بالذهب والبرونز[١]، وكان المصريون يستوردون القصدير اللازم للصناعات البرونزية عن طريق موانئ فينيقيا ، وقد عثر أيضا على أوان صغيرة مهداه إلى حكام جبيل[٢]، كما عثر على تمثال صغير على هيئة «أبو الهول» فى «قطنة».

كذلك استمر فى أرسال البعثات إلى جهات مختلفة لكثير من موانئ البحر الأحمر (وادى جاسوس) ، وكذلك إلى بلاد «بونت»، خلفه ابنه «سنوسرت الثانى» (١٨٩٧ – ١٨٧٨ ق.م.) الذى تابع سياسة والده، أما عن نشاطه العسكرى الوحيد فقيامه بحملة تفتيشية على بلاد النوبة .

نبذ «سنوسرت الثانى» أهم التقاليد الثابتة فى عمارة الهرم وهو كون موقع المدخل فى الواجهة الشمالية ، وأصبحت الأهمية الأولى هى المحافظة على سلامة الهرم بوضع مدخله فى مكان لا يتوقعه من سيحاول سرقته – لكن الأثرى فلندرزبترى الذى حفر هذا الهرم المشيد عند اللاهون على حافة الفيوم نجح فى العثور عند الناحية الجنوبية من الهرم على بئر تهبط عمودية ثم تؤدى إلى ممر على عمق ٤٠ قدما تحت سطح الأرض يوصل عن طريق غير مستقيم إلى حجرة الدفن المبنية من الجرانيت، ثم عثر بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجنوب أيضا على بئر ثانية أكبر من الأولى تهبط أيضا إلى الممر، وعن طريق البئر أنزل إلى هذا الممر التابوت الفخم المصنوع من الجرانيت الوردى والذى عثر عليه فى

---

(١) Ibid., P. 371 .

(٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ١ ، ص ١٨٦ .

حجرة الدفن، علاوة على مائدة للقرابين صنعت من المرمر، كذلك اختلف هرم « سنوسرت الثاني » في بنائه العلوى في كثير من النواحي عن أهرام أسلافه، فقد احتوى بناؤه الداخلي على ربوة من الصخر ترتفع عن سطح الأرض حوالى ٤٠ قدما، وفوق الصخر أقام شبكة من الجدران الساندة وملأ المساحات المختلفة بين تلك الجدران بالطوب اللبن .

ثم كسى هذا البناء الداخلي بأحجار جيرية من نوع جيد، وشيد المدماك الأسفل داخل الأساس الصخرى ليتحمل ضغط البناء الخارجى، ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة خندق غير عميق مملوء بالرمال الغرض منه امتصاص مياه الأمطار التى كانت تنزل على واجهة الهرم (١) .

سنوسرت الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م.)

نال « سنوسرت الثالث » (خع كاورع) شهرة كبيرة لم يحصل عليها أحد من ملوك عصر الدولة الوسطى، وعبرت وجوه تماثيله عن شخصية قوية تتميز بقوة الإرادة والحزم والصرامة، وأثبت بعمله فخر انتسابه لتلك الأسرة المجيدة، والمعروف عنه أنه اجتهد منذ توليه الملك لضم النوبة نهائيا إلى مصر، والظاهر أنه مع بداية الألف الثانى قبل الميلاد شهدت بلاد النوبة عناصر وتحركات كان لها تأثيراتها، فتحرك لها الملوك « منتوحتب » و « أمنمحات الأول » لتأمين النوبة السفلى « واوات » ، لكن تحركات هذه الجماعات عادت للظهور وربما استفادت من فترة السلم خلال عصرى « أمنمحات الثانى » و « سنوسرت الثانى » ، ويبدو أن مدينة « كرما » كانت أحد المراكز السياسية للقوى النوبية الجديدة وربما بحكم موقعها البعيد جنوب الجندل الثالث أصبح الأمر خارج عن السيطرة، وتقلصت العلاقات بين مصر وكرما، وبرغم عدم وضوح التفاصيل فلقد كانت مصر على وعى تام بالخطر الذى يتهدد حدودها الجنوبية، لذلك تدخل

---

(١) Edwards , I.E.S., Op. Cit., P. 183 .

« سنوسرت الثالث » بنفسه وقاد ما لا يقل عن أربع حملات ناحية الجنوب للقضاء على أعداء مصر هناك، ومهد لذلك بتأكيد اتصالاته وبتحسين القنوات، فشق لأسطوله طريقا بين الصخور في ناحية الجندل الأول بلغ عرضها ٢٠ ذراعا ، وطولها حوالى ١٥٠ ذراعا ، وعمقها نحو ١٥ ذراعا ، وقد سمى هذا الممر « طريق سنوسرت » .

وفى العام الثامن من حكم « سنوسرت الثالث » اجريت اصلاحات وتوسيعات لهذا الطريق المائى قبل قيامه بحملة أخرى فى النوبة، وتغلب الملك على كوش ، وشيد عددمن الحصون فى « سمنة وقمنة » ، وأعلن رسميا أن تلك الجهات هى حدود مصر الجنوبية وأقام أثرين نقش عليهما :

« هذا هو الحد الجنوبى لحدود بلاده، وممنوع مرور كل زنجى بطريق الماء أو الأرض سواء أكان فى سفينة أم فى قافلة ويستثنى من ذلك الزنجى الذى يخترق الحدود من أجل التجارة .... أو توصيل رسالة فهؤلاء يعاملون بكل اكرام ..» واتبع التعليمات بتشييد الحصون الحربية ومراكز المراقبة وبذلك نجح فى تأمين الحدود والتجارة معا من ناحية الجنوب .

كذلك فى سوريا فلقد غير « سنوسرت الثالث » سياسة أسلافه ، حيث أعاد السلام إلى شبه جزيرة سيناء، وأصبحت حملات التعدين من الآن يجب أن تكون مصحوبة بحماية مسلحة .

وفى بداية حكمه قاد « سنوسرت الثالث» بنفسه حملة إلى فلسطين حيث دارت معركة حربية عند سكيم Sekmem (احتمال أن تكون سشم الحالية)(١)، وغير واضح سبب هذه الحملة، وربما كانت بسبب إغارة بعض القبائل الأسيوية أو بدو الصحراء المتاخمين لفلسطين إغارة مفاجئة فوجه إليهم

---

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 377 - 378 .

هذه الحملة التى كسرت شوكتهم، ويحتمل انه وجه كذلك حملة إلى ليبيا[1] . وبذلك اصبحت حدود مصر آمنه من جميع الجهات .

أما عن سياسته الداخلية فلقد حقق نجاحا كبيرا فى القضاء على نفوذ حكام الأقاليم ، وحرمهم من امتيازاتهم وحقوقهم الوراثية فى تقليد اولادهم نفس مناصبهم ومحاولة التشبه بالملوك، وغير واضح سبب قيامه بهذا الأمر، هل بسبب ثورة كان يعتزم هؤلاء الأمراء القيام بها عند تولية الحكم، او لعدم موافقته بالنسبة للامتيازات التى كانوا يتمتعون بها ودرجة الاستقلالية عن الملوك، ونعرف انه حوالى ١٨٦٠ ق.م. خلال منتصف عهده اختفى نفوذ هؤلاء الحكام ، كما انتهت الألقاب المحلية التى كانت تشير إلى سنوات حكمهم الخاصة لأقاليمهم ، واصبحوا فى عهده مجرد موظفين عاديين، وأصبحت الأقاليم تدار من الإدارة الملكية بواسطة ثلاثة من الاقسام واحدة للدلتا، وأخرى لمصر الوسطى ، وثالثة لمصر العليا، يرأس كل قسم موظف كبير يساعده عدد من المساعدين ، وعدد من الموظفين ، والجميع تحت اشراف الوزير[2] .

وقد شيد هرمه فى دهشور متبعا نمط « سنوسرت الثانى » فى استخدام الطوب اللبن لاقامة البناء العلوى والاستزادة من عدد الحجرات والممرات فى الجزء الأسفل.

وعندما تقدم « سنوسرت الثالث » فى السن أشرك معه ابنه « امنمحات الثالث » لفترة قصيرة توفى بعدها، فاعقبه على العرش « امنمحات الثالث » .

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٤

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 374.

أمنمحات الثالث (١٨٤٢ - ١٧٩٧ ق.م.)

تميز عهده بفترة الحكم الطويلة التى بلغت نحو خمسة وأربعين عاما، تميزت بالمشروعات العظيمة التى قام بها والتى عادت على مصر بالرخاء وضاعفت حاصلات البلاد، كما أهتم بمشروعات الرى، فقد أصدر الأوامر لحامية قلعة سمنة بأن تقيس فى جهتها اقصى أرتفاع لمياه النيل كل سنة فتأسس هناك مقياس للنيل، كانت ترسل من خلاله أرتفاعات الفيضان وبالتالى يمكن تقدير كميات المياه الواردة مع مجئ الفيضان ، وتقدير كميات الحبوب الممكن انتاجها فى خلال السنة، كما نجح فى إقامة خزانات المياه فى الجزء الشمالى الغربى من الفيوم فى المكان المعروف حاليا ببحيرة قارون ذلك المكان الذى كان يتحول مع مجئ الفيضان إلى بحيرة عظيمة، فلما أتى ملوك الأسرة الثانية عشرة فطنوا إلى خزن المياه وتصريفها وقت التحاريق وقد بدأ ملوك الأسرة هذا المشروع *، لكن الفضل الكبير فى انجازه يرجع إلى أمنمحات الثالث الذى أطال السدود فزادت مساحة الأراضى الزراعية بدرجة عظيمة (حوالى ٢٧,٠٠٠ من الأفدنة الزراعية) ، مما عاد على ميزانية مصر بالخير الوفير ومكن « أمنمحات الثالث » من القيام بنهضة عمرانية شاملة فى كل مكان فى مختلف البلاد، وخاصة ذلك القصر العظيم الذى شيده في منطقة الفيوم ، وأطلق عليه « اللابيرنت » تشبيه لقصر وجد فى مدينة كونسوس بجزيرة « كريت » ، وتحدث عنه « هيرودوت » كأنما هو أعجوبة فاقت حتى الاهرام ، كما تحدث عنه « سترابون » بأنه كان يحوى عددا ضخما من الأبهاء والغرف متصلة بعضها ببعض

---

* مشروع سد اللاهون لتوسيع رقعة الزراعة فى إقليم الفيوم والتحكم فى مياه الفيضان المتجهة إلى بحيرة قارون، يبدو أنه بدأ فى عهد سنوسرت الثانى، ثم اتسع مداه فى عهد «أمنمحات الثالث» فنسب إليه ، انظر :

عبد العزيز صالح : نظم الملكية الزراعية والحقوق العينية، الجمعية التاريخية : القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٣٤ .

عن طريق ممرات دوارة لا يستطيع الغريب ان يحدد مساره خلالها [١] ، ومما ذكره « سترابون » :

« ... لدينا هنا أيضا (إلى جوار بحيرة موريس) اللابرنت، وهو عمل يتساوى مع الاهرام، ويلاصقه قصر الملك الذى بنى اللابرنت، فإذا ما تقدمنا بعد المدخل الأول للقناة بنحو ٣٠ أو ٤٠ استادا لوجدنا سهلا مستويا فيه قرية وقصر كبير مكون من عدد من القصور بقدر عدد ما كان فى مصر من الاقاليم سابقا، ويوجد عدد مساو من الأبهاء الكبيرة المحاطة بالأعمدة وهى ملاصقة لبعضها البعض وعلى خط واحد مكونة مبنى واحداً يشبه جدارا طويلا أمامه هذه الأبهاء الكبيرة، ولا يستطيع اى اجنبى ان يجد طريقه إلى هذه الأبهاء الكبيرة أو يخرج منها دون دليل يرشده ... » [٢] .

ويقع هرم أمنمحات الثالث بالقرب من هوارة فى الجانب الشمالى من اللابرنت ، وكان بناؤه العلوى حسب عادة عصره من الطوب اللبن ومكسيا بالحجر الجيرى .

أمنمحات الرابع (١٧٩٨ - ١٧٩٠ ق.م.)

حينما توفى « أمنمحات الثالث » تبعه ابنه « أمنمحات الرابع » وكان شريكا له فى الحكم مدة قصيرة قبل وفاته ، لكن هذا الملك لم يدم طويلا فى الحكم فقد توفى بعد حكم ٩ سنوات، ٣ شهور ، ٢٧ يوم تبعا لبردية تورين، ولم يترك خلال هذه المدة سوى بعض آثار صغيرة تدل على أنه أرسل بعثات إلى المحاجر والمناجم فى وادى الهودى وسيناء وانه شيد بعض العمائر فى الفيوم . كما عثر على اسمه فى بيبلوس (جبيل) ، لكن الصورة كانت تشير إلى

(١) Gardiner, Op. Cit., P. 8.

(٢) Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 138 - 189 .

اضمحلال الدولة والأسرة التى حافظت على هيبتها مدة تزيد عن مائتى سنة تقريبا، ويبدو أنه لم يترك له وريثا لملكه فتبعته الملكة « سبك نفرو » .

سبك نفرو «نفروسوبك » (١٧٨٩ - ١٧٨٦ ق.م.)

جاءت « سبك نفرو » فى ختام الأسرة وهى التى ينسبها « مانيتون » إلى أمنمحات الرابع بوصفها أخته، وتعطى لها بردية تورين ثلاث سنوات وعشرة شهور، علما بأن قائمة ابيبدوس تتجاهلها ، بينما تذكرها قائمة سقارة باسم « سبك كارع » كخليفة لأمنمحات الرابع، وهناك احتمال أن تكون ابنة للملك « أمنمحات الثالث » وأن لم تتولى الحكم بعده حيث سبقها إلى ذلك أمنمحات الرابع الذى يصعب تحديد صلته بها كما أنه ليس هناك من دليل على اشتراكها معه فى الحكم.

انفردت بالحكم بعد وفاة امنمحات الرابع، ومما يدل على تقلدها العرش الألقاب التى حملتها مثل : ملكة مصر العليا والسفلى ، المنتمية للربتين ، سيدة الأرضين ... »

وبوفاة هذه الملكة وعدم وجود وريث للعرش، وربما لحدوث اضطربات داخلية أو منازعات بين افراد العائلة الملكية دخلت مصر فترة مضطربة من تاريخها السياسى .

وأما فن الأسرة الثانية عشرة فإنه من الصعب الإشارة إليه هنا وإنما سنعطى مثال للإرتباط بين الأحداث السياسية والفن وكما عكست النصوص التيارات الفكرية التى حفلت بها تلك الفترة فإن الفن أيضا قد عبر عن تلك المشاعر البشرية التى تمثلت فى ملوك عصر الدولة الوسطى .

فبينما صور فنان الدولة القديمة ملكة كما رآه من الواقع فإن فنان الدولة الوسطى قد صور الواقع أيضا فجاء تمثيله لملوكه كآدميين وليسوا آلهة فيهم

العواطف الإنسانية بكل ما فيها من سرور وحزن شأنهم شأن كل البشر بل أن شكل وجوههم بالصورة التى توضح الملامح الجادة للمولك التي أرهقتها مشاكل الحياة بكل ما فيها من كفاح وجهاد لتأمين الدولة ورخائها (١)

وبمعنى أوضح فإن الدولة الوسطى تتميز بنوع من المشاعر البشرية تختلف اختلافا كبيراً عن تلك التى لمسناها فى الدولة القديمة وملوكها وخاصة ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة، ففى حين أن الدولة القديمة كانت تأخذ بعقيدة الملكية الالهية الأمر الذى دعا الفنانين إلى أبراز ملامح وجوه التماثيل التي وصلت إلينا من هذه الفترة والتى تدل على الوقار المتزمت وعلى العظمة التى تكمن فى شخصيته الملك الاله ، ولم يحاول احد من الفنانين أن يكسب ملامح الملك شيئا من المشاعر البشرية

سواء كانت مشاعر تدل على البهجة والسرور أو على الحزن أو أى نوع من المشاعر الداخلية التى لاتتناسب معه كملك اله ، فى حين أن ملوك الاسرة الثانية عشرة وخاصة فى النصف الثانى منها قد تركوا لنا العديد من التماثيل المختلفة التى تدل على أن الملك كان يسمح للمثال أن يصوره بكل ما يستطيع أن يبرزه سواء فى ملامح الملك بالنسبة إلى موطنه أو فيما يرتسم على بعض أجزاء الوجه من علامات تدل على مشاعر إنسانية يشعر بها الملك.

ولعل من أهم الأمثلة التى يبرزها الدارس فى هذا المجال هو ذلك الرأس الموجود فى متحف «جامعة كمبريدج للملك «سنوسرت الثالث» المصنوعة من حجر الجرانيت الأسود بملامح وجهه (انظر شكل١٧ أ، ب) من أهم القطع الفنية حيث نجد فى ملامح هذا التمثال ما ينم على قوة الإرادة اعتزاز صاحبها بنفسه واعماله كما تدل على بعض مشاعر الأسى والحزن ترتسم على عينى التمثال وخاصة تلك الجيوب الواضحة التى تقع فى أسفل العينين والتى تدل

---

(١) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم، الجزء الرابع ، ص ٢٢٥-٢٢٦.

على أن صاحبها لم يكن يتمتع بحياة الرخاء والهدوء بل كان رجلا شديد البأس قوى الشكيمة لا يترك فرصة دون انتهازها ، كذلك الفم والتصاق الشفة العليا بالشفة السفلى وذلك الخط العميق الذى يرتسم على الذقن فى كل ناحية من نواحى الفم مما يدل على نفس المشاعر والاحاسيس المرتسمة بوضوح على وجه هذا الملك والتى ما كان للفنان ان يجرؤ على تسجيلها الإ إذا كانت العقيدة الخاصة بألوهية الملك قد أخذت فى التداعى وحل محلها عقيدة أخرى تقوم على أن الملك ولو انه كان حسب القابه التقليدية يعتبر نفسه من أسرة الالهة وانه أيضا اله غير أن واقعه يدل على انه كان يمارس حياته اليومية وينفذ مشاريعه ويقود الجيش بنفسه فى حملاته الحربية لتأمين الحدود وتأمين سبل التجارة وتدبير شئون البلاد كرجل دولة ناجح استطاع أن يقضى على نفوذ الأمراء وحكام الأقاليم بما يحقق الخير والأمن للبلاد .

وإذا انتقلنا إلى عهد الملك « امنمحات الثالث » (١٨٤١ – ١٧٩٢ ق.م.) آخر الملوك العظام للدولة الوسطى فنجد أن نفس الطريقة فى تمثيل ملامح الوجه باقية وتتضح الخبرة التى يتمتع بها صاحبها (انظر شكل ١٨)[١].

أيضا فإن من اهم الآثار التى وصلتنا فى عهد ذلك الملك هى مجموعة التماثيل الأربعة التى تمثل الملك على هيئة أسد رابض بوجه انسان غير أن طريقة تمثيل هذا الوجه تعتبر فريدة فى نوعها إذ تتميز بأن الوجه تحيط به « معرفة الأسد » بذلك الشعر الغزير، كما أن أذنى الرأس هى لأسد(انظر شكل١٩ أ، ب) ويتميز الوجه بتلك الملامح الشخصية لملك لم يرغب مطلقا أن يمثل نفسه فى أحسن مظهر من مظاهر البشرية بل حرص على إبراز ملامحه الشخصية أما جسم الأسد فهو يتميز أيضا بقوة التنفيذ وبروعة تمثيل عضلات جسم

---

(١) Hays, W.C., Op. Cit., P. 199 .

الاسد وهو ما أوضحته تلك التماثيل المعروفة باسم « تماثيل تانيس » ومن بين ما قاله « وولف Wolf » أن هذه التماثيل الرائعة هي محاولة بأن تمثل الملك والأسد أي الانسان والحيوان في وحدة لا انفصام فيها على أساس أن الجزء الحيواني في الإنسان قد ذاب في الجزء البشري والعكس صحيح (١) .

وإذا كانت تماثيل أبو الهول في العصور السابقة تجمع بين جسد الأسد ورأس آدمي تمثل صورة الملك الاله حيث كانت الرأس البشرية ترتفع عالية دون ان يعطي الفنان أي من ملامح وصفات الأسد لتلك الرأس ، من أجل ذلك يعتقد أن الفكرة هنا في الدولة الوسطى تتضمن في الواقع نوع من انعكاس قوة الأسد وبطشه في صفات الملك صاحب التمثال ، وليس من شك كما يقول « وولف » بأن هذا أمر ما كان يحدث إلا في عصر وجد الملوك أنفسهم مضطرين أن يقاوموا بعض العناصر في مصر تقف متربصة بالعرش والجالس عليه وأنه لا سبيل مطلقا إلا بالبطش والقوة وهو ما عبر عنه الفنان المصري القديم .

---

(١) Wolf, W., Die Kunst A Egyptens , Stuttgart,1957, PP. 329 - 330.

الفصل السابع
عصر الدولة الحديثة

الفصل السابع
عصر الدولة الحديثة
وحتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة

الفترة الواقعة بين نهاية الأسرة الثانية عشرة حوالى ١٧٨٥ ق.م. وبداية الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٥٧٠ ق.م.، من أشد الفترات فى التاريخ المصرى القديم اضطرابا وغموضا، ففى القسم الأول من هذه الفترة حكمت الأسرة الثالثة عشرة وحدها مصر، وتذكر القوائم الملكية حوالى واحد وخمسين ملكا لهذه الأسرة، ولكنها لا تتفق فيما بينها على ترتيب تعاقبهم على عرش مصر، ويعتقد العلماء أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة ينتمون إلى أصول طيبية، كما يعتقد العلماء أنه فى نهاية الأسرة اصبحت السلطة الفعلية فى ايدى الوزراء وليست بأيدى الملوك، كما يبدو أن العاصمة ظلت فى « ايثت تاوى » كما هو الحال فى الأسرة السابقة، وحسب رواية « مانيتون » فلقد نجح بعض أصحاب النفوذ فى الأقليم السادس من اقاليم الدلتا فى المكان المعروف حاليا باسم « سخا » على مقربة من كفر الشيخ الحالية فى تأسيس الأسرة الرابعة عشرة التى عاصرت الأسرة الثالثة عشرة، وفى نفس التوقيت نجح الهكسوس فى تشكيل أسرتين منهم هما الأسرة الخامسة عشرة ، تلتها الأسرة السادسة عشرة، وجعلا عاصمتهم أواريس فى الشمال الشرقى.

(اواريس « افاريس » اسمها المصرى « حت وعرت » اتجه رأى بعض العلماء إلى موقع تانيس وتعرف حاليا باسم « صان الحجر » شمال شرق الدلتا على مبعدة ٢٠ كم إلى الجنوب من مدينة المنزلة الحالية، ويرى « جاردنر » أن حت وعرت وبررعمسيس وتانيس ثلاث مقاطعات متوازنة لنفس المدينة، وتبعا للحفائر الحديثة يرى كثير من العلماء أن افاريس تقع إلى الشرق من الصالحية بحوالى ٢٥ كم شرقى الختاعنة – قنتير الحالية.

وكما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح الملامح الرئيسية لعهود الأسرات الهكسوسية التى شملت الأسرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجزء من السابعة عشرة، وشغلت مائة عام وثمانية أو ما هو أقل من ذلك بكثير، وجمعوا بين أسمائهم الأجنبية مثل خيان وإيبى وبين أسماء مصرية، وأنهم تشبهوا بالفراعنة المصريين فى ألقابهم وملابسهم وهيئات تماثلهم وادعوا التقرب من الأرباب المصريين، وحاولوا أن يتمصروا.

وكما يرى كثير من الباحثين ومنهم « جون فوركيته وسيد برج » أن بدء تسللهم كان فى منتصف الأسرة الثانية عشرة ثم ازداد عددهم مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ومنتصف الأسرة الثالثة عشرة فى عهود كل من « نفرحوتب الأول » و « ساحتحور » و « سوبك حوتب الرابع »، واستمر ذلك فى فترات حكم الملوك : سوبك حوتب الخامس « ونفرحوتب الثالث » ويع ايب رع - ايبى، وقد جرت هذه الأحداث فى الفترة من ١٧٢٠ ق. م إلى ١٧٠٠ ق.م. استنادا للوح الأثرى المعروف « لوح الـ ٤٠٠ عام » الذى اقيم احتفالا بذكرى تأسيس معبد الإله « ست » فى افاريس الذى رأى فيه الهكسوس أن هذا الإله المحلى هو صورة من الههم الآسيوى المقدس « بعل » أو « ريشوب » والمعروف أن هذا اللوح قد اقيم فى عهد رمسيس الثانى، وإن هذا اللوح نسخة منقولة عن لوح اقدم يعود إلى عهد الفرعون حور محب (الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٣٢٠ ق.م.)، وهذا يعنى أن المعبد الأصلى قد تأسس حوالى ١٧٢٠ ق.م.

استيلاء الهكسوس علي مصر :

جاء استيلاء الهكسوس على الحكم فى شمال البلاد بالتدريج وعلى مراحل، واستغرق هذا الصراع حوالى ست واربعون عاما : ويزيد (كما يرى فوركيته » حتى نجحوا فى توطيد نفوذهم حتى منف .

« ... أخيرا جعلوا واحدا منهم ملك اسمه « ساليتس » قلدوه فى منف أخذ جزية من مصر العليا ومصر السفلى وجعل حاميات فى معظم الاماكن، وأمن (الحدود) الشرقية التى كانت مهددة من الأشوريين اعاد تشييد مدينة قديمة اطلق عليها أواريس (جعل منها العاصمة بعد تحصينها) .... »

وفى الوقت الذى كان فيه ملوك الهكسوس يبذلون غاية جهدهم لفرض سلطانهم على مصر كلها دون جدوى، كان نفوذ أمراء طيبة يمتد ليشمل الأقاليم الثمانية الأولى من مصر العليا والتى تمتد من إليفانتين جنوبا وحتى ابيدوس شمالا، هناك أسرات محلية أخرى تسيطر على بعض اجزاء من اقاليم مصر العليا والسفلى، وأما النوبة فقد كونت دويلة مستقلة عاصمتها « بوهن » بينما سيطر الهكسوس على الدلتا متخذين من « افاريس » عاصمة لهم، وفى الوقت الذى حافظ فيه أمراء طيبة الاوائل على هويتهم ومواردهم الاقتصادية، ويعدون العدة لدحر المعتدى وتخليص أرض الكنانة مما أصابها، وليس مصادفة ان يستعيد الأسلاف الثلاثة « لتاعا الأول » اسماء أقدم أمراء طيبة « انتف » وهم الملوك الثلاثة قبل الملوك المناتحة، وظلت ذكراهم باقية بسبب ما أدوه لمصر، فيشعرون أنهم خلفاء لجيل يستعيد أمجاد اسلافهم فى الدولة الوسطى، والحقيقة انهم نجحوا فى اذكاء الشعور الوطنى فى نفوس أهل طيبة حتى أدى هذا إلي ضرورة قيام حرب التحرير ضد الهكسوس ووضع الأسس التى قام عليها ملكهم على كل مصر، فى مثل هذه الظروف الدقيقة تزوجت « تتى شرى » بزوجها الملك « تاعا الأول » فادت دورها فى حياة زوجها، ولقد أنجبت من « تاعا الأول » ابنها « تاعا الثانى » وابنتها « ايعح حوتب »، ولقد ترملت وهى فى ريعان شبابها غير انها نجحت في تمكين ابنها « تاعا الثانى » من اعتلاء العرش تحت اسم « سقنن رع » والملقب فيما بعد بالشجاع مع أخته « ايعح حوتب » كزوجة وكملكة لتاكيد حقه الشرعى فى ارتقاء العرش ومواصلة الكفاح ضد الهكسوس .

ورغم ان الدور الذى لعبته ليس واضحا على وجه التحديد فإنه لا مجال للشك فى أنه كان لها دور فى النضال المبكر، وانها قدمت فيما بعد لابنها وأحفادها كل خبرتها ونصيحتها وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار مركز المرأة وتاثيرها فى مصر القديمة.

وقد عكست النصوص والآثار مكانتها سواء فى حياتها أو بعد مماتها حيث أعطيت قطعة من الأرض فى شمال الدلتا بعد طرد الهكسوس كمكافأة على النصر، وهناك لوحة من الحجر الجيرى موجودة الآن فى متحف لندن وفيها نرى الملك «أحمس الأول» مرتديا التاج الأبيض فى مواجهة الاله مونتو وهو يشرف على ترميم محراب له وخلفه تقف الأم الملكية «تتى شرى» لتمثل الأسرة فى تلك المناسبة الدينية الهامة.

ونستنتج من ذلك أن الملكة «تتى شرى» كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك «أحمس» واشتركت فى إعادة تجديد معبد الاله «مونتو» فى طيبة.

هذا ولقد نالت «تتى شرى» درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها حيث كان حفيدها «احمس» مجاملا لذكراها، فهناك لوحة تعرف باسم «لوحة ابيدوس»[1]، التى عثر عليها «وليم فلندرزبترى» فى ابيدوس، يوصف فيها أحمس وكانما يجلس إلى زوجته «احمس نفرتارى» يفكران فيما يستطيعان عمله من أجل اسلافهما، فقالت أخته (بمعنى زوجته هنا) «لما تتذكر هذه الأمور ماذا فى قلبك؟ وأجابها الملك نفسه قائلا : لقد تذكرت أم أمى وأم أبى، الزوجة الملكية العظمى، وأم الملك «تتى شرى» المتوفاة، (على الرغم) أن لها غرفة دفن وضريحا فوق أرض مقاطعتى طيبة وابيدوس، ولكن اقول ذلك لأن

---

(١) لوحة ابيدوس : عثر عليها بترى سنة ١٩٠٣ ، وارتفاعها حوالى ٢٢٧,٥ سم . عرضها ٩١,٥ ومحفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .

جلالتي انتوى ان يضع لها هدفا ومحرابا في الارض المقدسة بالقرب من أثر جلالتي كهبة تذكارية من جلالتي.

ويمضي النص في سرد قيام الملك بالفعل ببناء ذلك الهرم والمعبد تحيطه بحيرة وأشجار، وقوائم القرابين ومنحه بالأراضي وامداده بالكهنة لاداء الطقوس الدينية ليؤدوا واجباتهم نحوها، ولقد عثر على معبدها، ولا شك ان هذه اللوحة كانت قد اقيمت فيه.

بالإضافة إلى سلسلة نسب الملكة «تتي شري» جدة أحمس الأول كذلك لا يوجد وقت محدد لمعرفة المدة التي عاشتها جدة الملك «أحمس» وتاريخ وفاتها، ولكن يرجح وفاتها قبل اقامة اللوحة، وانها قد دفنت في طيبة حسب ما هو واضح من النص، عن عمر يبلغ حوالي سبعون عاما خلال العقد الأول من حكم حفيدها الملك «أحمس الأول».

وبالرغم من عدم العثور على قبر «تتي شري» إلا انه قد عثر على بعض محتوياته وضمنها تمثالان، لتشابههما الشديد من حيث الحجم وتمثل الملكة جالسة على العرش ونفس الملابس وطريقة لباس الراس يبدو انهما صمما معا، أحدهما محفوظ بالمتحف البريطاني والاخر في متحف اللوفر[1]، وقد نقش على الجانب الأيسر من التمثال دعاء «إلى الاله» أوزير لطلب القربان، أما على الجانب الأيمن فقد كان عليه دعاء إلى «آمون» لروح الأم الملكية «تتي شري» والتمثال ذو قيمة من الناحية الفنية لما يعكسه من ملامح تدل على شخصيتها المؤثرة ونفوذها الهام اثناء حياتها وكما مثلت بعد وفاتها.[2]

---

(١) التمثال من الحجر الجيري الأبيض وإرتفاع قاعدته حوالي ٣٨ سم، ونقش على الجانب الأيمن من القاعدة اسم «سنسنب» انظر :

Winlock, H.E., , The Tombs of the Kings , P . 247.

(٢) Aldred , C., New Kingdom Art., 1961, PL. 3.

الملكة ايعح حوتب :

هذا ولقد خلفت الملكة « ايعح حوتب » أمها في ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية ان تعلب دوراً سياسياً هاماً، وباعتبارها ابنة « سنخت ان رع » (تاعا الأول) والملكة تتي شرى فإنها حملت لقب : الابنة الملكية العظمى واخت الحاكم وزوجة ملكية عظمى لـ « سقنن رع تاعا الثاني، الذى بدأ حرب التحرير ورفع راية الجهاد ضد المغتصبين الاجانب .

ومما اسفرت عنه تلك الجولة الأولى هي استشهاد « سقنن رع » في ميدان القتال ومضحيا بحياتة فداء لمصر، وتدل مومياؤه علي انه لم يمت ميته طبيعية، ومن آثار مقتله طعنات ثلاث في فكه الأيسر ثم عاجله المعتدى بطعنتين أخريتين اصابت احداهما ما فوق حاجبه الأيسر والأخرى عظام رأسه(١).

«بعد استشهاده جهز للدفن سريعا واودع قبره في جبانة طيبة، اما عن أولاد الملكة « ايعح حوتب » وزوجها سقنن رع، منهم الأمير « أحمس الأكبر » الذى مات صغيرا أثناء حكم ابيه، الأمير « بينبو » ومات أيضا صغيرا في نفس فترة أخيه الأمير « أحمس » ثم أميرة تسمى « أحمس » ثم الملوك : كامس، أحمس والملكة « أحمس نفرتارى » ولقد كان لها دورها السياسى الهام وخاصة في تلك الأوقات العصيبة خلال حرب الهكسوس والتي سقط فيها رجال العائلة الملكية في المعركة، فلقد دفعت بابنها « كامس » إلى ساحة الوغى بعد استشهاد أبيه، وحين ودع هذه الدينا، دفعت بابنها الثانى « أحمس » لينجز المهمة ويؤدى واجبه، ويبدوان الأمور في طيبة قد تعرضت لبعض الاضطرابات الخطيرة بعد وفاة

---

(١) بردية ساليبه التي كتبت على أيام الملك مرينتاح (الأسرة ١٩) والصراع بين طيبة والهكسوس ، انظر :
محمد بيومي مهران : حركات التحرير ، ص ١٧٥ — ١٧٨ .

« كامس » مباشرة وتولى « أحمس » زمام البلاد فاستطاعت بما لها من حكمة أن تلعب دوراً كان له الأثر في استقرار الأمور في طيبة.

وعودة إلى دور « كامس » في تحرير مصر من المحتل الهكسوسي، فبدأ بالقضاء على الموالين للهكسوس من المصريين والنوبيين، وذلك بتدمير مدنهم وسكناتهم في المنطقة ما بين الأشمونين وأطفيح، كما نجح في القضاء على التعاون بين العدو الهكسوسي وملك كوش النوبي بمراقبة الطرق في الواحات لمنع أى اتصال بين الجانبين، كذلك راقب الامدادات التموينية عبر النيل كنوع من الحصار الاقتصادي.

ونص لوحتي « كامس » بالكرنك، ولوح « كارنارفون » (الذى عثر عليه بين وحدات الاحجار كأساس لتمثال رمسيس الثاني بجانب الصرح الثاني بالكرنك)، تشير إلى استمرار المعارك ضد الهكسوس حيث عقد الملك « كامس » لقاء مع كبار مستشاريه قائلا لهم : « كيف امارس سلطتي، وهناك ملك يحكم في آورايس في الشمال، وآخر نوبي في كوش، بينما انا هنا عاجز عن التصرف، إنى لا استطيع بلوغ منف »

وتجاهل « كامس » نصيحة قواده وبعض مستشاريه بعدم اللجوء للحرب مفضلين السلم شأنهم شأن المتخاذلين في كل زمن»، وسوف يواصل « كامس » الجهاد ضد المحتل : « .... انا سوف أدمر العدو وسوف اقطع كل اشجاره واسحق عجلاته، وسوف ادفع نسائه إلى الأسر... »

وزحف « كامس » بقواته حتى استولى على مدينة « نفروسي » (وسط مصر العليا ويعتقد أنها شمال الإشمونين)، كما استولى على بعض المدن الآخرى القريبة من النهر اثناء حملته النيلية في طريقة إلى الشمال نحو «آواريس»، كما نجحت قواته في أسر رسول الملك الهكسوسي إلى حاكم كوش.

« .... أسرت رسول العدو (الملك الهكسوسى) فى جنوب الواحات أثناء صعود حاملها إلى كوش، وفيها يقول « عا اوسر رع – أبيبى » الم ترى ما فعلته مصر معى حيث حاكمها « كامس » هاجمنى فى ممتلكاتى بالرغم أنى لم اناصبه العداء، حيث فعل معى مثل ما فعله معك (ربما إشارة إلى جهود حكام مصر فى الفترات السابقة لتأمين بلاد النوبة) احضر فوراً إلى عاصمتى فى الشمال ولا تخف حيث انه (مشغول) معى (بالاضافة) لعدم وجود أحد يستطيع أن يعارضك هنا فى مصر (بجانب) أنى لن أدعه يرحل قبل وصولك، وسوف نقتسم مصر بيننا ... »

ومن المرجح ان « كامس » أرسل أكثر من حملة لتامين الواحات، وكذلك قطع كل طريق بين حدود مصر الجنوبية والشمال ومنع تبادل أى رسائل بين العدو وايضا منع وصول اى امدادات إلى الهكسوس عن طريق الجنوب وبذلك فشلت محاولة تحريض الجنوب ضد الشمال.

لم يسعف الوقت الملك « كامس » لتحقيق انتصار نهائى على المحتل الهكسوسى ومات فى ظروف غامضة، ولا نعرف كيف مات هذا الملك العظيم، والمدة التى حكم مصر خلالها، مقبرته تعرضت للنهب مثل غيرها من المقابر فى عهد رمسيس التاسع، وفى عام ١٨٥٧ م عثر علي مومياؤه فى حالة سيئة للغاية تحولت إلى تراب قبل فحصها بمعرفة المختصين، ولهذا لم نتمكن من معرفة عمره عند الوفاة، لكن من المؤكد ان مصر كانت تمر وقتها بفترة حرجة لتحرير ترابها الوطنى من المحتل الهكسوسى، وخلفه بعد وفاته اخوه الملك « احمس الأول ».

الملك أحمس الأول : (١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.)

توفى « كامس » بعد حكم قصير، فتولى بعده الملك « أحمس الأول » وهو فى الغالب اخيه، وقد اعتبره المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكان حكمه فى أول الأمر مقصورا علي الوجه القبلى بإقليم طيبة، ويبدو انه مارس نفس السياسة التى سار عليها اجداده من الأسرة السابعة عشرة نحو تحصين طيبة واستمالة الإقاليم القريبة منها، وتأمين الحدود الجنوبية، وأحكام السيطرة على طرق الواحات، ثم بدأ فى استكمال الجهاد لطرد الهكسوس من أرض الكنانة، ثم استكمل مسيرة الجهاد والتحرير بمهاجمة عاصمة الهكسوس «آواريس» فى الشمال الشرقى، وبعد حصار دام حوالى الثلاث سنوات سقطت العاصمة فى ايدى المصريين مما يشير على شدة تحصينها وعزيمة أحمس وجنوده فى تحقيق النصر وطرد الهكسوس من آخر معاقلهم فى مصر.

ثم جاءت الأنباء أنهم ذهبوا إلى حصن لهم فى منطقة « شار وهين» تل فرعة الحالية »، ليستكملوا فيه عدتهم وعتادهم، ومعاودة الهجوم على مصر آملين فى احتلالها من جديد، غير أن « أحمس الأول » فطن إلى ذلك فخرج على رأس جيشه للقضاء على هذا العدو اللعين الذى تحصن فى هذا الموقع، لكن أرادة أحمس وجنوده حققت النصر بعد حصار دام ثلاث سنوات، واستمر فى تشتيتهم داخل سوريا ولم نسمع عنهم مرة أخرى فى التاريخ القديم بعد تلك الضربة القاصمة.

ومن المهم القول أن التاريخ لم يحفظ لنا الكثير من المعلومات عن المراحل التى عاصرت طرد الهكسوس، وكل ما اهتدينا اليه فى هذا الصدد تلك النقوش التى فى صدر قبر ضابط مصرى من جهة الكاب كان تابعا لملوك طيبة واشترك فى مهاجمة الهكسوس واسمه « أحمس بن إبانا »، ونصوص أخرى

لضابط آخر. يدعى « أحمس بن نخبت » تحوى بغض تفاصيل الجهاد ضد الهكسوس، حيث يتحدث القائد الأول « أحمس بن إبانا » بأنه بدأ شبابه جنديا صغيرا ولكنه أظهر كفايته فى المعارك التى خاضها، وظل محافظا على تلك الشجاعة حتى ترقيته إلى رتبة القائد البحرى، وذكر أنه اشترك مع الملك « أحمس » فى محاصرة عاصمة الهكسوس حيث دارت موقعة بحرية بين القوات المصرية وقوات العدو بالقرب من قناة جنوبى العاصمة آواريس تسمى « بزدكر » حيث كان النصر حليفه هو والملك « أحمس » وكوفىء « بن إبانا » بنشان الشجاعة الذهبى، ثم تكرر الهجوم فى نفس المكان للإستيلاء علي العاصمة، التى لم توضح النصوص كيفية الاستيلاء عليها وهل تم أسر حاميتها، أو سمح لهم بالانسحاب منها، وخاصة أن المؤرخ اليهودى « يوسفيوس » قد ذكر أن الملك « أحمس » سمح لهم بالإنسحاب منها بعد التسليم، وأنهم خرجوا منها وكان عددهم ٢٤٠ ألف شخص، وهو عدد فيه مبالغة، لكنه يوضح كبر عددهم فى آواريس المعقل الأخير فى مصر.

ثم يصف « أحمس بن إبانا » حصار « شاروهين » والاستيلاء عليها « (تم حصار شاروهين لمدة ٣ سنوات ثم استولى جلالته عليها . . . ») ولذلك كوفئ بمنحة قطعة من الأرض فى الكاب (بين آسنا وادفو)، وعدد من الأسرى.

كذلك تشير نصوص القائد المصرى « أحمس بن نخبت » إلى مصاحبته للفرعون « أحمس » فى حملته إلى « جاهى » لمتابعة فلول الهكسوس الموجودة هناك، وتأكيد ظهور قوة مصر العسكرية فى تلك الانحاء، بعد ذلك وجه « أحمس الأول » جهوده نحو النوبة لتأكيد سيادة مصر علي الاجزاء الجنوبية من حدودها، لتبدأ البلاد مع عهده عهدا جديدا من التحرر، جعل المؤرخون يبدأون به الأسرة الثامنة عشر أو ما سمى بعصر الامبراطورية أو عصر الدولة الحديثة الذى شمل الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

ولعل من المناسب هنا الحديث عن الدور الهام الذى لعبته السيدات فى تلك الفترة الحرجة لتحرير مصر، بداية من دور الجدة للأسرة « تتى شرى » التى كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك « أحمس الأول »، وكما نالت درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها، هذا ولقد خلفت الملكة « ايعح حوتب ». امها فى ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية أن تلعب دوراً سياسيا هاما، حيث دفعت بابنها « كامس » إلى ساحة الوغى بعد استشهاد ابيه، ثم دفعت بابنها الثانى « أحمس » لينجز المهمة ويؤدى واجبه، وهناك لوحة هامة عثر عليها بالكرنك محفوظة حاليا بالمتحف المصرى تعرف باسم « لوحة الكرنك » وما قامت به والدته الملكة ايعح حوتب من جليل الاعمال.

أما ثالثة السيدات العظيمات فى الأسرة فهى الملكة « أحمس نفرتارى » وقد يعنى الاسم أن الاله القمرى يولد احلى النساء الجميلات، أو تعنى أحلاهم أو حلوتهم[1].

ويتفق الكثير من علماء المصريات على أن الملكة « أحمس نفرتارى » كانت أخت وزوجة الملك « أحمس الأول ١٥٧٠ – ١٥٤٦ ق.م. مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، الذى حرص على الوراثة الشرعية للسلالة الملكية، حيث تزوج منها تأكيدا لحقه فى وراثة العرش خلفا لوالديهما، واستمسك بما استمسكت به الملكيات القديمة المستقرة من مركزية[2]، وادعاء الحق الإلهى، والقول بالوراثة المقدسة، والبنوة للالهة الكبار.

---

(١) عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، القاهرة، ١٩٦١ ، ص ٦٦.

(٢) سيد توفيق ، سيد أحمد الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر منذ اقدم العصور حتى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٨٣. وكذا .

Buttles, J., Op. Cit., P. 10 ff .

وقد عاصرت الملكة «احمس نفرتاري» الكفاح ضد الهكسوس – مثل الملكة ايعح حوتب – وكان لشخصيتها النشطة كرفيق مناسب لزوجها دورهام في عملية اعادة البناء الكبير في تلك الفترة التي اعقبت النصر على الهكسوس، وتدل آثارها التي امكن العثور عليها على ارتباطها وقربها من نظام الحكم، ففي جزيرة «ساى» بالنوبة وجد اسمها واسم زوجها على تمثال صغير ، كذلك في نص المعصرة المؤرخ بالعام الثاني والعشرين من حكم الملك احمس وجدت القابها بجانب القابه بصورة تدل على مكانتها ودورها السياسى ، بالاضافة إلى آثار عدة في عدة اماكن أخرى في مصر وبلاد النوبة[1].

ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ - ١٣٠٤ ق.م.)

١- الملك احمس الأول (نب بحتى رع) ١٥٧٠ – ١٥٤٦ ق.م.
٢- الملك أمنحتب الأول (جسر كارع) ١٥٤٦ – ١٥٢٦ ق.م.
٣- الملك تحوتمس الأول (عاخبر كارع) ١٥٢٦ – ١٥٠٨ ق.م.
٤- الملك تحوتمس الثاني (عاخبر ن رع) ١٥٠٨ – ١٤٩٠ ق.م.
٥- الملك حتشبسوت (ماعت كارع) ١٤٨٩ – ١٤٦٩ ق.م.
٦- الملك تحوتمس الثالث (من خبرو رع) ١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م.
٧- الملك أمنحوتب الثاني (عاخبرو رع) ١٤٣٦ – ١٤١١ ق.م.
٨- الملك تحوتمس الرابع (من خبرو رع) ١٤١١ – ١٣٩٧ ق.م.
٩- الملك أمنحوتب الثالث (نب ماعت رع) ١٣٩٧ – ١٣٦٠ ق.م.
١٠- الملك أمنحوتب الرابع(آخناتون) نفرخبرو رع)١٣٧٠– ١٣٥٣ ق.م.
١١- الملك سمنخ كارع (عنخ خبرو رع) ١٣٥٥ – ١٣٥٢ ق.م.
١٢- الملك توت عنخ آمون (نب خبرو رع) ١٣٥٢ – ١٣٤٣ ق.م.
١٣- الملك آى (خبر خبرو رع) ١٣٤٣ – ١٣٣٩ ق.م.
١٤- الملك حور محب (جسر خبرو رع) ١٣٣٩ – ١٣٠٤ ق.م.

(١) عن القاب الملكات راجع كتابي «الدور السياسي للملكات في مصر القديمة» ، رسالة دكتوراه منشورة ، ١٩٨٨ .

النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة .

الفرعون أحمس الأول :

سبق الحديث عن الدور العظيم الذى لعبه « أحمس الأول » لطرد الهكسوس، ولذلك وضعه المؤرخ المصرى « مانيتون » على رأس أسرة جديدة بعد تحرير البلاد، وكانت مهمة أحمس الأول فى تنظيم الحكومة المصرية وادارة البلاد الداخلية في غاية الأهمية، فكان اختياره لنوع الحكومة المناسبة لعصره نتيجة مباشرة لخبرته السياسية والحربية وظهور تيار فكرى يمجد العسكرية، لذلك أندفع القطر المصرى فى التيار العسكرى، وأصبح سراة القوم الذين عاشوا بعد طرد الهكسوس وأمراء الامبراطورية المصرية يطمعون فى الخدمة العسكرية تحت لواء الملك بغية الحصول على المنح والالقاب التى تشرفهم وتعلى مراكزهم بين قومهم كما أشارت اليه مقابرهم، كذلك بدأت مصر فى الأهتمام بالجيش المصرى الذى أصبح جيشا نظاميا وزاد الأهتمام بفرقة الفرسان وبصناعة العجلات، وصار لفرعون مصر اصطبلات تحوى الالاف من أجود الخيول الأسيوية .

ومن الراجح أن أحمس الأول قد أبقى الموالين له من حكام الأقاليم الذين ساندوه فى حروب التحرير ، بينما نحى الضعاف منهم .

ولا يخفى أن نجاح الأسرة الطيبية فى الاستيلاء على الملك وتحرير مصر، قد رفع كثيرا من منزلة آمون إله طيبة فى البلاد حتى أصبح آمون إله المملكة المصرية الرسمى، وقد كان فى عهد الدولة الوسطى قد شبه بالمعبود الشمسى ولقب آمون رع، أى آمون الشمسى، أما بعد طرد الهكسوس فقد علت منزلته رفعة وسموا بدرجة منقطعة النظير، وزاد الاهتمام بمعابده وعمائره فى كل مكان وبطيبة بصفة خاصة .

ومع ان « احمس الأول » حكم حوالى أربع وعشرين عاما فقد توفى غالبا شابا، وبقيت أمه على قيد الحياة إلى السنة العاشرة من حكم ابنه وولى عهده « أمنحتب الأول »

أمنحتب الأول : (١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م.)

تولى الحكم وعمره حوالى سبع سنوات بعد وفاة والده، لذلك وكما يرى وينلوك Winlock ان الأم الملكة « أحمس نفرتارى » قامت بدور الوصاية على ابنها، لانجاز واجبات الحكم حتى يبلغ أشده، وذلك استنادا لنقش وجد فى المعصرة يصفها بانها « الأم الملكية، حاكم، وابنه لـ « رع » » كما تمتعت الأم « أحمس نفرتارى » مع ابنها الملك « أمنحتب الأول » بتبجيل خاص وعبادة لهم باعتبارهما من الآلهة العظام فى مصر عامة، وبين الطبقات الشعبية فى طيبة على وجه الخصوص، حيث قام « امنحوتب الأول » بتغيير يعد الأول من نوعه حيث فصل المقبرة التى نقرها فى الصخر عن المعبد الجنازى، وأوجد مجموعة خاصة من العمال تخصصت فى نحت القبور وعاشت فى قرية دير المدينة وارتبطت بهذا العمل واطلق عليهم خدم مكان الحقيقة (خدم الجبانة) .

وفى مجال السياسة الخارجية خرج علي رأس قواته إلى آسيا، والبعض يرى أنها نوع من السلام المسلح، كما جاء ذكر دولة « ميتانى » ضمن اعداء مصر فى تلك الفترة، كما سجلت النصوص قيامه بحملة على ليبيا بعد حملته على آسيا .

الملك «تحوتمس الأول» (١٥٢٦ - ١٥٠٨ ق.م.)

بعد وفاة « أمنحوتب الأول » تولى « تحوتمس الأول » الذى لم تتأكد سلسلة نسبة، حيث يرى فيه البعض ان كان اخا غير شقيق لـ « أمنحوتب الأول » والبعض يرى فيه ابن لامنحوتب عن زوجة ثانوية تدعى « سنسنب » جاء ذكرها فى مرسوم تولية العرش الذى عثر عليه فى النوبة، واغفل فيه ذكر اسم ابيه .

وعلى أى حال فليس لدينا أى دليل على أنه ينتمى إلى فرع ملكى وحتى لو كان من أصل ملكى فإنه ينتمى إلى فرع غير شرعى، ولا يمكن بالتالى اختياره كملك إلا إذا تزوج من أميرة تجرى فى عروقها الدماء الملكية للمحافظة على مبادئ توارث العرش، لذلك لجأ إلى الزواج من الأميرة الوريثة - وهى التى ستصبح أم الملكة حتشبسوت - لاضفاء الشرعية علي اعتلائه العرش والملكة «أحمس» رآها البعض ابنة للملك «أمنحوتب الأول»، بينما تشير الألقاب التى حصلت عليها أنها كانت ابنة للملك «أحمس الأول» وبالتالى أخت لأمنحوتب الأول «وهو ما أيده معظم المشتغلين بعلم المصريات، حيث لا توجد أدلة تؤكد أنها كانت ابنة «أمنحتب»، فى الوقت الذى عرفت الملكة «أحمس» زوج -« تحوتمس الأول » بأنها أم الملكة حتشبسوت[1]، ووضعت فى معبد الدير البحرى كأخت ملكية وزوجة ملكة، وأم ملكية، عين «تحوتمس» حاكما على بلاد النوبة حمل لقب «حاكم البلاد الجنوبية وابن الملك على كوش»، مع العلم أنه لم يكن دائما من ابناء الملك، والمعروف أن المنطقة ما بين الجندل الثانى والرابع هى المسماة بكوش، ولكن هذا اللقب يدل على اهتمام فراعنة مصر بالجنوب وضرورة تمصيره وحمايته من غارات البدو للجهات الجبلية المجاورة على مدن وادى النيل، وقد قاد «تحوتمس» حملة علي بلاد النوبة وصل فيها إلى «تومبوس» واقام فيها قلعة ولوحا حجريا ذكر فيه انتصاراته ووصوله إلى تلك الأنحاء.

وبعد انتصاره فى بلاد النوبة، وجه جهوده نحو آسيا لتأكيد النفوذ المصرى على هذه الانحاء وايضا ربما للقضاء علي ثورة نشبت فيها بتحريض من دولة ميتانى، ومن النقوش التى تركها «أحمس بن إبانا» و «أحمس بن نخبت» عرفنا أن تحوتمس الأول «كان قائدا عسكريا فذاً، يجيد التعامل مع قواده

(١) راجع كتابى الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة .

وتشجيعهم،

« ... كنت قائدا لفيلقى وكان جلالته يراقب أعمالى الحربية حينما أسرت عجلة حربية بمن فيها واحضرتها لجلالته فكافانى على ذلك بالذهب . . . »

وبعد هذا النصر شيد « تحوتمس الأول » أثرا حجريا على منحنى الفرات الكبير، ذلك النهر الذى وصفه الجنود المصريون باسم « النهر ذو المياه المعكوسة » لأن المياه تأتى من الشمال وتصب فى الجنوب عكس نهر النيل

الملك «تحوتمس الثانى » (١٥٠٨ - ١٤٩٠ ق.م.)

من ابناء « تحوتمس الأول » من زوجة غير رئيسية تدعى « موت نفرت »، وتبعا لنظام وراثة العرش فى مصر القديمة فإن أيا من أبناء الملكة « اعحمس » كان يمكن أن يخلف أباه على العرش، وتبعا للواقع فلم يبق منهم إلا الأميرة الوريثة « حتشبسوت »، ويبدو أن تحوتمس الأول وخاصة بعد موت أمها الملكة الرئيسية « احمس » قد اضطر – ازاء الرآى الدى يرى أن وراثة العرش تنحصر فى ذرية أحمس » إلى اعلان حتشبسوت الوريثة الوحيدة لملكه وزوجها إلى ابنه تحوتمس الثانى ليدعم بها شرعيته فى اعتلاء عرش البلاد، ليجنب البلاد الاضطرابات والانقسام عندما يحلو العرش بوفاته، وفعلا تم ذلك فى سلام، حسب نص المهندس « انينى » الذى عاصر وفاة تحوتمس الأول واعتلاء تحوتمس الثانى حيث يصف ذلك بقوله :

« .... (ظهر) الصقر الذى فى العش كملك على الوجة القبلى والوجه البحرى، عاخبران رع (تحوتمس الثانى واصبح ملكا على الأرض السوداء وراح يحكم الارض الحمراء فامتلك الارض مظفراً . . . »

وعلى الرغم من احتفاظ « حتشبسوت » بالالقاب التى تشير اليه كزوجة ملكية فإنها نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهد زوجها « تحوتمس الثانى »

وعلى حساب وأن تمهد لخلافتها اياه، وخاصة أنها كانت تقاربه في السن، وربما كان كل منهما في الحادية والعشرين، قوية الشخصية مما مكنها من تحقيق طموحها ساعدنا على ذلك ان تحوتمس الثانى لم ينجب مثل والده - وريث ذكر، ومن المرجح أنه انجب منها ابنة وحيدة تسمى نفرو رع »، (انظر كتابي الجزء الثانى)، في الوقت الذى له ابن هو تحوتمس (تحوتمس الثالث فيما بعد) من زوجة ثانوية حملت لقب الأم الملكية هي « ايزيس »، ويبدو أنه عينه كوريث ليخلفه على عرشه، وهو ما ذكرته قصة سجلها « تحوتمس الثالث » بعد ذلك بمعبد الكرنك مدللا على أن اختياره قد تم بواسطة إله الدولة الإله آمون، الذى يبدو أن اباه قد دبرها مع كهنته، وذكرت أنه حدث خلال عيد ديني كبير في الكرنك أن انتحى « تحوتمس » الصغير جانبا من البهو الشمالي للمعبد ليشهد منه موكب آمون، وكان حين ذاك قد انتظم في التربية الدينية بالمعبد وعندما مر الموكب والفرعون في مقدمته تعمد (تمثال آمون) أن يتجه بموكبه إلى البهو الشمالي ويطوف به وقد تبعه الكهنة ورجال الدولة دون أن يعلموا حقيقة هدفه، حتى بلغ موضع « تحوتمس » الصغير وتوقف عنده، فخر الأمير ساجداً واعتبرها الكهنة حينذاك آية وفسروها برغبة آمون في اختيار الطفل لعرش آبائه وبوحى الإله انهضوا الامير وقدموه في الموضع المخصص للحاكم وبعدها انكشفت له افاق ربه وطار إلى سمائه وتلقى منه القابه.

ويتضح من النص أن اختيار « تحوتمس الثالث » قد تم تبعا لإرادة « آمون » في وجود ابيه « تحوتمس الثانى » الذى لم يذكر اسمه في النص، وهو ما يؤكده نص آخر للملك « تحوتمس الثالث » على الصرح السابع بالكرنك حيث يصرح الملك :

« ... بأن (والدى) آمون رع حرختى (قد منحنى) أن أكون (خلال عرش حور وعيننى) أمامه في المعبد حكم الأرضين وعرش جب ومكانة (خبرى) إلى

جانب، بجوار والدى الآله الطيب ملك الوجهين، عاخبران رع « تحوتمس الثانى » له الحياة إلى الابد . . . »

ويبدو من النص أن « تحوتمس الثانى ربما لتجنيب طموح زوجته حتشبسوت ولكى يامن بقاء الأسرة فإنه لجأ إلى ذلك الاختيار الالهى لابنه لكى يمهد له الطريق إلى العرش، وهو حدث عند وفاته واعتلاء ابنه « تحوتمس الثالث » العرش، بينما مقاليد الأمور في ايدى الملكة « حتشبسوت » . وهو ما يؤكده نص « انيننى » مغ تصوير واقعى للحالة السياسية بعد اعتلاء تحوتمس الثالث مباشرة للعرش حيث يصف ذلك :

« . . . حينما صعد (تحوتمس الثانى) إلى السماء واتحد مع الالهة حل محله ابنه (تحوتمس الثالث) كملك للأرض وحاكما على عرش من انجبه (بينما كانت) أخته (أخت تحوتمس الثانى) الزوجة الالهية حتشبسوت تتولى (امور) الأرض طبقا لإرادتها. . . . »

ويبدو انه لكى يتدعم حق « تحوتمس الثالث » فى العرش فقد تزوج من ابنة حتشبسوت الأميرة « نفرو رع »، وعند وفاتها تزوج من « مريت رع حتشبسوت » الثانية ، وذلك – كما يرى تاتر وهيز– ليدعم شرعيته فى إعتلاء عرش مصر.

حتشبسوت (١٤٨٩ - ١٤٦٩ ق.م.)

قامت « حتشبسوت » بإدارة شؤون مصر بعد وفاة « تحوتمس الثانى »، ومن الناحية الرسمية لم تكن أكثر من أرملة ملكية تحمل الألقاب المعتادة التى سبق أن حملتها والتى تشير إليها باعتبارها أميرة ملكية، وزوجة ملكية عظمى، وزوجة إلهية، ثم سرعان ما أظهرت « حتشبسوت » نواياها الحقيقية يعاونها مجموعة من الموظفين المخلصين قلدتهم أعلى مناصب الدولة، واعلنت نفسها ملكا على مصر، وقد اختلفت آراء العلماء بشأن السنة التى تولت فيها حتشبسوت الحكم كملك علي مصر (انظر كتابنا الجزء الثانى)، وخلعت على نفسها الألقاب الخمسة كاملة مثل أى ملك.[١]

اللقب الحورى

اللقب النبتى

اللقب النسوبيتى

لقب حور نب (حور الذهبى)

لقب سارع

وهذه الألقاب لم تحصل عليها سيدة من قبلها، بالاضافة إلى النعوت الأخرى المعتادة مثل : هازمة كل البلاد، غنيمة آمون (صنيعة آمون)، نعت واحد احجمت « حتشبسوت » من وصف نفسها به وهو « الثور القوى » باعتبارها امرأة حتى لو كانت ملكا، على الرغم انها منذ ذلك الحين ظهرت وهى ترتدى ملابس الرجال واللحية المستعارة لتساير التقاليد التى كانت تابى ان تجد على العرش حاكما فى زى النساء.[٢]

---

(١) Urk IV, 261 - 398 .

(٢) احمد بدوى : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

Casson, L., Op. Cit., P. 24.

وهناك ما يشير إلى انه رغم اعلان « حتشبسوت » ملكا، فإن تحوتمس الثالث ظل له الحكم الاسمى ولم تقم « حتشبسوت » بإقصائه عن العرش، وهناك ما يشير إلى انها كانت تضع ألقاب واسماء « تحوتمس الثالث » إلى جانب القابها واسمائها، كما في الدير البحرى وبنى حسن وجبل السلسلة وفي قطعة وجدت على الهرم المنحنى تؤرخ بالعام العشرين، ولعلها بذلك ارادت ان تنال رضا كهان « آمون » الذين كانوا فيما يبدو إلى جانب « تحوتمس الثالث » . (١)

ويمكن القول أن قرار « حتشبسوت » في امتلاكها مقاليد الأمور والامساك بزمامها قد آثار العديد من الآراء، فالبعض يرى انها خالفت التقاليد التي تجعل اختيار الفرعون من بين الرجال، وانها اغتصبت السلطة وعطلت كثيرا حكم « تحوتمس الثالث » وبالتالي إنجازاته. (٢)

والبعض يرى أن « حتشبسوت » كان لديها من المبررات القوية ما يؤيد سلوكها هذا الاتجاه، فهي صاحبة الحق في الوراثة الملكية بالإضافة إلى ان « تحوتمس الثالث » الذى كان لا يزال طفلا عند وفاة والده لم يكن من دم ملكي خالص، لذا حاولت أن تقلل من التتابع غير الشرعي والذى تمثل في تعاقب الملوك التحامسة الثلاثة، وأن تحل محله على أساس ديني، مستغلة من نظرية الوارثة القديمة من الشمس لتوضيح انه في غياب الوريث الرجل تصبح البنت الوريثة هي التي يجب أن تتولى الحكم، فزعمت لنفسها مولداً إليها من الإله « آمون » نفسه وسجلته على معبد الدير البحرى، حيث صور فنانوها مجلسا ينعقد من ارباب الوادى برياسة « آمون » للتشاور فيمن يخلفوه ليجلس علي

---

(١) محمد بيومي مهران : نفس المرجع ، ص ١٥ – ١٦ .
وكذا :

Ratie , S., Op. Cit., P. 69 .

(٢) Steindorff, G., and Seele, K., Op. Cit., P. 40.

عرش الكنانه، وإذا برب الحكمة « تحوت » يتقدم إلى آمون ليذكره « باحمس » الجميلة روج « تحوتمس الأول » يعتلي العرش، وانه قضى أن يكون المولود انثى، وتحققت المعجزة بأن مضى آمون إلى قصر الملكة فى غيبة روجها، بعد ان تقمص صورته وتزيابزيه، ثم دلف إلى مخدع الملكة ، ولم تكد ترنو اليه بناظريها حتى رأت فيه روجها، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة، ولما قضى منها وطره، اخبرها عما يكون، ففرحت بذلك واستبشرت بما أودع فى رحمها، وقبل أن يهم آمون بمغادرة مخدعها أنبأها بانها ستضع أنثى وسوف يكون اسمها « حتشبسوت خنمت آمون » بمعنى « رروة النبيلات صفية آمون ».

وإذا ما حاول القارئ أن يعقد مقارنة بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث، فإن « حتشبسوت » يمكن ان نقول عنها أنها أنثى ناضجة يعاونها مجموعة من كبار الموظفين، كما انها الوريثة الشرعية للعرش ذات الدماء الملكية، بالاضافة إلى انها نسجت قصة الولادة الإلهية. بيما تحوتمس الثالث وتبعا للعادة ، فإن الرجل عادة ما يتولى الحكم إلا أنه كان لا يزال طفل صغير، دماء نصف ملكية من جهة ابيه، نجح فى تدعيم مركزه بواسطة كهنة آمون، قيامه ايضا بعمل قصة اختياره بواسطة وحي الآله آمون، ويمكن القول ان الكفتان راحجتان، وفى البداية كان هناك اسم الملك، ثم اسم الملك واسمها، ثم انفرادها بالسلطة، وايضا انفراده بالعرش بعدها.

استطاعت « حتشبسوت » بمالها من شخصية قوية، أن تستمر كحاكمة وملك طيلة عشرون عاما وتسعة شهور، حيث تميز نشاطها الداخلى بالانشاءات الهامة والتى كان اعظمها معبدها الجنازى الذى اشتهر بأسم معبد الدير البحرى والدى كرس لآمون وكذا حتحور وانوبيس، فضلا عن الطقوس الجنزية للملكة « حتشبسوت » وابيها تحوتمس الأول.

وقد بدأت بناؤه فى العام التاسع من الحكم شمال معبد « منتوحوتب

الأول » وهو من أجمل المعابد فضلا عن قيمته الفنية والتاريخية، وقد شيد على ثلاث مسطحات كبيرة يعلو أحدها الآخر ويليه، واستبعد منه الهرم فجاء أمثل طراز، على هيئة شرفات من الحجر الجيرى الأبيض الناصع فى وسطها طريق صاعد يؤدى إلى قدس الأقداس، وأمام شرفتين منها بهو أعمدة مغطاة، وكان يحيط بالشرفات نفسها أفنية محاطة بالأعمدة، ويمثل الجبل خلف المعبد حاجزا طبيعيا ضخما، وإلى الشمال من الفناء الاوسط ترى بهو اعمدة شيد كذلك من الحجر الجيرى، والنقوش المنحوته خلف الأعمدة المستديرة أو المربعة ذات أهمية فريدة، ففي الرواق السفلى منظر رائع للسفن التى تحمل مسلتين كبيرتين من الجرانيت الاحمر من أسوان إلي الكرنك، ويظن أنهما المسلتان اللتان كلفت الملكة المهندس « سننموت » ان يقيمها خارج الجدار الشرقى واللتان لم تبق منهما إلا اجزاء، وليس لنا أن نخلط بينهما وبين المسلتين اللتين وضعتهما بين الصرحين الرابع والخامس بمعبد الكرنك فى السنة السادسة عشرة من حكمها.[1]

أما الرواق التالى إلى أعلى ففيه منظر بعثتها الشهيرة إلى بلاد « بونت » فى السنة التاسعة، تلك الرحلة التى نفذتها « حتشبسوت » طبقا لوحى آلهى، وتمت فى خمس سفن كبيرة بقيادة أحد موظفيها المدعو « نحسى » والتى تعطى نتائجها دلالة هامة من الناحية الاقتصادية والثقافية والسياسية.

أما عن المسلتين العظيمتين التى اقامتها فى الكرنك فلقد حوى حديثها على هذين المسلتين حقائق هامة منها أنها اصبحت صاحبة الأمر والنهى فى

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٥٨.
وكذا :

Murray, M., Op. Cit., PP. 57 - 58.
Naville, E., Deir El Bahari, III, P. 69 ff.

البلاد، ويبدو أن النقوش الموجودة عليهما قد تمت بعد أن اعلنت نفسها فرعون، واوضحت فى نقوشها أنها قد اقامتها من اجل ابيها آمون، وابيها «تحوتمس الأول».

«.... الحورس وسرت كاو، محبوبة الأرضين، حورس الذهبى، المقدس [–]، ملك مصر العليا والسفلى، التى عملت (المسلتين) مثل آثارها لأجل ابيها آمون سيد طيبة، انشأت من أجله مسلتين عظيمتن (بالصرح الخامس بالكرنك)....»

كذلك يذكر لحتشبسوت ميلها إلى اتباع سياسة سلمية ترمى إلى التوغل التجارى والثقافى لمنفعة مصر وجيرانها.

وكذا بتحقيق اصلاحات داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وذلك عكس سياسة «تحوتمس الثالث» الذى كان يرى اتباع سياسة حربية خارجية من أجل انشاء امبراطورية مصرية عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية، وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والاسطول المصرى وبذلك يظل لمصر نفوذها الدائم.

وقد خلفت «حتشبسوت» الكثير من الآثار، فلقد اقامت معبدا فى الصخر فى بنى حسن للالهة «باخت» التى تمثل احد مظاهر الالهة باست وكانت تمثل برأس القطة، وقد شبهها اليونان بسبب غير معروف – بالهتهم «ارتميدس» ومن ثم فقد سمى المعبد بكهف «ارتميدس» والمعروف الآن بأسطبل عنتر، هذا فضلا عن قيامها ببناء معابد لها فى التوبة فى فارس، وفى قصر ابريم، بينما ينتمى المعبد الجنوبى فى بوهن فى شكله الاساسى إلى حتشبسوت وزوجها «تحوتمس الثانى»، كما ان لها عدة آثار فى كوم أمبو، ووادى مغارة بسيناء[1]،

(١) Gardiner, A., Peet, E., and Cerny, J., Op. Cit., PP. 177- 182 ff.

والقوصية ومدينة هابو، وابيدوس والكاب، وغيرها.[1]

وقد حفرت «حتشبسوت» لنفسها مقبرة فى وادى الملوك على اعتبار أنها ملك، وقد كشف عنها «هو ارد كارتر» عام ١٩٠٣، وكان للملكة مقبرة أخرى فى اقصى الغرب فى واد بعيد منعزل وضع فيها تابوت، غير أن المقبرة لم تستخدم أبدا، حيث دفنت فى المقبرة الأولى، ولسنا ندرى على وجه اليقين كيفية موتها، وإن كان البعض يرى أنها كانت وفاة طبيعية، ويرى كثير من العلماء أن التشويه والمحو الذى اصاب اثارها. كان بسبب تجاهلها لفترة حكم تحوتمس الثانى، وتحوتمس الثالث، وربما كان هذا السبب الذى اضطرت القوائم الملكية إلى تجاهلها.[2]

تحوتمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.

تجاهل فترة حكم حتشبسوت، وعكس كل التوقعات اثبت «تحوتمس الثالث» على أثر وفاة «حتشبسوت» وانفراده بالعرش المصرى، أنه رجل دولة من الطراز الأول، سواء من الناحية الأدارية وتسيير أمور الدولة الداخلية، أو من الناحية الخارجية والقدرة العسكرية.

حيث واجه فى بداية عهده تحدى خطير استهدف تقويض النفوذ المصرى، حيث ثارت الدويلات الآسيوية، بتحريض من دولة ميتانى، التى ذكرتها النصوص بلادهم باسم «تاومتن»، واسم «خاسوت متن» وهم ينحدرون

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) Redford, DB., Op. Cit., P. 87 .

وكذا :

Hayes, W.C., Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty , New York, 1935, P. 11.

Gauthier, H., L.R., II, P. 236.

ذكرتها النصوص بلادهم باسم « تاومتن»، واسم « خاسوت متن» وهم ينحدرون من عنصر هندو أوربى اشتهروا باسم « الميتانيين» ويكونون طبقة من النبلاء المحاربين، واتحدوا مع الحوريين من بنى عمومتهم والذين وفدوا على المنطقة قبلهم واتسعت دولتهم فيما جاورها من أرض العراق والشام، وضغطت ميتانى لفترة ما على نشاط جيرانها الاشوريين والخاتيين، وحاولت ان يكون لها ضلع فى زعامة عصر الدولة الحديثة، حين امتد نفوذها فيما وبين الشلال الرابع جنوبا وبين ضفاف نهر الفرات شمالا، حيث بدأ الميتانيين تنفيذ اطماعهم بطريق غير مباشر فالبوا بعض امراء سوريا وفلسطين على مصر منذ أواخر عهد الملكة « حتشبسوت» وخلال بداية حكم « تحوتمس الثالث»، وبلغ عدد الأمراء الثائرين على النفوذ المصرى حوالى ٣٣٠ أمير بزعامة أمير قادش المتحالف مع ميتانى، وهناك من العلماء من يرى أنه كان من أصل ميتانى، وتحصن الأمراء الثائرين فى حصن مجدو (تل المتسلم الحالية)، ولما وصلت هذه الأنباء إلى تحوتمس جمع جيشه وسار على رأسه، متجها نحو بلاد الشام مبتدئا من مدينة « ثارو» قرب مدينة القنطرة، ومنها إلى مدينة غزة فى فلسطين وهى على بعد مائة وستين ميلا من ثارو، اى بعد مسيرة تسعة أيام، وهو زمن قياسى فى تلك الفترة، وبعد احتفال قصير بعيد تتويجه، عول على الزحف شمالا فى صباح اليوم التالى للاحتفال، متوغلا داخل فلسطين متجها إلى « يحم»، وتبعد هذه المدينة عن غزة بنحو ثمانين ميلا أو تسعين، وهى على المتحدرات الجنوبية لسلسلة جبال الكرمل، والمعروف ان جبل الكرمل أول حاجز منيع ضد القوات المصرية الزاحفة على آسيا، أيضا فإن تمركز القوات الثائرة فى حصن مدينة مجدو يزيد الأمر صعوبة على القوات المصرية، وهناك فى مدينة « يحم» عقد تحوتمس الثالث مجلسا عسكريا من كبار ضباطه وتداولوا فى الأمر، فى أحسن الطرق الممكن اتباعها لعبور جبال الكرمل والوصول إلى « مجدو»، وكان أمامهم ثلاثة طرق، أولها يبتدئ من يحم ويتجه إلى مدينة عارونا (ممر عارونا) مخترقا

الجنوب الشرقى لمجدو، والثالث ينتهى من الشمال الغربى لمجدو، فاختار تحوتمس الطريق الأول لقصره بالرغم من صعوبته، وتعهد تحوتمس أن يكون فى مقدمة جنوده، ولكنه نزل علي نصيحة قواده بانتظار مؤخرة الجيش حتى تلتحم مع المقدمة، وفى فجر ١٥ مايو أمر تحوتمس الثالث جيشه بالزحف والهجوم على العدو – وهناك تضارب بين العلماء فى ميعاد الهجوم وتوقيته – وتشير النقوش على جدران «صالة الحوليات» فى معبد الكرنك انه قد بدأ هجومه على الجيش الآسيوى فى اليوم الحادى والعشرين من شمو الموافق عيد القمر فى العام ٢٣ من حكم تحوتمس الثالث الذى قام بهجوم خاطف على العدو محققا المفاجأة المطلوبة، مقسما جيشه إلى قلب وميمنه وميسرة، ونجحت تلك الخطة واضطرت العدو إلى الفرار والعودة إلى أسوار المدينة المغلقة، ولولا انشغال الجيش المصرى بجمع الغنائم التى تركها الامراء والعدو فى ميدان المعركة لكانت النهاية مؤكدة، لكن هذا التباطأ قد ساهم فى هروب هؤلاء الامراء وتحصنهم داخل أسوار المدينة التى قام تحوتمس الثالث بحصارها لمدة سبع شهور، وفى النهاية طلبوا من تحوتمس الثالث العفو والصلح، فوافق بعد أن قدموا له الهدايا والخيول، والموافقة أن يرسلوا ابناءهم ليتعلموا فى مصر ويشبوا على حب الحضارة والتقاليد المصرية ويدعم النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء.

ومع أن الغنائم التى استولى عليها المصريون فى حومة الوغى كثيرة فقد كانت صغيرة جداً بالنسبة لما وقع فى يد فرعون اثر سقوط مجدو وتسليمها لجيشه، حيث استولوا على عدد كبير من العجلات الحربية والخيول والأغنام، وكميات كبيرة من الذهب والفضة لا يمكن تقديرها بالضبط لأن الكاتب المصرى أضافها إلى كميات الذهب والفضة التى استولى عليها المصريون فى المدن الأخرى الأسيوية.

ثم زحف تحوتمس الثالث إلى لبنان واستولى على ثلاث مدن فيها وشيد قلعة عظيمة ووطد النظام الادارى فى شمال فلسطين بتعيين الموالين للنفوذ المصرى فيها، ثم عاد سالما ظافرا إلى طيبة مهديا إلى آمون هذا الانتصار العظيم.

تتابعت حملات الفرعون المحارب العظيم «تحوتمس الثالث» إلى بلاد رتنو لتأكيد النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء واستعراض القوة العسكرية المصرية، والقضاء على كل من تسول له نفسه الخروج على الطاعة، وكمثال الحملة السابعة فى العام الحادى والثلاثين من حكمه حينما قضى على ثورة ملك «تونب»، وفى الحملة الثامنة التى توافق العام الثالث والثلاثين من حكمه استولى على مدينة «قرقميش» وهزم الملك الميتانى، الذى فر من ميدان المعركة ناجيا بنفسه، وسجل «تحوتمس» انتصاره فى هذه الحملة على نصب تذكارى اقامه على شاطئ الفرات.

واستمرت حملاته حتى بلغت ست عشرة حملة حتى العام الثانى والاربعين من حكمه.

ووصلت أخبار حملاته كل مكان، فدان له الأمراء والحكام فى كل مكان، وتسجل النصوص قيام آشور بأرسال الهدايا الجزيلة من الأحجار الكريمة والخيل فاعتبرها المصريون وقتئذ جزية اشارة إلى ولاء آشور لمصر.

وقبل أن يتم تحوتمس الثالث السنة الرابعة والخمسين جالسا على عرش مصر توفى فاسدل الستار أمامه على هذه الدنيا التى قام فيها بأعمال باهرة، وتولى بعده ابنه «امنحوتب الثانى» ١٤٣٦ - ١٤١١ ق.م.، وشهد بداية تولية الحكم ثورة شاملة لبلاد النهرين ومتيانى وفينيقية، لكن امنحوتب الثانى واجه ذلك الخطر ببسالة ونخوة ورثهما عن والده، فقاد جيوشه بنفسه، وانتهت

المعركة بهزيمة أعدائه هزيمة تامة، ويقال أن نشاط هذا الفرعون ويقظته أثرا كبيرا في أعدائه فقد جاء في الآثار أن جلالته لما أسرع إلى أخضاع أعدائه الثائرين هابه سكان المناطق الأخرى فلم يتجاسر أحدهم على شق عصا الطاعة عليه.

.وعلى عكس توازن نصوص ابيه وتواضعه مع أعدائه مالت النصوص إلى المبالغة ومن ذلك توجيه همته إلى اظهار حدود مملكته وتوسيعها جنوبا ولذلك لما وصل إلى طيبة أرسل إلى النوبة بعثة عسكرية معها احد الأمراء السوريين كان قد أسره فصلب على نبته (نباتا) عظة لمن يتجاسر من النوبيين على معارضة مصر.

ولما توفى « امنحوتب الثاني » » ولى بعده « تحوتمس الرابع » عرش مصر.

تحوتمس الرابع ١٤١١ ق.م. - ١٣٩٧ ق.م.

وردت بخصوص هذا الملك قصة تداولتها الألسن بعد وفاته بعدة قرون تتلخص في أنه لم يكن منتظرا أنه يرث الملك عن والده فخرج يوما ما قبل وفاة والده بمدة للصيد بجوار اهرام الجيزة واستراح في ظل أبي الهول، فرأى هذا المعبود في المنام طالبا منه نقل الرمال المحيطة به من قديم الزمان ووعده إن فعل ذلك أن يساعده على ولاية الملك، فلما انتبه تحوتس الرابع من نومه اقسم أنه سيفعل ما طلبه المعبود وقد نفذه فعلا بعد توليه، وذكر هذه القصة علي حجر جرانيتي مقام أمام تمثال « أبو الهول » في لوح يسمى لوحة الحلم . . .

وقد تشير هذه القصة إلى شكوك في وراثة العرش بالنسبة لهذا الفرعون، الذى لجأ في سياسته الخارجية كما يرى أستاذى الدكتور عبد العزيز صالح إلى وسيلتين، فاتبع سياسة القوة في بداية عهده، حيث وجد نص من عهده يصفه بأنه قاد جنوده وحقق انتصار كبير على نهارينا التعسة.

وبعد أن ثبت أركان حكمه واستقر السلام فى دولته، اتجه إلى تحقيق الشق الثانى من سياسته الخارجية وذلك لضمان السلم فى الشرق القريب بسبب ادراك كل من مصر وميتانى باهمية استقرار الاحوال السياسية بينهما واثره على تجارتهما البرية فى أسواق الشرق الادنى، علاوة على شعور كل من الدولتين وخاصة ميتانى ببوادر الخطر من أطماع دولة خاتى (دولة الحيثيين) فى آسيا الصغرى التى امتدت أطماعها إلى الفرات الاعلى وإلى شمال سوريا، ورأت كل من مصر وميتانى أن توثيق روابط الصداقة والتقارب بينهما يمكن أن يحد من إطماع تلك الثالثة، وأن أفضل تدعيم لتلك الصداقة هو رباط المصاهرة.[١]

كذلك استجابت مصر لمساعى الأسرة الكاسية التى كانت تحكم بابل من حوالى عام ١٥٩٥ ق.م. والتى أرسل ملكها « كاريندداش» لاقامة علاقات دبلوماسية مباشرة مع مصر وليدعم تلك العلاقة فإنه أرسل ابنته لتتزوج من الفرعون المصرى، الذى يظن أنه ربما كان « تحوتمس الرابع» .[٢]

كذلك يعتقد أن عهد « تحوتمس الرابع» قد شهد زواجه من الأميرة الميتانية ابنة « ارتاتاما» ، كما يلاحظ انتهاء الحملات العسكرية لتحوتمس الرابع ضد ميتانى فى آسيا نتيجة مباشرة لهذا النوع من الزواج السياسى.

ويرى كثير من علماء المصريات أن الاميرة الميتانية ابنة « ارتاتاما» التى جاءت إلى مصر فى حاشية من النساء الميتانيات قد اطلق عليها الاسم المصرى « موت أم ويا» واصبحت احدى الزوجات الرئيسيات لـ« تحوتمس الرابع» وأم خليفته الملك « أمنحوتب الثالث»،

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٤٨٩ .

(٢) Drower, S.M., Op. Cit., P. 465 .

وفى ضوء الآثار والوثائق المتاحة لدينا حتى الآن لا يمكن التأكد من أصل الملكة « موت أم ويا »، وافتراض كونها من أصل آسيوى وأنها اعتمادا على أن تقاطيع وجه ابنها اثيوبية، أو حتى كونها مصرية باعتبارها ابنة لأمنحوتب الثانى أو احدى أخواته، وفى هذه الحالة ستكون أخت شقيقة أو غير شقيقة لزوجها « تحوتمس الرابع » ولكن يقف عقبة أمام هذه الافتراضات كلها عدم وجود أدلة تدعمها، كما يقف عقبة أمام كونها مصرية عدم حملها للقب « ابنة ملكية » أو « اخت ملكية » ضمن القابها، وفى نفس الوقت فإننا لا نعرف اسم الاميرة الميتانية ابنة « ارتاتاما » وهل هى نفسها الملكة « موت أم ويا » احدى زوجات تحوتمس الرابع، وأم خليفته على العرش الملك « أمنحوتب الثالث »، كما أن النقش الموجود بقاعة الولادة بمعبد الأقصر حيث الملكة « موت أم ويا » مع «آمون » لانجاب « امنحوتب الثالث »، تلك القصة للولادة الالهية، والتى قد تعنى ان ام « امنحوتب الثالث » لم تكن من دم ملكى خالص، الأمر الذى جعله يلجأ لتلك القصة ليدعم حقه فى الجلوس على العرش، ويبتعد عن التقاليد التى تجعل وراثة العرش مقصورة على من تكون امه وأبيه من نسل ملكى، وفي انتظار مزيد من الأدلة حتى نتمكن من تكوين رأى علمى فى هذه المسألة.

النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة :

أمنحوتب الثالث ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م.

بفضل جهود اسلافه من الملوك المحاربين وآخرهم الفرعون « تحوتمس الرابع » الذين نجحوا في بناء وتدعيم الامبراطورية المصرية سواء حربا أم سلما حتى غدت مصر في عهده « مركز العالم المعروف » ولقد بدأ « أمنحوتب الثالث » عهده وخلال العشرة أعوام الأولى من الحكم باظهار قوته الرياضية في العديد من العاب الصيد ولم تكن هناك حاجة إلى الاسهام بقيادة حملات عسكرية سوى قيامه بحملة إلى النوبة في العام الخامس من حكمه لاخماد ثورة قامت في بعض اقاليم النوبة خلف الشلال الثاني، وهناك من العلماء من يعتقد ان « أمنحوتب الثالث » لم يخرج ابدا علي رأس أي حملة من حملات الحرب، يدعم هذا لوحة موجودة الآن في المتحف البريطاني للقائد « مرموسى » (نائب الملك في النوبة) وبداية اللوحة مهشم ولكنها تشير إلى حملة قام بها هذا القائد بتكليف من الفرعون للقضاء على ثورة ربما تكون هي نفس حملة السنة الخامسة، وان عدد الأسرى بلغ ١٠٥٢ أسير، أما ذكره عن ظفره ببعض البلاد الاسيوية فلا يعدو ان يكون تصوير لخضوعها له، واظهار لسلطانه عليها، فالمعروف ان قدمه لم تطأ أرض آسيا طوال حياته، حيث ساد السلام عصره، وتسابق الجميع لخطب وده وانهالت الجزية من كل مكان، ولم يكن في حاجة إلى الجهود الحربية، واستخدمت مصر بدلا منها ما يمكن ان نطلق عليه بالدبلوماسية الدولية التي جاءت من مركز القوة مستخدمة في ذلك وسائل منها: الزواج السياسي ، والهدايا الدبلوماسية، وأحيانا الاثنين معا.

وفي العالم القديم كان الحكام الذين تمتعت بلادهم بالحرية والاستقلال والثروة يطلق على ملوكهم ملوك عظماء، ويليهم الملوك الأقل، وفي حالة ان يكون الملوك بدرجة اقل، فإنهم ملزمين بأن يؤدوا (الجزية) ويقدموا مؤنة،

وحقوق تجارية لقوات الملك الأعلى التابعين له، وكان عدد الملوك العظماء قليل جدا، وفى مقدمة هؤلاء الملوك العظماء يجئ « أمنحوتب الثالث » ثم ملك ميتانى ثم ملك بابل، ثم بدرجة أقل كل من خيتا وآشور، ثم ملوك قبرص وكريت الذين لم يكن لهم تأثير فى عالم السياسة.

وبالنسبة لدولة ميتانى (انظر حديثنا عنها خلال فترة حكم تحوتمس الثالث)، وعندما تولى « امنحوتب الثالث » العرش كانت الامور فى غرب آسيا قد استتبت ولم يعد هناك من تحدثه نفسه الخروج على الحكم المصرى أو القيام بتلك الثورات التقليدية عند مجئ ملك جديد فى مصر، وكان الملك الميتانى « شوترانا الثانى » قد جاء إلى عرش الميتان بعد تولى « امنحوتب الثالث » بعام تقريبا وربما قبل ذلك بقليل، وفى تلك الفترة كان النفوذ المصرى فى سورية يبلغ قمته، ففى جعران زواج الفرعون من الملكة « تى » فى بداية حكمه أعلن الفرعون أن حدوده تصل حتى نهرينا (قد يعنى الاسم ما يمتد بين نهر الفرات وبين فرعه نهر الخابور)، كما أن رسائل العمارنة تعطى الدليل على النفوذ المصرى حيث البلاد الواقعة على الساحل السورى حتى أوجاريت فى الشمال (ميناء رأس الشمرا) تحت السيطرة المصرية، كذلك منطقة دمشق وعمقا، وقادش، وتونيب كلها تابعة لمصر، والعلاقات بين مصر وميتانى علاقة صداقة مدعمة بالزواج السياسى.

القوة الثانية كانت بابل وكانت تسيطر عليها عناصر من أصل كاسى أسست الأسرة الثالثة التى بلغ عدد ملوكها ستة وثلاثون ملكاً، وبداءت تحكم من (١٥٩٥ - وحتى ١١٦٨ ق.م.) وهى عناصر هندو - أوربية أيضا عرفت فى مرتفعات بلاد النهرين باسم الكاسيين او « الكاشيين » واعتبروا أنفسهم طبقة ارستقراطية حاكمة بين السكان الاصليين وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين، وسارت العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاسية فى نطاقها العادى المحدود.

وسارت قوافلها التجارية في مساراتها التقليدية في بلاد سوريا وفلسطين ومصر، واكتسبت العلاقات المصرية البابلية بطابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر ق. م. ، والملك كارانيدش Karaindash ربما كان أول ملك يدخل فى علاقات دبلوماسية مع مصر، وليدعم حلفه معها أرسل ابنته إلى الفرعون المصرى للزواج ربما « تحوتمس الرابع » وفى عهد الملك الكاسى « السادس عشر بين الملوك الكاسيين » كوريجلزو "Kurigalzu" طلب بعض الكنعانيين الخاضعيين للحكم المصرى عوناً من الملك البابلى ضد الحكم المصرى ولكنه رفض قائلا :

« ..... إذا كنتم تريدون تكوين حلف ضد أخى ملك مصر وتريدون أن تتحالفوا مع الأخرين فلن انضم إليكم ولن انهب معكم، لأنه فى حلف معى[1] .

والقوة التالية هى آشور :

وقد شغلت آشور فى عصورها الأولى المنطقة فيما بين نهرى الزاب الأكبر والزاب الأصغر واطلت على نهر دجلة بضفتيه وينتسب الأشوريين إلى العناصر السامية التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية منذ أواسط الألف الثالث ق.م. وقد تأرجحت سياستهم مع أسرة بابل الأولى بين السلم والمهادنة، وبعد سقوط أسرة بابل الأولى ظل دورها ثانوياً وفى أحداث عصرها وفى عهد تحوتمس الثالث ونتيجة لانتصاراته العظيمة تقربوا من مصر عن طريق الهدايا .

كما سبق القول، وكذلك ارتبطوا بالملك الكاسى فى بابل بحلف، وكانت علاقتهم بمصر أيضاً علاقة صداقة خلال حكم امنحتب الثالث وبالنسبة للحيثيين فمن المرجح أنهم وفدوا إلى هضبة الأناضول فى بداية الألف الثانى

---

(١) Ibid, P. 467 .

ق .م. من مواطنهم فى أواسط آسيا إلى الشرق من البحر الأسود، وأنهم فرع من فروع الشعوب الهندوأوربية.

وأحتل الحيثيون عند مقدمهم جزءاً كبيراً من وسط هضبة الأناضول عند منحنى نهر اخاليس وكانت عاصمتهم تسمى « خاتوساس » وموقعها الحالى المدينة الأثرية المعروفة باسم « بوغازكوى »، ولم يكن للحيثين (خيتا) دور يذكر خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشرة، وخلال عهد أمنحتب الثالث ولم يمثلوا تهديداً لمصر وإنما مثلوا تهديداً حقيقياً لدولة ميتانى وعندما تولى عرش خيتا ملكهم الطموح « شوبيلوليوما » الذى وصلت بلاده إلى أوج قوتها بفضل سياسته وقوته العسكرية، فهاجم بجيوشه أرض الميتان ولكن ملكهم « توشراتا » استعان بصهره الفرعون المصرى أمنحتب الثالث . فاعانه بجيوش ردت الخاتين على أدبارهم .

تلك كانت الظروف الدولية التى وجد فيها « أمنحتب الثالث » نفسه وهى فى مجملها علاقات يسودها الود بالدويلات السورية والفلسطينية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وقد سار أمنحتب الثالث على سياسة أبيه « تحوتمس الرابع » فى توثيق عرى المودة بينه وبين ملوك وأمراء هذه البلاد عن طريق المصاهرات، ففى السنة العاشرة من حكمه تزوج من جيلوخيبا Giluhepa ابنة الملك الميتانى « شوتران الثانى » "Sutarna II"

« .... العام العاشر من حكم جلالته [..........] ملك مصر العليا والسفلى، نب مارع، المختار من رع، ابن رع أمنحتب، له الحياة، والزوجة الملكية العظيمة تى لها الحياة، العجائب التى أحضرت لجلالته كانت ابنته شوتران ملك نهارين جيلوخيبا، وحاشيتها من الحريم البالغ عددهن ٣١٧ أمراة....

هذا الحدث الذى سجله « أمنحتب الثالث » لمجئ عروسه الميتانية فى أربع مجموعات من الجعلان، يشير إلى مدى قوة الفرعون كما أن كلمة « التى أحضرت » قد نظر إليها البعض بأنها فى كتابة حوليات الأسرة الثامنة عشرة قد تعنى نوع من الجزية، وبالنسبة لهذه الأميرة الميتاينة قد اختفت داخل البيت الملكى المصرى، ولم تحمل القاب ملكية، كما أنها لم تكن الوحيدة فى حريم الملك المصرى وإنما وجد غيرها اميرات كثيرات داخل البلاط المصرى.

كذلك بالنسبة لبابل فلقد تزوج « امنحتب الثالث » على الأقل اميرتين احذاهما ابنة الملك البابلى « كاردوناش » والثانية بنت اخيها كادشمان خاربى أو (كادشمان انليل) الذى وافق على زواجها إلى الفرعون المصرى ولكنه اشترط وصول الذهب أولا حتى يستطيع أن يستكمل بناء أحد قصوره.

ويبدو أن العلاقات بين مصر وبابل كانت بمثابة علاقات الأقوى والأقل قوة لأن الملك البابلى قد أظهر استياءه أكثر من مرة فى رسائله التى تضمنت أحياناً شكواه ومنها أن الفرعون « امنحتب الثالث » لم يرسل للاستفسار عن صحته عندما كان مريضاً ومرة أخرى تأخر رد الفرعون المصرى لمدة ست سنوات.

ولابد من الإشارة إلى أن هذا الزواج السياسى كان من جانب واحد فبالرغم من ترحيب « امنحتب الثالث » بالزواج من الأميرات الأجنبيات الا انه يرفض طلب أى من هؤلاء للاقتران باميرات مصريات وربما كان هذا مبعثه تقليد وراثة العرش فى مصر إنما كان عن طريق المرأة وكذا فإن دماء الفراعنة ليست مثل غيرها وإنما هى دماء عزيزة مقدسة، وإن بناته اللاتى يجرى فى عروقهن ذلك الدم المقدس أرفع من أن تحتويهن مضاجع هؤلاء الملوك غير المصريين، وفى النصوص المصرية فإن هؤلاء الملوك كان يشار إليهم بتعبير Wr « ور » (بمعنى عظيم) باعتباره أمير أو رئيس ليس أكثر من ذلك.

هذا فضلا عن أن المصريين إنما كانوا يعتقدون إنهم وحدهم المتمدينون وإنهم الشعب الوحيد حقا، الذى يستطيع أن يحمل عن جداره اسم « الناس » بمعنى « متحضر » وأما الأجانب فلا، كان القوم يسمون أنفسنهم الناس أو الرجال تمييزا لهم عن جيرانهم من الليبيين والافريقيين والاسيويين. (١)

ونجد مثال واضح لرفض الفرعون أن يزوج احدى الأميرات المصريات لمثل هؤلاء الملوك، وذلك أن ملك بابل « كادشمان انليل » سولت له نفسه أن يطلب الزواج بأميرة مصرية، فكان الجواب من الفرعون المصرى بالرفض بحجة أنه « لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى واحد وحين يعيد الملك البابلى سؤاله لم يكن نصيبه هذه المدة بأفضل من الأولى، ومن ثم نراه يطلب أن يزوجه الفرعون أية امرأة مصرية، ومن هذا يتضح أن الملك البابلى إنما كان يرضى بأية امرأة مصرية ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من البيت المالك، ولكن « امنحتب الثالث » رفض هذا الطلب حتى لا يختلط الأمر على أحد وتحسب على أنها ابنه ملك، ولعل سبب رفضه بسبب أن موافقته قد تدل ضمناً على فقدان وجه وهيبة مصر ولكنها أيضا ترفع ذلك الحاكم الأجنبى لمستوى الفرعون.

وبرغم تعالى الفرعون الذى يعكس مركز مصر وقوتها فإن ملوك الشرق القديم ومنهم ملوك بابل – كانوا يدركون أهمية صداقة مصر وقيمتها فهم فى حاجة إلى ذهب مصر وهو ما تعكسه باستمرار رسائل تل العمارنة، كذلك إستمرار الملوك البابليين فى إرسال أولادهم ليكن زوجات للفراعنة المصريين، حيث رأينا خليفة « كادشمان نليل » الملك« بورنابورياش الثانى » II

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٥٨ .
وكذا :
Schulman , A., Op. Cit., P. 19.

Burnaburias يرسل ابنتـه إلى « امنحـتب الرابع» (اخناتون) لتكون ضـمن حريمه.(١)

أيضـا تزوج « امنحـتب الثـالث» من ابنة حـاكم « ارزاوا» Arzawa(٢) الملقب « تارخان درادو "Tarhundaradu" ، ويبدو أن الثانى قد أراد أن يقوى مـركـزه فى بلاده فـدخل فى حلف مع « امنحـتب الثـالث» الذى كـتب إليـه باستخفاف طالبا منه ارسال ابنته لتكون زوجة له.

«امنحوتب الرابع - آخناتون » (١٣٧٠ - ١٣٥٣ ق.م.)

تولى « امنحـوتب الرابع» الحكم فى ظروف كـانت فـيـهـا مصـر فى أمس الحاجة إلى رجل من طراز « تحوتـمس الثالث» وليس من طراز « امنحوتـب الرابع» (اخناتون) الذى وإن كـان يحـتل مكانة سـامـيـة بين عظمـاء الرجـال على طول عـصـور التـاريخ، إلا أن ظروف الامـبـراطـورية المـصـرية كـانت تتطلـب جنـدبا يستطيع أن يخرج إلى أطراف دولتـه لطمـأنة المـوالين له والحـد من أطمـاع .. خـاتى، و « أشـور» الذين أغـروا ضـعـاف النفـوس من حكام الـدويلات بالعـمل لصالحهم.

ولقد بدأ الخلل فى أواخر عهد « امنحـتب الثالث» حيث تشير رسائل « تل العمـارنة» عن بداية المتاعب التى ثارت فى وجـه مصر هناك فى نهاية عـهده وفى رسـالة من حـاكم « قطنة» بالقـرب من دمـشق يسـتنجـد بالمـلك لأن المـناطق الموجودة حول دمشق قد تمردت(٣)، ربما بسبب العناصر الأمورية بتحريض من

---

(١) Seele, K., and Sleindarff, G., Op. Cit., P. 112.

(٢) أرزاوا أحد الدويلات المستقلة فى الأناضول موقعها غير معروف بدقة - راجع كتابى : الدور السياسى للملكات .

(٣) Petrie, F., A History of Egypt , Vol., III, P. 267.

الحيثيين واشتد تدهور النفوذ المصرى فى عهد ابنه اخناتون الذى انصرف إلى دعوة الوحدانية معتقداً أن دعوته يمكن أن تربط بين مصر وجيرانها واتباعها بروابط أوثق من كل ما جربه اسلافه من روابط القوة والسياسة، ولقد استقبل ملوك الشرق وأمرائه عهد اخناتون بمد يد الصداقة والرغبة فى استمرار علاقات الصداقة التي كانت موجودة قبل عهد اخناتون وخاصة بين مصر وميتانى التى أرسل ملكها « توشراتا » لاخناتون طالبا أن تستمر علاقات الصداقة بينهم كما كانت مع ابيه من قبل بل أنه يطمح أن تزيد عما كانت عليه من قبل عشرات المرات.(١)

ايضا كانت هناك رسائل ود بين مصر و « شوبيلوليوما » ملك الحيثيين الذى كان وراء ثورات الامارات التابعة لمصر فى سورية، وقد حاول أن يعقد صلات الود مع « اخناتون » على الأقل حتى تتبين له سياسته الخارجية بوضوح غير أن العلاقات بين مصر وخاتى سرعان ما تتوقف ربما لأن ملك « خاتى » يحرض أمراء وسط سوريا وشمالها بغرض زعزعة النفوذ المصرى، وتحقيق أغراضه فى غربى آسيا، وقد استجاب له « ايتوجاما » أمير قادش الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الأمراء التابعين لمصر.(٢)

وفى أواسط سورية وشرقها، تكشف لنا رسائل تل العمارنة عن نوعية من الأمراء ظلوا موالين لمصر، وآخرين استفادوا من الصراع بين القوى وظلوا يعملون لحسابهم ومن النوع الأول « ربعدى Rib-A-dda أمير « جبيل » والذى يشرف على منطقة تمتد من الساحل إلى الداخل حول ميناء جبيل ولقد ظل يرسل توسلاته المستمرة والتى بلغ عددها نحو سبعة وستون أو ثمانى وستون رسالة إلى الفرعون « امنحتب الثالث » وابن اخناتون يطلب العون ضد « عبدى شرتا »

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢.

(٢) St..ly, A. C., CAH, III, 1965, P. 312 .

الذى كان حاكما على أمور ويشرف على جزء كبير من حوض العاصى، واتبع سياسة بسط نفوذه على حساب جيرانه، وفى نفس الوقت التى تفيض رسائله إلى الفرعون نفاقا وتملقا.

وتابع «عبدى شرتا» سياسته فى نفس الوقت التى كانت رسائله إلى الفرعون مليئة بالخضوع والعبودية، حتى لا يتأثر الفرعون بما يسمعه عنه وعندما خلف «عزيرو» أبيه «عبد شرتا»، فإنه اتبع نفس سياسة والده، ارسال الرسائل إلى اخناتون مليئة بعبارات الود والولاء مدعيا أنه يستولى على المدن ليحميها من الحيثيين، وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها، وبلغت به صفاقته أنه كان يراسله بأمل أن يرى وجه مولاه البهى وذهب إلى مصر لمقابلة الفرعون وعاد بثقته.[1]

ونتيجة لذلك فلقد تمكن من بسط نفوذه على حساب جيرانه فاحتل عرقه وقطنه ونى (جنوب قرقميش على الفرات) فى الداخل، ثم استولى على الآزا «شمال طرابلس» وارداتا (قرب زغرتا) وحرق أو جاريت ودمر سميرا.

وتوالت الرسائل إلى اخناتون شاكية «عزيرو» وسياسته الرامية إلى تقويض نفوذ مصر وممتلكاتها، ومن ضمن هذه الرسائل، رسالة «ربعدى» أمير جبيل أحد المخلصين لمصر الذى أرسل إلى الفرعون يتساءل كيف ينفذ تعليماته ويحمى نفسه ويحمى مدينة الملك (أملاكه) ويتحسر على الماضى حيث كانت مصر ترسل حملاتها لتاديب العصاه والملك نفسه يقود هذه الحملات، ويحذر الملك من هجوم «عازيرو» على أراضيه أكثر من مرة مما أدى إلى أن يهجر المزارعين لأراضيهم، ومحاولة عزيرو الدائمة أن يستميله إليه مثلما فعل

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢ .
وكذا :

Aldred, C., Op. Cit., P. 84 .

مع غيره، وقد اثبتت الأحداث فيما بعد ان عزيرو من تابعى « شوبيلوليوما » المخلصين وانه استبدل النفوذ المصرى بالقوة الحيثية التى لم تكن تعرف رحمة ولا هوادة تجاه الموالين لها ومن المعروف ان نظام ادارة الامبراطورية المصرية منذ أيام الفرعون تحوتمس الثالث كان يقوم على تعيين نواب له في كل منطقة، بالإضافة إلى مفتشين مقيمين فى المدن الهامة للاشراف على الأمراء المحليين وجعل من غزة فى فلسطين المركز الرئيس للادارة بالاضافة إلى انه أخذ أبناء الامراء وحكام البلاد الاسيوية لتنشئتهم تنشئة مصرية مع ابناء كبار رجال الدولة فى مصر وبالتالى ينشئوا على حب مصر وصداقتها بعد أن درسوا معاً وارتبطوا برباط المودة والصداقة والوفاء وعلى هذا النحو نمت أواصر الصداقة – مع الخضوع – بين الاسرات الحاكمة فى سوريا وفلسطين وبين الفرعون والادارة المصرية، وكان عليهم أن ينفذوا تعليمات الفرعون فى بلادهم وإن يوفروا المؤن لقواته وإن يخبروا الفرعون بالأحداث الهامة فى أقاليمهم وتحركات القوات المعادية وكان ممنوعاً عليهم الاتصال بالقوى الأجنبية أو حتى استقبال مبعوثيهم.(١)

وفى جنوب سوريا اى بفلسطين الوسطى والجنوبية قام بدور الحيثيين « جماعات الخابيرو » الذين يهمهم القضاء على النفوذ المصرى فى فلسطين وخاصة ان المنطقة لم تكن مستقرة بسبب التنازع بين الأمراء المحليين الذين لم يكن لهم هم سوى الحكم وفى أثناء حكم اخناتون تعرضت المنطقة لاضطرابات من خلال أحد هؤلاء الامراء ويدعى « لابايا Labaya حاكم « سيشم الذى هاجم مدينة جازر وغيرها من مدن جيرانه وتعاون هو وأولاده مع قبائل الخابيرو وسمح لهم بدخول مدينته وصاروا مصدر ازعاج على غيره من الولاه

---

(١) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٦ – ٢٦٥ .
وكذا :

Alderd, C., Op. Cit., P. 85.

المتمسكين بالولاء لمصر امثال «عبدى خيبا» امير القدس، ولكن «لابايا» يكتب لاخناتون.

ويتنصل «لابايا» من كل ما نسب إليه، لكن الفرعون لم يصدق مزاعمه ومن ثم فقد أرسل حملة بقيادة «بنخام» لضرب العصاه، ولم يستطيع بنخام أن يقبض على لابايا، الذى اغتيل أثناء فراره وتولى أبنائه من بعده وسارا على نهج أبيهما فى نفاق الفرعون بينما يعملان لصالحهما مما جعل «عبدى خيبا» أمير القدس فى احدى رسائله يكتب إلى اخناتون متسائلا عن السبب فى عدم ارسال القوات لتاديب العصاه فى أملاكه.

وهكذا اضطربت امور فلسطين امام عينى فرعون الذى أدرك الخطر المحدق بالامبراطورية واستجاب لنداءات ولاته المخلصين فأرسل إلى فلسطين أكثر من نجده غير أن هذه النجدات لم تحسم الموقف، فإن الاضطرابات سرعان ما تتجدد مرة أخرى بعد عودة الحامية المصرية ويبدأ الولاة التابعين لمصر بالشكوى من الخابيرى ومن بعضهم البعض وأن كان هذا لا يعنى أن الانهيار كان تاما كما كان فى سوريا الشمالية بل أن نفوذ مصر فى فلسطين إنما ظل باقيا على أيام «اخناتون» فى اجزاء كثيرة من فلسطين.(١)

وفى ظل تلك الظروف السياسية وانشغال «اخناتون» بدعوته معتقدا أن عقيدة التوحيد هى الوسيلة المثلى لتوحيد الامبراطورية المصرية ومع ذلك فإن «اخناتون» قد اتخذ على الاقل زوجتين أجنبيتين الأولى هى الاميرة المتباينة «تاد وخيبا» التى أرسلها «توشراتا» إلى حريم ابيه ثم انضمت إلى حريم «اخناتون» بعد موت امنحتب الثالث ولعل الدليل على زواج اخناتون من «تاد

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ١٠٨.
وكذا :
Goelze, A., CAH, Vol. II, P. 2. P. 8.

وخيبا » ما يمكن أن نستشفه من مخاطبة « توشراتا » لاخناتون فى رسائل « تل العمارنة » أرقام ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ حيث يطلق على الفرعون « اخناتون » لفظ زوج ابنته . « إلى بنخوريا ملك مصر، أخى زوج ابنتى

الذى (احبه) .....

ثم يتبع ذلك بتحياته إلى تاد وخيبا ابنته (رسالة ٢٧)

وفي رسالة رقم (٢٦) إلى الملكة الأم « تى » فإنه :

« ... إلى [تى] ملكة مصر، يقول

[توشراتا] ملك ميتانى، (تحياته)

إليها، وإلى ابنك (اخناتون) آمل أن

يكون بخير مع تاد وخيبا (ابنتى) وابنتك،

آمل أن تكون بخير ......

بل أن « بترى "Petrie, F" يرى أن « امنحتب الثالث » قد أرسل مندوبه إلى الملك الميتانى « دوشراتا » لكى يطلب زوجة لابنه وليست له وأن الأخير قد أطلق على نفسه حمى « صهر» امنحتب الرابع» « اخناترن » اشارة إلى هذا الزواج. (١)

وفى السنة الخامسة عشرة من حكم « اخناتون » تم زواج آخر بينه وبينه اميرة بابلية، ولقد تم هذا الزواج بين البيت البابلى والفرعون اخناتون حيث حضرت الأميرة ولم نعد تسمع عنها شئ بعد ذلك، وهو زواج يتضح فيه أيضا الجانب الاقتصادى بجانب الناحية السياسية لأن الهدايا التى كان الملك البابلى

---

(١) Petrie , F., Op. Cit., PP. 270 - 271 .

يرسلها مع رسوله أو مع العروسة وخاصة العربات والجياد فإنه فى مقابلها كان ينتظر أن يغدق عليه الفرعون الهدايا الكثيرة ولعل أهمها الذهب .

أيضا وجدنا فى حريم اخناتون ابنة الأمير السورى « شاتيجا » "Schatiga" وكذلك ابنة أمير « اميا Ammia " (لبنان حاليا »)، ولعل الدافع إلى هذه الزيجات سياسى ومادى أيضا بالنسبة لحكام المدن السورية الذين اعتادوا منذ عهد والده ان يرسلوا مع الجزية عشرات من الفتيات الجميلات .

وقد عثر فى أوجاريت على آنية من الألباستر ونقوش عليها زوجين، لسيدة من البلاط المصرى، اسمها غير معروف مع « نيقامدو الثانى Niqmaddo ملك أوجاريت الذى كان معاصرا لكل من « امنحتب الثالث » واخناتون، والاحتمال الأرجح انها كانت فى عهد اخناتون.(١)

وكما يرى البعض فى هذه الزوجة بأنها فتاة من طبقة النبلاء من البلاط الملكى المصرى وأن هذا الزواج قد تم لأسباب سياسية فى العام الثانى عشر من حكم اخناتون لكى يدعم العلاقات بين مصر وأوجاريت، والمعروف أنه فى خلال حياة « امنحتب الثالث » فإن أوجاريت كانت مخلصة وقد عثر على أحد جعاربين زواجه من الملكة « تى » المؤرخة بالسنة الأولى من حكمة فى أوجاريت (رأس شمرا)، كما وجد خرطوشين للفرعون وزوجه على قطعة من الشقف، كذلك فى بداية عهد ابنه « اخناتون » وزوجه « نفرتيتى » قد أرسلا هدية دبلوماسية إلى « نيقامدو » وزوجته الملكة ، التى ارسلت بدورها إلى الملكة نفرتيتى هدية عبارة عن قدر من الروائح العطرية لكن يقف عقبة أمام قبول هذا الرأي رسالة امنحتب الثالث إلى صهره « كادشمان انليل »

---

(١) Schulman , A. R., Op. Cit., P. 185 .

« منذ القدم ابنة ملك مصر لم تعطى إلى أى واحد »، وبالرغم من أن « اخناتون » قد غير كثيرا من أساليب ونظم الحياة المصرية.، إلا انه لا توجد أدلة مؤكدة تجعلنا نقول أن « اخناتون » قد ترك سياسة أبيه بشأن السماح بالزواج من الأسرة الملكية المصرية، وبالتالى فالأمر لا يزال فى حاجة إلى أدلة.

ولعل ما يجعل الباحث أن يتريث فى هذا الأمر – علاوة على ما سبق – هو ذلك الحادث الغريب فى التاريخ الفرعونى والذى أوردته المصادر الحيثية – ولم نجد له إشارة فى الوثائق المصرية – التى تقدم لنا رسالة هامة مكتوبة باللغة المسمارية عثر عليها فى بوغاز كوى العاصمة الحيثية حررتها احدى ملكات مصر تطلب الزواج فيها من أمير أجنبى وتمنحه عن طريقها شرعية العرش، الأمر الذى جعل الملك الحيثى « مورشيل الثانى » (١٣٦٠ – ١٣٣٠ ق.م.) ابن « شوبيلوليوما » يذكرها فى حولياته.

وتتضح رغبة الملكة الأرملة فى الزواج من الأمير الحيثى، الذى تبعاً لرغبتها سوف يكتسب بهذا الزواج الحقوق الوراثية لتولى عرش الفراعين، كما يتضح أيضاً دهشة الملك الحيثى لهذا التصرف الغريب الذى لم يحدث من قبل، والمعروف أن هذا الأمير الحيثى قتل فى طريقه إلى مصر، وقبل أن تطأ قدماه أرض مصر، فى الأراضى السورية، بواسطة رجال الأمن المصريين الذين وصفوا بأنهم « رجال الأمن المصريين » أو « رجال وخيل مصر » بتعليمات من الأب الالهى « آى »، وربما هو الأرجح، بمعرفة « حور محب » الذى كان يتولى قيادة الجيوش المصرية فى تلك الفترة، وقد أدى هذا إلى أن تتحرك القوات الحيثية إلى سورية وتقبض على القتلة وترسلهم إلى عاصمة الحيثيين حيث حوكموا وعوقبوا، تبعا للقانون الدولى، وتنتهى بذلك تلك المحاولة.(١)

---

(١) مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر، ص ١٠٠.

وكذا : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى « أخناتون »، ص ١٨٥.

Aldred, C., Op. Cit., PP. 84 - 86.

هذا وقد اختلفت الآراء بشأن معرفة هذه الملكة الأرملة التى ذكرتها النصوص الحيثية باسم « الدوخا منسو »، التى حاولت القيام بذلك الدور السياسى الخطير، ويعتقد البعض أنها أرملة اخناتون الملكة « نفرتيتى » بينما يرى البعض - وهذا ما أرجحه - أنها « عنخس أن با آمون » أرملة « توت عنخ آمون »، اعتماداً على أن مقارنة اسم الملك المصرى الوارد فى هذا النص وكذا اسم الملك الحيثى ومقارنة عصر كتابة الوثيقة بالتواريخ المعروفة يحتم وضع تاريخ الرسالة عشر سنوات على الأقل بعد موت اخناتون، كما أن صاحبة الرسالة تذكر أنها لم تلد من قبل، فى حين أن « نفرتيتى » انجبت كما أشرنا من قبل، كما أن أية واحدة من بنات « نفرتيتى » كان لها شرعية ولاية العرش شرعية أبيها، كما أنه ليس من المعقول أن تأتى « نفرتيتى » هذا العمل عقب وفاة « سمنخ كارع » و « توت عنخ آمون » أقرب إليها فهو زوج ابنتها الذى شاركها اعتكافها حين غضبت وأثرت أن تبتعد عن اخناتون.[1]

على أن هناك وجهاً آخر للنظر إنما يتشكك فى الرسالة من الأساس ويتساءل هل صحيح أن ما صورته الرسالة التى سجلها « مورسيل الثانى بن شوبيلوليوما » فى حولياته يمثل حقيقة تاريخية، وبخاصة وإنه ليس هنا ما يدعم ما جاء فيها من وجهة نظر المصادر المصرية، بل أن تلك المصادر لم تشر إلى تلك الرسالة أبداً ثم اننا لا نملك - حتى عن طريق المصادر الحيثية - نص رسالة الملكة المصرية المزعومة هذه.

ويمكن القول انه فى الأسرة الثامنة عشرة ونتيجة للتفوق المصرى فى ساحات القتال الذى حققه تحوتمس الثالث وخلفائه امنحوتب الثانى، وتحوتمس الرابع، وايضا سياسة الزواج السياسى فإن الفرعون المصرى كان دائما يامر بارسال أميرات أجنبيات للزواج منهم وكانت مطالبه دائما تنفذ،

---

(١) راجع كتابى عن « الدور السياسى لملكات مصر القديمة ».

كما يلاحظ أكثر من مرة أن الفرعون المصرى لجأ إلى نوع من تجديد الولاء لمصر مستخدما انجاز زواج جديد عند اعتداء الحاكم الأجنبى الجديد لعرشه، والأمثلة عديدة سواء مع بابل أو ميتانى حيث تزوج « امنحوتب الثالث » من ابنة « كادشمان انليل » ملك بابل على الرغم من وجود شقيقة الملك البابلى ضمن حريمه، أى أن الفرعون قد جمع بين الابنة وعمتها، الشئ الذى تكرر مع ميتانى وغيرها.

كذلك نتج عن حالات الزواج السياسى السابقة تقوية الروابط بين الفرعون المصرى ومعاصره الأجنبى، ولكن ليس ما بين دولهم، ومن هنا كانت الضرورة فى حالة وفاة ملك أى من البلدين ان يتم زواج جديد وروابط جديدة، بالإضافة إلى ذلك لجأت مصر إلى نوع من السلام المسلح، والخروج من حين إلى حين إلى أطراف الدولة لطمأنة الموالين وتأمين الجانب الاقتصادى والضرب على الطامعين، وعندما تخلت مصر عن اتباع تلك السياسة فى عهد كل من « امنحوتب الثالث » و « امنحوتب الرابع » فإن مشاعر الحكام لم تعد كافية لتأمين الجانب السياسى والاقتصادى وبالتالى اضطربت علاقات مصر الدولية.

نهاية الأسرة الثامنة عشرة :

بوفاة اخناتون وسمنخ كارع والآخير لازلنا نجهل أحداث عهده، وتبعه فى الحكم « توت عنخ آتون » الذى غير اسمه ليكون « توت عنخ آمون » واعتلى العرش وهو حديث السن ولكنه لم يعمر طويلاً إذ أنه مات بعد ان حكم نحو ثمانية اعوام وكان حينئذ فى الثامنة عشرة من عمره، ونال شهرة كبيرة بسبب ذلك الاكتشاف المثير لمقبرته عام ١٩٢٢ بواسطة « هوارد كارتر »، تلك المقبرة التى حوت اثاث وكنوز تعد أثمن كنوز المتحف المصرى بالقاهرة حاليا.

تولى العرش بعد « توت عنخ آمون » آى وهو من رجال الجيش وحمل لقب

« الأب الإلهى » ويرى « جاردنر » أن هناك قرابة بينه وبين يويا والد الملكة تى، وربما كان صهراً لامنحتب الثالث، ومن المرجح أنه تزوج إحدى أميرات البيت المالك، أو ربما أرملة توت عنخ آمون وذلك ليدعم شرعيته فى إعتلاء العرش الفرعونى، الذى اعتلاه لمدة ثلاث سنوات تقريبا ليخلفه قائد الجيش « حور محب ».

حور محب :

تضاءل النفوذ السياسى الخارجى لمصر خلال فترة العمارنة وبرغم المحاولات الجادة التى بذلها « حور محب » من أجل اعادة هيبة مصر ونفوذها فى الخارج وخاض فى سبيل ذلك معركتين على الأقل فى عهد « توت عنخ آمون » وفى عهده، وكان معاصراً لملك الحيثيين « مورسيل (الثالث) الذى مال إلى السلام فوجدها حور محب فرصة طيبة لاصلاح أمور مصر الداخلية ونشر العدل الاجتماعى بين ربوع مصر، لذلك اصدر مجموعة من التشريعات جعلته من اشهر المصلحين الاداريين والمشرعين، وتضمنت تشريعاته أحوال مصر المتردية قبل عهده، والمواد التى وضعها للقضاء على الفساد، وتوضيح الكثير من القواعد التى تهم المجتمع سواء فى علاقتهم بعضهم البعض، أو فى علاقة الفرد بالسلطة والحقوق والواجبات، سواء بالنسبة للفرد أو الدولة.

كذلك كان « حور محب » مهتما بالبناء والتشييد، فأمر بتشييد بهو الاعمدة التى كان اكمالها من نصيب رمسيس الثانى، كما شيد الصرحين التاسع والعاشر بمعبد الكرنك، ايضا يبدو أن طريق الكباش الممتد من الكرنك إلى الاقصر يرجع تنفيذه إليه، بالاضافة إلى عدة أعمال أخرى فى اماكن متفرقة.

وبوفاة « حور محب » الذى لم يترك وريث له للجلوس على عرش مصر تنتهى الأسرة الثامنة عشرة.

عصر الرعامسة

الأسرة التاسعة عشرة ١٣٠٨ - ١١٩٤ ق.م.

بداية الأسرة التاسعة عشرة التي أسسها رمسيس الأول والذى ثبت أنه لم يكن من اصل ملكي، وإنما ارتقى من خلال سلك الجندية حتى اصبح وزيرا في نهاية حكم حور محب، ولقد كان رجلا مسنا حين اعتلى العرش ولم يكن مقدرا له أن يستمتع بسلطان الملك طويلا، فمانيتون لا يجعل له سوى عام واحد وأربعة شهور كمدة حكم، وخلفة ابنه سيتي الأول.

سيتي الأول :

يرجع إليه الفضل في استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة، ويبدو أن سيتي نفسه كان يعد العدة لذلك ولذلك لقب نفسه باللقب الحورى « وحم مسوت » أى عهد تجديد المواليد بما يعني عهد النهضة، وهي تسمية كانت لها سابقتها في بداية عصر الأسرة الثانية عشرة في عهد « امنمحات الاول »[١]، وفي مجال جهوده الخارجية فيبدو أن جزء كبير من المدن السورية والفلسطينية ظلت على ولائها لمصر، ربما بسبب اخلاص ولاتها او نتيجة للجهود التي بذلها حور محب في أعقاب فترة العمارنة، من هذه المدن بيسان، رحوب (إلى الجنوب من بيسان) وربما مجدو أيضا، وكان هذا عامل مساعد لقيامه بحملاته التي سجلها في العديد من المناظر المصورة على الجدارين الشمالي والشرقي من قاعة الأعمدة لمعبد الكرنك، بالاضافة إلى عدد آخر من اللوحات وجدت في الأراضي السورية.

---

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٢٢٩ .
وكذا :

Faulkner, R. O., CAH., Vol. II, P. 2, P. 218.

بدأ « سيتي الأول» حملته من قلعة ثارو (تل أبو صيفة بالقرب من القنطرة شرق) وهي بداية الطريق الحربي من مصر إلى فلسطين، وفي الطريق من ثارو حتى رفح، قام باعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه، ورغم أن الحصون كانت تحمل اسم « من ماعت رع سيتي الأول» فإن ذلك لا يعني أنها كانت جميعا من انشائه، لأنها كانت موجودة منذ أقدم العصور ولكنه قام بترميم بعضها، فضلا عن انشاء الآخر، ومن رفح تقدم إلى مدينة كنعانية وهي غزة الفلسطينية على بعد يسير من الحدود المصرية، وقبل أن يستولى عليها، أى فى الطريق اليها، اضطر إلى القيام بمذبحة كبيرة بين الثائرين من بدو « الشاسو » ومن غزة أرسل قواته لمساعدة بيسان ورحوب (الموالين لمصر) والذين تعرضوا لهجوم حلف مكون من حماة وبحر، حيث نجح سيتي في اخضاعهم.

وفي حملته الثانية سجل الملك أنه هجم على قادش وأرض أمور، ثم يتابع « سيتي الأول» سياسته باستعادة الامبراطورية بحملتين آخريين وهناك على تمثال للفرعون على هيئة أبو الهول في معبده الجنازى بالقرنة، يشير إلى تقدمه فى أراضى أمور واستيلائه على مدن أولازا وسميرا، ويبدوا أن حملته الأخيرة قد أدت إلى أثارة الحيثيين الذين حشدوا قواتهم لمواجهة المد المصرى، وفعلا تمت المواجهة بين القوتين ومعلوماتنا ضئيلة بشأن تاريخ تلك الحملة. ومكان المواجهة، ويبدو أنها كانت شمال « قادش» . [١]

وطبقا لنصوص الكرنك فإن النصر كان من نصيب « سيتي الأول» وأنه نجح في الحصول على كثير من الأسرى والغنائم، وأجبر الحيثيين على العودة إلى

---

(١) Gardiner , A., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. II, P. 202 .

وكذا :

محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

Faulkner, R. O., Op. Cit., P. 219.

بلادهم وأن « بتسينا » ملك أمور قد اعترف بسلطان فرعون، ومع ذلك فيبدو أن النصر لم يكن مؤزرا بدليل أن ابنه فيما بعد اضطران يخوض معركته الشهيرة فى قادش، وأن تاثيره المادى لم يكن قويا على الحيثيين، فهناك ما يشير إلى أن المصريين رغم أنهم قد اكتسبوا سلطة مؤقتة على سهل سورية الشمالى، فسرعان ما عاد النفوذ الحيثي اليه من جديد، ويبدو أن حدود امبراطورية « سيتى الأول » فى نهاية حروبه كانت تمتد شرقا من مصب نهر الليطانى وأن مدن صور ومجدو وربما بيسان، قد استمرت حاميات مصرية، وبرغم أنه لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا فى سورية الشمالية، فإنه نجح على الأقل فى أن يفرض هيبة مصر فى كل فلسطين وفى سورية الجنوبية، وأن يهزم الجيش الحيثى، وأن يسيطر على اقليم امور الموالى للحيثيين، وأن يعيد إلى الأذهان مجد مصر العسكرى، وربما حدثت هدنة أو معاهدة بين الفريقين أجلت الصراع إلى حين. (١)

رعمسيس الثانى ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م.

ويخلف « رعمسيس الثانى »، والده بعد أن شاركه فى الحكم لفترة غير محددة ولكنها أكسبته خبرة فى شئون الدولة الداخلية والخارجية. وفى بداية حكمه واجهته الصعوبات اذ تعرضت الدلتا لهجوم من « الشردان » فيما يعرف بأول موجة من غزوات شعوب البحر ولكنه انتصر عليهم ويأسر عدد كبير منهم بالاضافة إلى الاسرى الليبيين والنوبيين وربما كان هذا اشارة أيضا إلى حملات له ضد الليبيين والنوبيين، غير أن اهتمام « رعمسيس الثانى » إنما كان موجها إلى مملكة « خيتا » فى آسيا. العدو الرئيسى أمام النفوذ المصرى، إذ سعت كل من

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٧.
وكذا :

White, J., Op. Cit., P. 176 .

القـوتـان أن تـكـون لهـا السـيـادة والتـفـوق وبالتـالى صـعـب تـجـنـب الصـدام بين الامبراطوريتين المتنافستين.

كانت أول حـملة لـ «رعمسيس» فى السنة الرابعة من حكمه، حيث وصل بقـواته إلى منطقـة تعرف باسم «نهر الكلب» (شـمـالى بيروت») الحـد الفـاصـل بين نفـوذه ونـفـوذ خـصـمـه، وهنـاك أقـام لـوحـة تـذكـارية لحـملتـه هـذه، ولا تـوجـد لدينا تفـاصـيل عن مـعـارك فى هذه الحـملة ويـبـدو أنـهـا كـانـت حـملة اسـتـطلاعـيـة لتأمين طرق مواصلاته. (١)

وفى نفس الوقت كان الملك الحيثى «موتاللى» قد اتم استـعـداداته وجهز مواته وقوات المؤيدين له ومعهم رؤساؤهم، ولم يذكر ضـمن هـذه البلاد آمور التى كـانت قـد دخلت تحت الولاء لمصر، ولم يترك شئ فى أقـاليـمـه من مؤن وخلافه يمكن أن تساعده ويقال أن الملك الحيثى لم يترك فضـة فى بلاده لأنه أعطاها إلى حلفـائه لكى يضـمن اشتراكهم فى الحرب إلى جانبه وقد عين اخاه «حاتوسيل» قائدا لأحد الفرق، ولم يترك احد من رجال دولته البارزين فى الحرب دون تجنيد، وفى المقابل، لم تكن استعدادات «رعمسيس الثانى» أقل من استـعـدادات منافسـة الحيـثى ويبدو انه احتـاج إلى نفـقـات كـثيـرة للقوات المصرية التى نظمت فى أربعة فيالق، آمون، ورع وبتاح وست من كل أنحاء مصر بعد أن فرض التجنيد الاجبارى على رعاياه فى فلسطين، والاسرى الشردان، ويتم تجميع الجيوش بقيادة الفرعون فى قلعة «ثارو» وتبدأ فى الاتجاه شمالا فى طريقها إلى قادش لتبدأ حملة السنة الخامسة من حكمه وتدور معركة من أهم معارك التاريخ المصرى سجلت تفاصيلها على كثير من البرديات بالاضافة إلى

---

(١) عن أدلة اشتراك رمسيس الثانى فى الحكم، راجع :
Murnane, W., Ancient Egyptian Coregencies, P. 57.

معابد رمسيس الثانى فى أبو سمبل والأقصر والكرنك وابيدوس والرامسيوم وغيرها.[1]

وبرغم اهتمام كل جانب بتصوير انتصاره، فمن الواضح ان انتصار « رعمسيس الثانى » لم يكن حاسما على عدوه، وكان فى عودته إلى مصر فرصة لاستجماع قواه، ولكن المدن السورية وجدتها فرصة للعصيان والخروج من النفوذ المصرى ربما بتشجيع من خاتى– مما اضطر الفرعون إلى الخروج إليها فى العام السادس أو السابع من حكمه حيث أخضع عسقلان، وفى العام التالى فى السنة الثامنة وصل إلى شمال فلسطين حيث اخضع عددا من المدن الثائرة فى منطقة الجليل ذكرت اسماؤها فى الصرح الأول فى الرمسيوم وفى قاعة الأعمدة بالكرنك، وكذلك مدينة « دبور » فى أمورو التى وصف اخضاعها فى نقوش الرمسيوم، وفيها يظهر أولاد « رعمسيس الثانى » مشتركين فى المعركة، ثم عاد فى العام العاشر من حكمه إلى منطقة « نهر الكلب » حيث اقام فيها لوحة تذكارية اخرى، ثم واصل تقدمه فى سوريا كلها حيث أوقع بالحيثيين هزيمة قاسية واخضع « تونيب » واقام تمثالا له فيها، ثم اجتاح قطنة، وفى الشمال الغربى اخضع « قود »، واستمر « رعمسيس الثانى » يمارس نشاطه فى غربى آسيا، ولدينا من السنة الثامنة عشرة من حكمه لوحة فى بيسان تشير إلى نشاطه المستمر فى هذه المنطقة، بالاضافة إلى حملة اخرى فى عامه الحادى والعشرين مما يدل على أن هذا النشاط العسكرى الدائم قد اعاد لمصر هيبتها تماما، وفى النهاية تروى المصادر المصرية ان « خاتوسيل » قد طلب عقد معاهدة بين مصر وخاتى ربما بسبب ان مملكة أشور قد أخذت فى الظهور على مسرح السياسة الدولية فى غربى آسيا وبدأت تفرض سلطانها على جيرانها وكذا الصراع فى

---

(١) Gardiner , A., The Kadesh Inscriptions of Ramsess II, Oxford, 1960, PP. 7 - 9.

البيت المالك الحيثى مما يجعل لزاما على دولة الحيثيين أن تكون فى وئام مع مصر، بالاضافة إلى خطر استمرار تدفق هجرات شعوب البحر الآرية على حوض البحر المتوسط وشواطئه.[1]

ويصف رعمسيس الثانى مجيئ رسل الملك الحيثى إلى قصره فى عاصمته :

« العام الحادى والعشرون، اليوم الحادى والعشرين من الشهر الأول من فصل برت من حكم جلالته ملك مصر العليا والسفلى وسرماعت رع ستب إن رع، ابن الشمس، رمسيس محبوب آمون، له الحياة ويظل خالدا للأبد، محبوب آمون رع بتاح، سيد (ملك) حياة الأرضين ....

ثم يمضى النص فى سرد أنه فى هذا اليوم وبينما جلالته فى قصره بعاصمته الشمالية جاءه رسولى ملك خيتا معا فى رفقه مندوبين حاملين إلى الفرعون رسالة خيتا أو مشروع معاهدة بين البلدين ومعهما لوحة من الفضة من ملكهم « خاتوسيل ».

ولقد قبل « رعمسيس الثانى » المعاهدة من حيث المبدأ، وكتب رجاله نصا آخر باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا، قد يكون متفقا مع النص المسمارى والذى حمله رسول خيتا أو معدلا عنه تعديلا يسيرا وبعد اتصالات

---

(١) عن نصوص هذه المعاهدة بين مصر وخيتا، انظر :
Goetze, A., Treaty between Hattusilis and Ramses II, ANEt, PP. 201 - 203.

اخرى وقع الملكان على المعاهدة حوالى عام ١٢٧٠ ق.م. وربما وقعت الملكتان عليها أيضا وبدأت صفحة جديدة في العلاقات بين الدولتين .

ويتضح من شكل المعاهدة وطريقة صياغتها مراعاة أنها بين دولتين كل منهما تعتبر دولة عظمي بدون افضلية لدولة علي حساب الأخرى وهي فيما يعتقد البعض قد عبرت عن سمو في صياغة العلاقات الدولية بين الدول دون تعصب، ومع ذلك فهناك اشارة في المعاهدة قد يفهم منها أنها امتياز لمصر على خاتي وهى خاصة برعايا مصر في املاكها الآسيوية الذين يثورون أو حين التعرض لهجوم من الخارج فإن على ملك خاتي أن يقدم المساعدة بنفسه، وأن حدث ذلك فعلى «رعمسيس» أن يحضر مشاته وفرسانه وإن يرسل ردا لأمير خاتي، وتعهدت كل من الدولتين بعدم الاعتداء على حدود الأخرى، وأن تقوم كل من الدولتين بتقديم المساعدة إذا تعرضت أحداهما لاعتداء خارجي، وأشهدت المعاهدة في خاتمتها الهة كلا من البلدين عليها وبذلك تمت مباركتها من الالهة في البلدين واصبحت مقدسة.(١)

كان من نتائج هذه المعاهدة بين مصر وخاتي إن سادت العلاقات الودية بين الدولتين فلم نعد نسمع عن حروب بينهم، واستمرت الرسائل المعبرة عن هذه العلاقة ومنها الرسالة التي أرسلتها الملكة المصرية .

نفرتارى «نفرتارى محبوبة الالهة» موت» الزوجة الملكية العظمى للفرعون «رعمسيس الثاني»، التي أرسلت إلى ملكة خاتي :

«من نامبنتيرا (نفرتارى) ملكة مصر إلى بودى خيبا

ملكة أرض خاتي، أختي، اقول لكي ان أختك في سلام

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق، ص ١٨٢ .

وأرضى فى سلام، والبكى يا أختى السلام (ان تكون)
أرضك فى سلام، انظرى (لقد) سمعت أنكى يا أختى
قد كتبت إلى بخصوص السلام والعلاقات الطيبة،
وعلاقات الأخوة بين ملك مصر العظيم واخيه ملك أرض
خيتا العظيم، (الآلهة) شمش وتيشوب سوف
يرفعان رأسك، وسيمنح شمش السلام ليحل
الخير، وسيمنح الأخوة الطيبة للملك العظيم، ملك مصر
وللملك العظيم، ملك خيتا اخيه إلى الأبد»[١]

كذلك فلقد تدعمت العلاقة بين الدولتين، مصر وخاتى، بذلك الزواج السياسى فى العام الرابع والثلاثين من حكم «رعمسيس الثانى» الذى تزوج بالابنة الكبرى للملك الحيثى، خاتوسيل الثالث «واعتزت المصادر المصرية بهذا الزواج ويذكر هذا الحدث الهام حيث صحب الملك الحيثى ابنته إلى مصر ليحضر زفافها إلى الفرعون، ورويت القصة فى نصوص كثيرة فى أبو سمبل، والكرنك، واليفانتين وفى احدى لوحات الزواج التى وجدت فى معبد «ابو سمبل» فإن النصوص المصرية إنما تعد هذا الزواج وكأنه خضوع الحيثيين لمصر حيث تصف اللوحة أن الأمراء الكبار من جميع البلاد قد سمعوا بقدرة جلالته الخارقة، فتملكهم الرعب، فقدموا له الجزية كل عام بما فى ذلك أطفالهم، ما عدا أرض خاتى التى لم تفعل ما فعلته هذه البلاد، فأقسم جلالته

---

(١) Langdom, M., and Gardiner , A., Op. Cit., PP. 204 - 205 .

وكذا :

أرمان و. هـ. رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم ابوبكر ومحرم كمال ، ص ٧٠ – ٧١.

باسم رع الذى جعله حاكم الأرضين بأنه سوف يحصل على أرض خاتى وسوف تجثو تحت قدميه إلى الأبد ومن ثم فقد جهز جلالته مشاته وفرسانه ودفع بهم فى أرض خاتى فسلبها وجعل اسمه في كل مكان ثم تلت ذلك سنوات عجاف قاست خاتى بسببها الكثير، وأخيرا قرر أميرها أن يخضع خضوعا تاما، بعد أن ظل يستعطف جلالته عاما بعد عام دون جدوى عندئذ قال أمير خاتى لقواده ومستشاريه ما هذا لقد ضربت بلادنا وآلهنا «ست» غاضب علينا ولا توجد مياه لدينا، فلنحرم انفسنا من كل ما نملكه وفى مقدمة ذلك ابنته الكبرى حتى يعطيهم فرعون السلام، ثم يستطرد النص :

« ... حينئذ قرر أن يحضر هو ومعه ابنته الكبرى مع الجزية الذهب والفضة والخامات الثمينة الكثيرة والخيل التى لا حصر لها والآلاف من الماشية والماعز والغنم، وبلا عدد لكى يحموا أرضهم (بلادهم) (حينئذ جاء احدهم) ليخبر جلالته قائلا : انظر الأمير العظم الحاتى، ابنته الكبرى قد احضرت، وتحمل الحاشية معها كل شئ وهم (يغطوا) الوادى ابنة رئيسى خاتى، الآن بعد (ايام) وصلوا (إلى مدينة) رمسيس مرى آمون واحتفلت بهذا الحدث العظيم فى العام الرابع والثلاثون الشهر الثالث من الفصل الثانى (رعمسيس الثانى) حينئذ قدمت إليه ابنة الأمير العظيم لخيتا، التى كانت قد سارت إلى مصر لتكون فى حضرة جلالته مع حاشيتها الكبيرة تتبعها بلا حدود.

حينئذ جلالته راى وجهها الجميل (مثل) الالهة، لقد (كان وقعها) طيب فى قلب جلالته وأحبها أكثر من آى شئ كحظ طيب من الاله بتاح حينئذ جلالته امر أن يكون اسمها الزوجة الملكية « معات نفرو رع » ابنة الأمير العظيم لخيتا (حاتى) ...... »

كما مثلت الملكة الحيثية على أحد التماثيل فى عاصمة الملك الجديد بتانيس ولقد آخذت الأسم المصرى : ماعت نفرو رع

ولقد لقبت الملكة الحيثية بلقب الزوجة الملكية، الزوجة العظمى ووضع اسمها داخل خرطوش وتبع ذلك دائما – عبارة – ابنة الحاكم العظيم لخيتا »

وكما يرى الباحث فإن هذا يعنى انها حصلت على مكانة رفيعة بالنسبة لوضعها كزوجة أجنبية وربما كان هذا مرجعه مكانة أبيها ودولته بين دول الشرق القديم. أيضا يلاحظ انها لم تأخذ أبدا بين ألقابها لقب :

« سيدة الأرضين »

بمعنى سيدة الأرضين، ربما بسبب انها لم تكن مصرية وحتى لا يمكنها ان تنقل حق الارث إلى أولادها.[1]

أيضا شهد عهد « رعمسيس الثانى » بعد ذلك زواجه من الابنة الثانية للملك الحيثى « حاتوسيل » حيث عثر بترى "Petrie, F.," على لوحة من الجرانيت الأسود بمبعد « قفط » ودل الجزء الباقى منها على أن « رعمسيس

(١) Gauthier, H., L.R., III, MIFAO, Tome 19 , P. 78 ; Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 229.

الثانى» قد كتب نقوشه بعد أن محا نقوش تخص الدولة الوسطى وهى تشير إلى زيارة قام بها بعض الأمراء الآسيويين لمصر يحملون هدايا إلى الفرعون والنص يتفق فى مضمونه مع نص لوحات الزواج السابقة حيث تمت الزيجة الأولى وخاصة فى عبارةبنته الأخرى سطر ١٠، ١١ مما يعنى أن أميرة أخرى قد أحضرت لتكون زوجة «لرعمسيس الثانى» والنص يبدأ كالتالى مع مراعاة أن النصف الأول من اللوحة قد فقد :

«.... [رؤساء] كل البلاد حاملين جزيتهم
[–] كثير من الذهب، كثير من الفضة،
والأحجار الكريمة من كل نوع [–] كثير جدا
من اسرى بلاد كشكش، كثيرا جدا من اسرى
[–] .... كتابات الفرعون «رعمسيس»
[–] كثير جدا من قطعان الماعز، كثير من
الماشية الصغيرة أمام ابنته الثانية، (   )
(رعمسيس الثانى) معطى الحياة لمصر للمرة الثانية ...»[١]

ولقد عثر على شقفة أخرى كبيرة بعد ذلك من نفس اللوحة أرسلت للمتحف المصرى بالقاهرة، حتى قام كل من الاستاذ جاب الله وكتشن «بنشر اللوحة كاملة التى تبدأ بذكر صفات «رعمسيس الثانى» حورس الثور القوى، محبوب ماعت، ملك مصر العليا والسفلى «وسرماعات رع» ستب أن رع ، ابن الشمس، رعمسيس محبوب آمون له الحياة، ثم تتحدث عن حضور رؤساء البلاد الأجنبية حاملين الجزية إلى رعمسيس الثانى ومن بينهم رئيس حاتى الذى أحضر الغنائم الثمينة من أرض حاتى، الغنائم الثمينة من كشكش، الغنائم

(١) Breasted, J. H., ARE, Vol. III, $ 427 - 28, PP. 187 - 188.

الثمينة من ارزاوا Arzawa ، ثم الغنائم الثمينة من قد Qode الكثير من الخيل، الكثير من قطعان الماشية، الكثير من قطعان الماعز، كل هذا أمام ابنته الأخرى، التي احضرها لـ « رعمسيس الثاني » مانح الحياة لمصر للمرة الثانية، ثم يمضى النص في توضيح أنهم لم يحضروا بالقوة وإنما قد حضروا بسبب آلهة مصر وآلهة البلاد الأجنبية لكى يحضروا (الجزية)، وهم الذين حملوها حتى حدود بلاد « رعمسيس الثانى » ولم يذهب أمير أوقوات مصحوبة بعجلات حربية لاحضارهم ولكن الاله « بتاح » والد الالهة الذى وضع كل الاراضى وكل البلاد الاجنبية تحت قدمى الاله الطيب ». (١)

ويبدو أن لوحة « قفط » تشير إلى زواج الفرعون من الأميرة الحيثية وتدل سطورها الأخيرة على استمرار العلاقات الودية بين الدولتين مع شئ من المبالغة فى تصوير ذلك الزواج على أنه نوع من الخضوع الحيثى لمصر كما حدث تماما فى لوحات الزواج الخاصة بالزيجة الأولى، وطبيعى أن الزيجة الأولى قد أخذت قدر أكبر من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بتصوير هذا الحدث حيث سجل الزواج الأول فيما لا يقل عن ثلاث لوحات زواج، أيضا فيما يتعلق بالزواج الثانى فيبدو أنه قد نقش فى أكثر من نص بدليل العثور على بقايا لوحة أخرى بالقرب من الصرح الأول بمعبد « سيتى الأول » بابيدوس بمقارنتها بلوحة قفط يتضح أنها لنفس الحدث، كذلك يمكن التدليل على ان الجزية أو المهر المقدم من حاتى سواء فى الزيجة الأولى أو الثانية إنما قد كان كبيرا جدا وهو ما يوضحه النص.

وبينما يرى البعض أن هذا الزواج السياسي إنما يعكس العلاقات الطيبة بين الدولتين والتى تدعمت بعد توقيع المعاهدة فى العام الحادى والعشرين من

---

(٢) Kitchen, K., and Gaballa, G.A., Ramesside Varia II, ZAS, Band 96, Berlin, 1969, Pp. 15 - 17.

حكم « رعمسيس الثانى » وأن الزواج الأول حدث بعدها بثلاثة عشرة عاما ثم تلاه الزواج الثانى « لرعمسيس » من ابنة الملك الحيثى وهو رواج شائع فى الشرق الأدنى القديم خلال تلك الفترة وما قبلها »

بينما يرى البعض ان هذا الزواج السياسى بين رعمسيس الثانى وبنات الملك الحيثى إنما يوحى بقوة ان القوى الحيثية بدأت فعلا فى التضاؤل، بالاضافة إلى تعاظم قوة آشور التى بدأت حينذاك عصرها الوسيط وبدأت تتطلع إلى نصيب من السيادة بفضل نمو اقتصادياتها وقوتها الحربية، وكفاءة شخصيات ملوكها العظام فى تلك الفترة مثل الملك « ادادنيرارى الأول (١٣٠٧ – ١٢٧٥ ق.م.) وابنة شالمانصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م.) وخليفته الملك توكولتى – نينورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق.م.)، وهو ما يميل إليه الباحث خاصة إن هذا الزواج حدث من جانب واحد ولم يحدث إن تزوجت أميرة مصرية إلى أى من أمراء الحيثيين وهو ما يعكس قوة مصر فى تلك الفترة التى سعى إليها الجميع من جديد يطلبون صداقتها والارتباط معها، ولذا وجدت عدة زيجات سياسية أخرى ضمن حريم « رعمسيس الثانى » حيث تزوج من احدى الأميرات البابليات يعتقد أنها ابنة خادشمان انليل الثانى وأيضا أميرة من سوريا الشمالية ابنة ملك يسمى زلابى Zulapi† ، وربما كان دافع بابل من هذه الزيجة ضمان حليف قوى، فى مواجهة قوة آشور المتزايدة، بينما كان دافع الأمير السورى دافع مادى. [١]

---

(١) Seipel, W., Op. Cit., LÄ, Sp. 1106 .

وكذا :

Schulman , A.R., Op. Cit., P. 187 .

الملك مرنبتاح :

توفى رمسيس الثانى بعد حكم طويل بلغ نحواً من ٦٧ عاماً، وشهرة لم يحظ بمثلها اى فرعون آخر، وخلفه مرنبتاح الذى كان فى حوالى الستين من عمره حينما اعتلى العرش بدون اى صعوبات على ما يبدو، إذ تم اختياره بمعرفة ابيه، وبذل جهودا مشكورة فى سبيل المحافظة على الامبراطورية، ففى السنة الثالثة من حكمة هبت ثورة عاتية بمستعمرات مصر الأسيوية، واشترك فى هذه الثورة قبائل بنى إسرائيل وأهالى غربى سورية وفلسطين التى كانت خاضعة لمصر، ولقد نجح « مرنبتاح » فى اخماد الثورة ويبدو أنه قد اشترك بنفسه فى اقماع الثورة، وسجل انتصاره على لوحة ورد بها اسم اسرائيل لأول مرة، مما دعا إلى الاعتقاد بأنه هو الفرعون المعاصر لموسى عليه السلام، ولكن لا يمكن تأييد هذا الاستنتاج أو غيره من الفروض التى رأت فى بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة أمثال : أحمس الأول، امنحوتب الثانى، تحوتمس الثالث وغيرهم من الشخصيات التى ارتبطت بفرعون الخروج، وكل مانعلمه الآن هو مجرد استنتاجات وافتراضات، والله وحده علام الغيوب.

كذلك نجح « مرنبتاح » فى العام الخامس من حكمه من حماية الحدود المصرية فى غربى الدلتا من الهجوم الخطير الذى شنه عليها الليبيون (التحنو) وحلفاؤهم من الشعوب الهندو أوربية التى تجمعت على الساحل الليبيى ثم اتجهت مع القبائل الليبية فى مسيرة نحو الحدود المصرية غرب الدلتا ، وانتهت تلك المواجهة بانتصار الجيوش المصرية، وقتل عدد كبير من القوات الغازية، وأسر عدد كبير منهم، وبذلك تم وقف كل هجوم من تلك الناحية على مصر فى عهد « مرنبتاح » على الأقل.

ولم يطل حكم مرنبتاح أكثر من عشر سنوات مات بعدها وترك العرش ومصر فى فترة مضطربة بسبب النزاع العائلى الذى ظهر فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة.

الملكة تاوسرت ونهاية الأسرة التاسعة عشرة :

أعقب موت «مرنبتاح» وحتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (١٢١٤ - ١١٨٤ ق.م.) فترة من الاضطرابات ، حدثت فيها منازعات شتى حول العرش، حيث اضطربت الأحوال الداخلية، وتتابع ثلاثة من الملوك وملكة فى نهاية الأسرة ، حكموا جميعا لفترات قصيرة ، وتناول أمر تتابعهم والعلاقة التى تربط بينهم جدل طويل من علماء المصريات حتى نادى البعض بوجود مشكلة وراثة للعرش مثل مشكلة حتشبسوت والتحامسة وذلك بسبب المحو المستمر للخراطيش الملكية والذى استمر حتى بداية الأسرة التالية لهذه الفترة .

وبينما يرى البعض أن ترتيب الملوك فى تلك الفترة المضطربة كان على النحو التالى أمنموس، سيتى الثانى، سخع ان رع رمسيس سبتاح الذى غير اسمه فيما بعد أثناء حكمه إلى أخزح مرنبتاح سبتاح [١]، ثم الملكة تاوسرت[٢].

غير أن ترتيب الملوك الثلاثة تكتنفه صعوبات وخاصة أن رعمسيس الثالث (١١٨٤ - ١١٥١ ق.م.) ثانى ملوك الأسرة العشرين فى نقشه بمعبده الجنزى بمدينة هابو قد حذف اثنين منهما، حيث تبع رعمسيس الثانى كل من سيتى الثانى، ست نخت ثم رعمسيس الثالث وهذا يعنى أن سيتى الثانى فقط يعتبر من الحكام الشرعيين بينما الاثنين الآخريين غير شرعيين [٣].

لذلك يرى البعض فى سيتى الثانى خلف مباشر لأبيه مرنبتاح، وخاصة بعد العثور على تمثال موجود الآن بمتحف القاهرة (رقم ٦٣٣) وفيه مرنبتاح مع أبنه

---

(١) Von Beckerath, J., "Queen Twosre as Guardian of Sipth ", JEA, Vol. 48 , 1962 , P. 70.

(٢) Faulkner, R.O., " Egypt From the Ineqation of the Nineteeth Dynasty to the Death of Ramisscs III, CAh, Vol. II, Part 2 A,P. 235.

(٣) Von Becherath, J., Op. Cit., P. 70.

سيتى الثانى[١]، بالإضافة إلى نقش معبدها برزفيه اسم سيتى الثانى تالى لأسم مرنبتاح .

وهناك لوحتان فى القرنة بطيبة الغربية يوجد عليها اسم « امنموسى » ولكنه ازيل بمعرفة « سيبتاح » ووضع اسمه مكانه، مما يبدو أن الأخير قد جاء بعد أمنموسى بينما جاءت الملكة « تاوسرت » فى نهاية الأسرة ويعنى هذا ان التعاقب كان على النحو التالى : سيتى الثانى ، أمنموسى، وسيبتاح الملكة تاوسرت[٢].

لكن هذا الترتيب لم يقبل به الكثيرين من علماء المصريات حيث أن هناك أدلة ان سيبتاح قد خلف سيتى الثانى، كما أن البعض يعتقد أن « أمنموسى » قد سبق سيتى الثانى، اعتمادا على بردية موجودة الآن بالمتحف البريطانى (بردية سولت Salt) تحت رقم ١٠٠٥٥ ، وتبدأ البردية بحديث «آمون نخت » ابن رئيس العمال « نب نفرو » والذى بموته فقد عين أخيه « نفر حتب » مكانه ولكنه قتل بواسطة العدو (يقصد باتب) وهو رئيس عمال كان مؤيدا من الوزير حيث يشير النص.

« ... باتب اعطى خمس من تابعى أبى إلى « ب رع أم جاب » الذى كان وزيرا (فوضعه مكان ابى) وعند وفاة الملوك (—) فإن باتب قد سرق أشياء تخص الملك سيتى مرنبتاح (سيتى الثانى) (—)

من مخزن الملك سيتى مرنبتاح، ثم أخذ غطاء ؟ عربته قطع يد (—) الكاتب .

---

(١) Buttles, J., Op. Cit., P. 158 .

(٢) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 236 ; Gardiner, A., "Only one King Siptah and Twosre not his wife ", JEA., Vol., 44 , 1958 , P. 16.

(– خمسة – للباب : ولكن وجدوا اربعة منهم، وأخذ لنفسه واحدة ... ثم اخذ لنبيذه وجلس على التابوت الخاص بالفرعون بالرغم من انه كان مدفونا بداخله .... » . (١)

ثم يمضى « امون نخت » فى توجيه انهاماته إلى « بانب » حيث يتضح أنها جرائم لا حصر لها من قتل وإنتهاك حرمة معابد الألهة وثلاثة من مقابر الأفراد وإنتهاك عرض امراة ، وهى ادلة على مدى ماوصل إليه الفساد الإدارى والخلقى فى تلك الفترة ، غير أن ما يهمنا أن « نفر حتب » قبل وفاته قد تقدم بشكوى حيث يشير النص :

« رئيس العمال « نفر حتب » احضر شكوى ضده (بانب) أمام الوزير امنموس، فانزل عليه العقاب ثم احضر شكوى ضد الوزير امام موسى، الذى طرده من منصب الوزارة .... » (٢).

ويتضح من النص ان الوزير قد خلع من منصبه بواسطة موسى، والوحيد الذى يستطيع ان يعزل الوزير هو الفرعون نفسه، فعلى ذلك فإن هذا الشخص إنما كان اختصار لاسم الفرعون، ويفترض البعض ان موسى هو (أمنموس) وإن اسم موسى هو اختصار لاسمه مثلما كان يطلق على « رعمسيس الثانى » اسم « سسى » ، وهكذا فإن أمنموس قد سبق سيتى الثانى على العرش .

وعلى الرغم من انه لم يتأكد بصفة نهائية إذا كان « أمنموس » هو موسى الوارد اسمه فى البردية وبالتالى وضعه كخليفة لمرنبتاح بسبب عقاب منها وجود نقش على قاعدة تمثال فى « ليفربول » سجل عليه اسم « سيتى الثانى » ثم أزيل

---

(١) Cerny, J., "Papyrus Salt 124. (brit. Mus 100 55", JEA, VOl. 15, 1929, PP. 244- 245.

(٢) Ibid., P. 246 .

ووضع مكانه اسم « آمنموس» وفى هذا إشارة إلى أن أمنموس قد جاء بعد سيتى - صاحب الاسم الأصلى .

غير أن هنا قطعة من اللخاف (رقم ٢٥٥١٥) موجودة الآن فى المتحف المصرى تسجل وفاة «سيتى» وارتقاء سيبتاح بعده [١] ، بالاضافة إلى اتفاق علماء المصريات على أن سيبتاح كان ترتيبه بعد سيتى الثانى. وبذلك يكون الترتيب كالتى : أمنموسى ، سيتى الثانى، سيبتاح ، تاوسرت [٢].

فالبعض يرى أن مصر بعد عهد « مرنبتاح» كانت فى حالة اعياء وفقر شديد، ربما بسبب الحروب المستمرة التى اضطر « رعمسيس الثانى» وابنه « مرنبتاح» إلى خوضها بالاضافة إلى أن الأول قد استنفذ موارد البلاد فى انشاءاتها العديدة واستنفاذ موارد البلاد الاقتصادية فى تلك الانشاءات، كل هذه الأمور أدت إلى اضطرابات داخلية شمل منطقة طيبة واستغل « أمنموسى» هذا الوضع ونادى بحقه فى العرش مطلقا على نفسه «آمون موسى» أى مولود آمون مكونا حكومه فى مصر العليا، اعترف بها أهل طيبة [٣]، وإن كان هذا الكلام يبدو مقبولا بالنسبة لاضطراب الأحوال والصراع على العرش إلا ان الشئ الغير مقبول هو انقسام مصر إلى دولتين ووجود حكومة فى مصر العليا اعترف بها أهل طيبة دون سواهم، الأمر الذى لم يقل به أحد من المؤرخين لعدم وجود أدلة تدعمه برغم ضعف ملوك تلك الفترة وقصر مدة حكم كل منهم مما أدى إلى اضطراب الأمور وتعقيدها [٤].

---

(١) Aldred, C., "The Parentage of King Siptah", JEA, Vol. 49, 1963, P. 44.

(٢) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 237 .

(٣) ا. شارف : المرجع السابق، ص ١٥٩ .

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

أما عن أول هؤلاء الملوك « أمنموسى » فإن سلسلة نسبة غير مؤكدة وبالتالى علاقته بالأسرة المالكة، أمة « تاخعت » (تاخاعه) ربما ابنة أو صفية لـ « رعمسيس الثانى » حيث حملت لقب الابنة الملكية ، الزوجة الملكية الكبرى، وربما كان هذا هو السبب فى تطلعه للعرش، وفى مقبرته رقم عشرة بوادى الملوك والتى تعرضت للتخريب من جانب أعدائه، يوجد بجانب اسم أمه أسم ملكة يعتقد انها زوجته تدعى باكت ورل B3kt - wrl [(1)]، وكذلك اسم « تيا » والبعض يرى أن الأخيرة يمكن أن تكون أما لسيبتاح .

حكم أمنموسى لمدة قصيرة وتميز عهده بالاضطراب إذا صح نسب بردية ساليه إليه، وربما يكون قد توفى أو خلع فى السنة الخامسة من حكمه لصالح « سيتى الثانى » [(2)].

---

(١) Faulkner , R.O., P[. Cit., P. 236 ;
Aldred , C., Op. Cit., PP. 46 - 47 ;
Gauthier , H., L.R., III, P. 130 .

(٢) Von Becherath, J., " Amenmesse", LAI, Sp. 201 .

سيتى مرنبتاح «سيتى الثانى» :

هذا وقد ذكر أبوه مرنبتاح على الآثار باعتباره الملك الشرعي وخاصة بمدينة هابو حيث اعتبره رعمسيس الثالث هو الوريث الشرعى لمرنبتاح [(١)]، وقوى من شرعية اعتلائه العرش بالزواج من تاوسرت التى اعتبرت الوراثية الملكية واحتمال انتمائها إلى نفس فرع عائلة زوجها وقد انجب ابن أطلق عليه «سيتى – مرنبتاح» وكذلك ابنة توفت هى وأخوها أثناء حياة «سيتى الثانى» لذلك لم يترك وريث له [(٢)]، وإن كان البعض يعتقد أن «سيتى الثانى» قد تزوج أولا من «تاخعت» ابنة رعمسيس الثانى من زوجة ثانوية وبوفاتها تزوج من «تاوسرت» وهو رأى لا يعتمد على أدلة واضحة [(٣)].

وكانت مدة حكم «سيتى الثانى» قصيرة إذ توفى فى العام السادس من حكمه طبقا لنص الشقفة رقم ٢٥٥١٥ الموجودة الآن بمتحف القاهرة حيث توفى فى اليوم التاسع عشر من فصل برت (فصل الشتاء) فى العام السادس ... أن الصقر (الفرعون) قد طار إلى السماء واعتلى آخر عرشه» [(٤)].

وبرغم قصر مدة حكمه إلا أنه ترك بعض الآثار منها مقبرته فى وادى الملوك وتحمل رقم ١٥ ، وكذا قام ببناء جنزى له لم يبق منه شئ الآن، كما أنه بنى معبدا صغيرا بالكرنك، كما أكمل معبد الاله «تحوت» في الأشمونيين

---

(١) Aldred , C., Op. Cit., P. 43 ;
Hall , H.R., The Ancient History of the Near East, London , 1963 , P. 378 .

(٢) Aldred, C., Op. Cit., P. 47 .

(٣) Petrie, F., "Notes on the XIXth , and XXth Dynasties", PSBA, Vol. 26, 1904, P. 37 .

وكذا : عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٧٤٩ .

(٤) Gardiner, A.H., "The Delta Residence of the Ramessides", JEA, Vol. 5, 1919, P. 190 ff.

والذى كان قد بدأ فيه جده « رعمسيس الثانى » بالاضافة إلى بعض آثار أخرى متفرقة [(١)].

خلف سخع ان رع رمسيس (رمسيس سبتاح) ، الفرعون سيتى الثانى والعلاقة بين هذين الملكين شأنها بين الملوك الأواخر فى الأسرة التاسعة عشرة يكتنفها الغموض ، ولقد بات من المؤكد الآن أن هذا الفرعون وابتداء من العام الثالث قد غير لقبه إلى « اخن رع ستب ان رع مرنبتاح » (مرنبتاح سبتاح » [(٢)]. ربما ليكون ارتباطه أكثر قربا بالسلالة الملكية القديمة [(٣)].

ومن خلال المحتويات الجنازية التى عثر عليها فى المقبرة الخاصة بسيبتاح بوادى الملوك المقبرة رقم ٤٧ ، أمكن التوصل إلى أن أم هذا الملك هى الملكة تيعا ، حيث عثر على شقفة من الألباستر من صندون أحشاء كانوبى – موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيوريوك تخص الزوجة الملكية « تيعا » كذلك عثر على قطعة خشبية موجودة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة « تحت رقم ٣٨٧٧٨ » مرسوم عليها باللون الأزرق لقب الأم الملكية « تبعا » مع ملاحظة تهشم الخرطوش الخاص بها .

---

(١) Aldred, C., Op. Cit., P. 44.
Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 237 .

(٢) عن توحيد اسمى « رعمسيس سيبتاح » و « مرنبتاح سيبتاح » وتولية بعد « سيتى الثانى » قد أصبح مؤكدا من مقارنة أسماء كبار الموظفين المعاصرين للفراعنة ، فلقد عين نائب الملك فى كوش « سيتى » فى السنة الأولى من عهد « رعمسيس سبتاح » وأنه كان لا يزال فى وظيفته فى السنة الثالثة من حكم « مرنبتاح سبتاح » .

انظر :

Gardiner, A., Only one king sipah and Twosre not his wife, P. 13;
Hayes, W., The Scepter of Egypt, Part II, P. 355 .

(٣) Gauthier, H., L.R., P. 148 .

ولقد استنتج « الدرد » نتيجة لذلك ان « تيعا » لم تكن زوجة ملكية فقط وإنما كانت أيضا أم ملكية، وهذا يعني أنها لم تكن زوجة « لسيبتاح » ولذلك فهي يجب أن تكون أم سبتاح، وخاصة بعد العثور على أشياء تخصها فانها قد دفنت في مقبرته، وهذا الشرف الكبير لا يمنح لامرأة عادية، وطالما أنها ليست زوجته فهي أمه [١].

أما عن والد « سيبتاح » فيعتقد البعض انه « أمنموس » ، الذى تولى العرش في الفترة ما بين « مرنبتاح » و « سيتي الثاني » [٢]، ومن الواضح أن اعتلاء سبتاح العرش قد تم في ظروف لم يكن للفرعون المتوفي « سيتي الثاني » ابن لكي يخلفه، فخلفه « سيبتاح » الذى كان صغيرا في السن عند اعتلائه العرش بمساعدة من أحد الموظفين ويدعي باى [٣]، الذى ترك أكثر من لوحة تدل على مقدار ما يتمتع به من نفوذ وأنه كان له دور هام في تثبيت عرش هذا الملك، ففي لوحة اسوان التي تضمنت مديح من حاكم كوش للملك، فإنها أيضا لم تغفل القاب باى فهو :

---

(١) Aldred , C., Op. Cit., PP. 41 - 42 ;
Breasted , J., ARE., Vol. III, P. 247 .

(٢) Aldred, C., Op. Cit., P. 43 .

(٣) باى :

كان يشمل وظيفة « حامل الختم » وتدل أهميته من اللوحتين اللتين وجدتا في أسوان ، وفي السلسلة حيث يشاهد في كل منها الملك « سيبتاح » وخلفه « باى » حامل الختم، وتشير إليه النقوش بانه « الذى ثبت الملك على عرش والده، ومن يحبه الملك »، كما وجد اسمه على كثير من محتويات المعبد الجنزى للملك سيبتاح، ولعل في وجود قبر له في وادى الملوك ما يشير إلى مدى الأهمية التي نالها والحظوة التي جعلته يقيم لنفسه مقبرة مثله مثل الملوك ، ويبدو انه كان أجنبي انتحل لنفسه اسما مصريا ذلك انه منذ منتصف الأسرة التاسعة عشر أصبح من الأمور العادية أن يشغل هؤلاء الأجانب الوظائف الكبيرة في القصر الملكي ، انظر :

Von Bearckerath, J., Queen Twosre as Guardian of Siptah , P. 70 ;
Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 238 .

« حامل الختم الملكى، والسمير الوحيد، البعيد عن الكذب مقدم الحقيقة، الذى ثبت الملك مكان والده ، الرئيس العظيم للمالية لكل البلاد رعمسيس « خع تروباى » (رعمسيس المضئ بين الالهة) باى » [١].

وفى نقش آخر « بجبل السلسلة » يظهر فيه باى خلف الملك « سيبتاح » الذى يقدم الورود للاله « آمون » ولم يغفل النقش بجانب الدعاء للملك ان يدعو لباى على عظيم خدماته وتأييده :

والدعاء « لباى » فى نفس اللوحة :

« ... تقديم الدعاء إلى آمون رع، والطاعة إليه (كآمون) ليحفظ ابنه، ملك الأرضين « اخن رع ستب ان رع » (سيبتاح) ...

« ... ليتهما (آمون والملك) تقديرا للحق يكافئانه (للعدل) الحياة السعيدة والقلب السعيد الملئ بالبهجة ، والصحة، من أجل (كا) نفس الرئيس العظيم للمالية بكل الأراضى، الذى ثبت الملك على عرش أبيه، ومن يحبه (الملك) باى ... [٢].

ويتضح من النص الدور الذى لعبه « باى » لتأييد الملك « سيبتاح » الذى تزوج من الوريثة الملكية ، أرملة « سيتى الثانى » الملكة « تاوسرت » الشخصية الرئيسية فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة [٣].

كذلك فإن نقش باى الذى يصف بانه أجلس « سيبتاح » محل أبيه تجعل البعض يفترض ان أباه هو الملك « امنموسى » ، لأنه ليس ابنا لأى من « سيتى الثانى » أو « مرنبتاح » بسبب عدم شرعيته هو وأبيه « امنموس » فى نقوش معبد مدينة هابو لرعمسيس الثالث [٤]، ومن خلال نقوش مقبرة الملكة « تاوسرت »

---

(١) Breasted, J.H., ARE, II $ 647 , P. 278 .

(٢) Ibid., $ 648 , 649, PP. 278 - 279 .

(٣) Aldred, C., Op. Cit., P. 43 .

(٤) Ibid., P. 45.

يتضح أنها كانت زوجة «لسيبتاح» الذى يبدو أنه قد تزوج أرملة سلفه «سيتي الثاني» لكي يدعم شرعيته للعرش [1]، كذلك احتمال أن تكون «تاوسرت» وصية على «سيبتاح» وذلك بعد أن نشر «بيقرات» أحد التماثيل للملك سيبتاح «التمثال رقم ١٢٢ من مجموعة Munich Glytobbhek» نقش غائر صورة لملك لا يجلس على العرش وإنما يجلس على حجر وجه آخر وضع ذراعه حول ظهر الملك والوجه غير واضحة معالمه بسبب سوء حالة التمثال، ولقد أمكن التعرف علي اسم الملك (اخن رع ستب ان رع مرنبتاح) «سيبتاح» الذى كان لا يزال صبى صغير ومثل يجلس على حجر القائمة بالوصاية عليه، والتى يميل الناشر إلي أن تكون الوصية عليه «تاوسرت» ، واستبعاد «باى» بسبب عدم وجود أدلة على جلوسه على العرش، ويبدو أن الملك «سيبتاح» كان سهل الانقياد لصغر سنه لكل من باى وتاوسرت [1].

ولقد جرت العادة أن وادى الملوك بالبر الغربى من طيبة كان مخصصا لدفن فراعنة مصر من الملوك الرجال خلال عصر الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر، وحتى نهاية الدولة الحديثة ، وكان هناك مكان آخر نطلق عليه وادى الملكات عثر به على أغلب مقابر الملكات وبعض الأمراء من البنات والأولاد الذين ينتمون للأسرة الملكية الحاكمة.

بالنسبة للملكة تاوسرت [1]. T3 - Wsrt التى حملت من الألقاب[2]:

---

(١) Von Beacrath, J., Op. Cit., P. 71 .

(٢) Ibid., P. 73

بينما لا يوافق الدرد Aldred, C. على هذا الرأى ويرى أن الصورة التى محيت لا تخص الملكة «تاوسرت» ، بسبب أن «تاوسرت» تظهر فى النقوش الخاصة بمقبرتها تتبع الملك «سيبتاح» ، وإنما يميل إلى أن صاحب الوجه الجالس على حجر الملك هو والده الملك «أمنموس» أنظر :

Aldred, C., Op. Cit., P. 46 .

أنظر : Gauthier, H, L. R., III, P. L 46

(٣) Ibid., P. 146 ;

Buttles, J., Op. Cit., P. 159 .

الزوجة الملكية

الزوجة الملكية العظمى

سيدة الأرضين

كما حملت تاوسرت أيضا لقب الزوجة الالهية [1].

بالاضافة إلى لقب « الأميرة الوراثية » [2].

وتدل نقوش المقبرة (رقم ١٤) بوادى الملوك أن المقبرة قد اقيمت أصلا للزوجة الملكية العظمى « تاوسرت » حيث كانت الشخصية الرئيسية الممثلة فيها كزوجة ملكية عظمى، كما مثل زوجها على الحائط اليمين من المدخل وبجانبه زوجة الملكة « تاوسرت » يقدمان العطايا لاله الأرض « جب »، وعلى الحائط المقابل فإن هذا الملك يظهر يقدم رمز الالهة « ماعت » آلهة الحق إلى الالهة ايزيس.

ويرى « جاردنر » أن الملك الأول الذى كان ممثلا مع الملكة هو « سيبتاح » بينما قام « سيتى الثانى » بمحو صورته وخراطيشه، وأحل محلها النقوش الخاصة به واضاف غيرها فى المساحات الخالية لنفسه [3].

بينما يرى « ايرتون » أن الملكة « تاوسرت » قد تزوجت من « سيتى الثانى » باعتبارها الوريثة وبدأت مقبرتها ومعبدها في طيبة، وأنها قد حكمت وحدها لمدة قصيرة، استطاع بعدها « أمنموسى » خلعها واغتصاب العرش لنفسه وإلى أن

---

(١) Sander- Hansen, C.E., Das Gottsweib Des Amun, No 15, P. 7.

(٢) Gardiner, A., "The Tomb of Queen Twosre", JEA, Vol. 40, 1954, P. 42.

(٣) Ibid., PP. 41 - 42.

استطاع « باى » بمساعدة « تاوسرت » أن يزيحه ويضع مكانه « سيبتاح » الذى يمكن أن يكون ابنا « لتاوسرت » [١].

وبما أن الأدلة المتوافرة ترجح أن « سيتى » كان أسبق من « سيبتاح » في الجلوس على العرش، فإن إحلال اسمه فى مقبرة الملكة قد يكون بفعل الملكة نفسها التى تفضل أن تمثل مع الملك « سيتى الثانى » زوجها الأول.

كما يرى البعض أن خليفة « سيتى الثانى » هو « سيبتاح » الذى تزوج من أرملة الأول الملكة « تاوسرت » [٢]، وبوفاة « سيبتاح » استطاعت الملكة « تاوسرت » أن تجلس على العرش لتكون رابع ملكة فى تاريخ مصر الطويل تحمل الألقاب الكاملة للملك الحاكم [٣]، وتاريخ حكمها غير محدد وآخر تاريخ معروف لنا هو العام الثامن حيث عثر على اسمها منقوشا على بقايا أوستراكا موجودة الآن بمتحف القاهرة (لخافه رقم ٢٥٢٩٣) ويتفق كثير من علماء المصريات بأن الأعوام الستة لحكم « سيبتاح » كانت ضمنها ، ربما لأنها كانت وصية عليه أثناء حكمه، كما أن نائب الملك فى النوبة والذى كان معاصرا لسيبتاح كان موجودا فى بداية الأسرة العشرين، مما يعنى أن حكمها المنفرد كان قصيرا جدا [٤]، وقد عثر « بترى » على بقايا معبدها الجنزى إلى الشمال من معبد « مرنبتاح » للأسف لا يوجد منه إلا بقايا الأساس، وبعض الجعارين [٥]، التى تحمل اسمها بدون الألقاب ، وبعض الأوانى الفخارية،

---

(١) Ayrton, E.R., "The Position of Tausert in the XIXth Dynasty", PSBA., Vol. 28, 1906, P. 189.

(٢) Hayes, W., The Scepter of Egypt, Vol. II, P. 356.

(٣) Von Becherath, J., Handbuch der Agyptischen Konigsnamen, P.92.

(٤) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 239.

(٥) Petrie, F., Op. Cit., P. 128; Hayes, W., Op. Cit., P. 358.

وبعض نماذج من اطعمة مخصصة لموائد القرابين صور بط مطلية ، رؤس ثيران، وازهار لوتس، بالاضافة إلى ثلاث لوحات حجرية ، نقش على اثنين منها اسماء « تاوسرت » كملك تحكم بمفرها» ... « منزل ملايين السنين لملك مصر العليا والسفلى ، ست رع مريت آمون ، ابن رع تاوسرت ستب تن موت فى ممتلكات آمون ».

وفى اللوحة الثالثة يوجد خرطوشان « لتاوسرت » مسبوق كل منهما بعبارة « ملك الأرضين » ، كذلك جاء ذكرها فى مناجم الفيروز بسرابيط الخادم مما يشير إلى استمرار حملات البحث عن المعادن فى سيناء (١).

أما عن مقبرتها بوادى الملوك فقد اغتصبها « ست نخت » مؤسس الأسرة العشرين ، حيث قام باستبدال الخراطيش الموجودة بالمقبرة بخراطيشه، ومن الواضح أنه قد دفن بها وخاصة بعد العثور على خرطوشه الموجودة على تابوته المهشم – ربما بفعل اللصوص فيما بعد – فى مقبرة « تاوسرت » (٢).

أما عن نهاية الملكة « تاوسرت » فلا زالت الأدلة غير مؤكدة ، ويبدو أن حالة من الاضطرابات والفوضى والتنازع على العرش أعقبت « تاوسرت » مما أدى إلى فوضى شاملة وصفتها بردية « هاريس » التى تؤرخ نهاية الأسرة التاسعة عشرة ومجئ الأسرة العشرين حتى نهاية حكم رمسيس الثالث، والموجودة الآن بالمتحف البريطانى (تحت رقم ١٠٠٥٣) ، وبرغم المبالغة التقليدية ، إلا أنها تعكس حالة عدم الاستقرار التى سادت مصر ، حيث يشير النص :

« أرض مصر قد اضطربت ، وأصبح كل رجل يعتقد أنه على صواب ، ولم يكن لهم حاكم لعدة سنين يتحدث باسمهم وأصبحت البلاد فى أيدى الأمراء وحكام المدن، (أصبح) الرجل يذبح صاحبه (ايرسو) سورى، معهم جعل

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٧٥١ .

(٢) Gardiner, A., Op. Cit., P. 41 .

نفسه أميرا ، وأرغم البلاد أن تدفع له الجزية، وسمح لأصدقائه بأن ينهبوا ممتلكات المصريين، وعامل الآلهة كما يعامل الناس ، ولم يقدم أى هبات للمعابد » [١].

وقد استنتج المؤرخون من هذا النص أن « أرسو » السورى قد حكم البلاد فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وإن اختلفوا فى وضعه فهناك من يراه ملكا وهناك من يراه مجرد حاكم وليس ملك، بل أن هناك من ينكر وجود « أرسو » لأن كلمة « أرسو » إنما تعنى « الذى صنع نفسه » وبالتالى فهى صفة لأحد الحكام الأواخر فى الأسرة التاسعة عشرة [٢]، واحتمال كونه الملك « سيبتاح » الذى يبدو أن اسمه الأصلى « أرسو » [٣]، وربما كان « باى » الشخصية المؤثرة فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة بدليل مقبرته فى وادى الملوك، وإحتمال أنه من أصل سورى انتحل الاسم المصرى، وتشير نصوصه إلى أنه كان صاحب اليد العليا فى إحلال « سيبتاح » على العش، وربما إنتهز اضطراب الأحوال بعد وفاة الملكة الفرعون « تاوسرت » واغتصب العرش ، حتى استطاع الفرعون « ست نخت » حوالى (١١٩٧ ق.م.) أن يعيد الأمور إلى نصابها وأن يعتلى العرش مؤسسا أسرة جديدة ويعيد تنظيم البلاد من جديد وهو ما صورته بردية هاريس :

« . . ولكن عندما التفتت الالهة إلى نفسها لكى يظهروا الرحمة ويصححوا الأوضاع فى البلاد كما كانت من قبل، نصبوا أبنهم الذى جاء من صلبهم ليكون حاكما – له الحياة والسيادة والصحة – على جميع البلاد ، على عرشهم الكبير وسر – خنو – رع ستب ان رع مرى آمون (الملك ست نخت) . . . لقد أعاد البلاد الثائرة كلها إلى النظام، وقتل الذين كانوا فى مصر وطهر غرش مصر العظيم [٤].

---

(١) Wilson, J., "A Syrian Linterregnum", ANET, P. 260 .

(٢) Hayes, W., Op. Cit., P. 363 .

(٣) Von Beckerath, Wueen Twosre as Gardian of Siptah, P. 71 .

(٤) Wilson , J., Op. Cit., P. 260;
Breasted, J., ARE, IV, $ 398 - 99. PP. 198 - 199.

الأسرة العشرون

استطاع الفرعون «ست نخت» حوالى ١١٩٧ ق.م. أن يعتلى العرش مؤسسا للأسرة العشرين، متوليا عرش مصر لفترة قصيرة، اختلف عليها العلماء، فمنهم من يرى أنه قد تولى لفترة قصيرة لا تزيد عن بضع شهور، بينما يرى «برستد» عام واحد فقط، بينما يرى «جاردنر» أنها كانت أقل من عامين، بينما هناك عدد من العلماء يرى أنه استمر فى الحكم لمدة ثلاث سنوات، وقبل وفاته عين ابنه رمسيس الثالث شريكا له فى الحكم.

رمسيس الثالث (١١٨٦ – ١١٥٤ ق.م.)

حكم حوالى ٣٢ عاما، واعتبره «مانيتون» المؤسس الحقيقى للأسرة العشرين، وهو آخر الفراعنة العظام أمثال تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى فى عصر الدولة الحديثة، الأربع سنوات الأولى من حكمه غير واضحة وتنقصنا المعلومات، ولكن ابتداء من العام الخامس وحتى العام الحادى عشر كانت هناك ثلاثة من الحروب الرئيسية، مصدرنا عنها الأول مناظر ونقوش معبده الشهير فى غرب طيبة (معبد مدينة هابو) الذى قام ببنائه فى السنة الثانية عشرة من حكمه.

حيث واجه فى العام الخامس من حكمه خطر جيش من الليبين وحلفائهم الذين سبق وهزمهم مرنبتاح من قبل، وهدفهم الحقيقى الإستيلاء على الأراضى الغنية فى الدلتا والطمع فى خيرات مصر، لكن رمسيس الثالث نجح فى ايقاع الهزيمة بهم.

وفى العام الثامن من حكمه واجهت مصر خطر شديد داهم آت عن طريق سورية، من تلك العناصر المسماة شعوب البحر، التى تتحدث عنهم النقوش المصرية «... (دبروا مكيدة فى جزرهم، لم تستطيع البلاد (الأخرى) التصدى

لهم، قاموا بغزو بلاد خاتى وقرقميش وأرازوا وبعض البلاد الأخرى .... »

وتكونت شعوب البحر من عناصر عدة منها : البلست (الفلسطينيون)، والشيكل (صقلية)، والشكلش، دنان ، المشواش وغيرهم، وقد اتت تلك العناصر من جزرهم فى وسط المتوسط، ولقد نجحوا فى زحفهم فى تحطيم الدولة الحيثية، بعد ذلك وصلوا إلى بلاد آمور (سورية) وضربوا خيامهم ولبثوا هناك فترة ومعهم نسائهم واطفالهم راغبين فى الاستقرار فى مصر وسورية، وكان الهجوم على مصر بطريق البر والبحر، لكن رمسيس الثالث نجح فى كسر شوكتهم وهزيمتهم حيث قتل منهم أعداد كبيرة بلغت اثنى عشرة ألفا وخمسمائة نسمة، واسر عدد كبير واستولى علي كثير من السفن والمؤن ثم سجل الملك هذا الانتصار الكبير على جدران معبده فى مدينة هابو وفى العام الحادى عشر من حكم رمسيس الثالث ظهرت مشاكل الليبيين الذين اتحدوا بزعامة اميرهم « مششر »، ابن ملك المشواشين» كبر، وكان هدفهم الانتقام لما حل بهم من هزيمة من قبل – فى العام الخامس من حكم رمسيس الثالث – والهجرة والاستيطان بالدلتا.

وتصدى لهم رمسيس الثالث » مع جيشه، وبمساعدة الحاميات والحصون المصرية الامامية، انزل بهم الهزيمة وتعقبهم بجيوشه حتى تأكد من خروجهم تماما من أرض مصر، وانتهت هذه المعركة بقتل « مششر» وأسر والده، وقتل واسر عدد كبير من هؤلاء المتطفلين مثيرى الشغب، ولم يعد هناك بعد ذلك مجال للخوف من جهة الغرب.

هذه الانتصارات جعلت من رمسيس الثالث فى نظر معظم المؤرخين آخر فراعنة الدولة الحديثة العظام، وجعلت مصر بعد العام الحادى عشر من حكمه تنعم بفترة من السلام والاستقرار تحدثت عنها بردية هاريس.

غير أن هناك اشارات في السنين الأخيرة من حكم هذا الفرعون العظيم يبدو أنها قد هددت حكمه ، وربما كان مرجعها أسباب اقتصادية، ذلك أن النصف الثاني من عهده إنما كان اقل رخاء من النصف الأول بسبب الحروب المتكررة ومشاريع البناء الكثيرة ذلك ان العالم كان يشرف على عصر اقتصادى جديد بسبب انتهاء عصر البرونز وبدأ عصر استخدام الحديد الذى لم تكن مصر تملك مصادره، ومن ثم كان عليها ان تشتريه من الخارج الأمر الذى أرهق ماليات البلاد(١) ، بدرجة شديدة جداً، بالاضافة إلى المنح الهائلة والهدايا التى ذكرتها بردية هاريس والتى اغدقها الفرعون على جميع المعابد المختلفة والتى خص الاله آمون ومعابده فيها نصيب هائل بحكم كونه الاله الرسمى للدولة، مما كان له الأثر السيئ على اقتصاد مصر، وربما تسببت الأزمة الاقتصادية وسوء الادارة، وكذا المنازعات السياسية التى بدأت تظهر فى اخريات عهد هذا الفرعون بقيام عمال الجبانة الملكية فى دير المدينة بالقيام بأول اضراب وصلتنا اخباره فى التاريخ من خلال بردية (موجودة الآن فى متحف برلين) وكذلك شقفه من دير المدينة : ذلك أنه فى العام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث اضطر العمال بعد أن مضى شهر أن دون ان ترفع لهم مخصصاتهم التموينية أن يتجمهروا خلف معبد « تحوتمس الثالث » الجنازى واخذوا فى الصياح مطالبين بمخصصاتهم ورغم ان البعض قد عملوا على تهدئتهم فإن العمال قد استمروا فى اضرابهم حتى نهاية اليوم الثانى، ويذكر لهم عدم خروجهم على النظام برغم الظروف الصعبة التى يواجهونها هم وعائلاتهم، واضطر الوزير « تو » ان يصرف لهم نصف المطلوب، ولكن العمال اصروا على أن تصرف لهم كذلك مخصصات كاملة وفعلا تم الصرف فى اليوم الثامن للاضراب.

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥٥ – ١٥٦.

وكذا :

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 246.

Wente, E., JNES, Vol. 20, 1961 , PP. 252 - 257.

وتكررت مسألة عدم صرف المخصصات للعمال فى الشهور التالية ويتكرر اضرابهم، وفى إحدى هذه الاضرابات يحضر اليهم عمدة طيبة الغربية ويعمل على تهدئتهم ويضطر اخر الامر ان يصرف لهم خمسين مكيالاً من الحبوب.

وهناك مثال أخر على الاضطراب السياسى فى تلك الفترة قيام أحد الوزراء بثورة فى الدلتا ضد الفرعون، كان مركزها «اتريب (بنها الحالية)»، لكن رمسيس الثالث نجح فى القضاء عليها.

على ان هناك مثال سياسى أخر دل على الاضطراب السائد، حيث قامت إحدى زوجات رمسيس الثالث بمؤامرة هددت حياة الملك والمعروفة «بمؤامرة الحريم» حيث لجأت الزوجة الثانوية «تى» لتعيين ابنها بدلا من الوريث صاحب الحق الشرعى. (١)

وربما كان هناك سبب دينى آخر للمؤامرة خلافا لتولى «بنتاؤر» للعرش، فقد كان توقيت المؤامرة مع وصول سفينة آمون إلى البر الغربى فى عيد الوادى، حيث كان الفرعون فى هذا اليوم يمتع نفسه مع حريمه الخاص بدلا من الاشتراك فى الاحتفالات الدينية، فإن صح ذلك فربما كان ذلك العمل من جانب «رعمسيس الثالث» يعنى ان هناك محاولة للتقليل من شأن آمون، مما يفسر اغتياله بسبب الغضب للاساءة إلى الاله آمون، ورغم انه لم يثبت اشتراك احد من كهان آمون، فلقد كان لدى كهانة آمون استياء من حكام الدلتا، ومن ثم فربما كان رجال آمون قد اشتركوا فى المؤامرة روحيا وماديا، أو كان ينتظر منهم تأييد المؤامرة لو قدر لها النجاح وخاصة ان توقيت المؤامرة يتفق مع الوقت الذى يجتمع فيه انصار آمون الذين يمكن ان يكونوا سندا قويا فى الهجوم على

---

(١) تناولت احداث هذه المؤامرة عدة برديات هى : بردية تورين القضائية وبرديتى رولين ولى Lee والاولى محفوظة بمتحف تورين ، انظر :

Wilson, J., ANET, PP. 214 - 216.

« رعمسيس الثالث »، وهناك ما يشير إلى توتر في العلاقات بين البيت المالك وكهنة آمون بدليل ان كاهن امون الاول لم يشهد نهاية حكم « رعمسيس الثالث » (ربما وفاته)، بل لم يشهد ذلك أحد من أصغر الرتب الكهنوتية، كما ان الهبات الكثيرة التى خصصت لآمون فى بردية « هاريس » وصلاة الملك لا تشير إلى تناسق كبير بينهما.(١)

كما ان توقيت تنفيذ المؤامرة قد أختير بدقة ليتناسب مع وصول سفينة الاله إلى طيبة فى منتصف الشهر الثانى من فصل الصيف حيث تبدأ الاحتفالات بعيد الوادى مما يتاكد معه حالة من الزحام الطبيعى تجعل المنوطين بحراسة البوابات أقل قدرة على مواجهة اى اضطراب مقصود، بل أن التوقيت قد اعتمد على تدبير مسبق من المتامرين الذين اتفقوا مع الشخص المنوط به تسليم مخصصات العمال ويدعى (با ان نشن الغرض من ذلك احد امرين أولهما كسب تايد هؤلاء العمال كجزء من الخطة، وثانيهما، إذا تعذر ذلك ان يجذب انتباههم لمسالة مخصصاتهم بعيد عن المؤامرة، ولعل هذا الموقف يدل على دلالة واضحة على مدى احكام التدبير من ناحية ومن ناحية أخرى على كبر حجم المؤامرة والمشاركين فيها، ويبدو أن المتامرين لكى يتاكدوا من انضمام العمال إلى المؤامرة، فإنهم ارسلوا شخصا آخر يدعى « خنتى » وقد اعتبر ذلك كمكافاة للعمال على تصرفاتهم اثناء الساعات الحرجة.

وخطط المتآمرون بعد دراسة للقصر الملكى البوابة التى سيدخلون منها وهو باب جانبى يفتح على جناح الحريم روعى فيه ان يكون بعيدا بقدر الامكان عن أعين الحراس، حتى السحر كان له نصيب فى تخطيط المتآمرين وهو ما تشير إليه بردية « تى » حينما أخذ أحد المتآمرين ويدعى « بن حاوي بن » الذى كان يشغل وظيفة مشرف على الماشية حيث اعطى كتابة تمنحه القوة والنفوذ،

---

(١) Goedicke, H., JEA, Vol. 49 , 1963, PP. 86 - 91 .

لم تكن تعطى إلا للفرعون نفسه، ويبدو أن المتآمرين قد نجحوا فى استمالة أحد الرجال المهمين ذو علم كبير بالسحر أمكن ضمه إلى صفوفهم وطلب منه أن يحضر كتاب خاص بذلك من مكتبة الملك وبذلك استخدام السحر كتعويذة للمتآمرين، ومن ناحية أخرى استخدم لاضعاف المناصرين للفرعون من رعاياه المخلصين وشل حركتهم ازاء المؤامرة، وكذلك لجأوا إلى عمل تماثيل من الشمع صنعوها على هيئة الحراس وتلوا عليها سحرهم، آملين أن تبعث فى أصحابها الحقيقيين النوم واضعاف عزيمتهم، ويبدوا أن سيدات القصر نجحن فى اكتساب قادة الحراس حيث انتقلت الرسائل بحرية بين القصر وخارجه بين المتآمرين وحرضت الرسائل الشعب على عصيان سيدهم حيث ثبت أن سيدة فى القصر كانت أخت لقائد القوات المصرية فى النوبة قد أرسلت إليه لكى يستخدم قواته ضد الملك.

وبرغم كل هذه التدابير من اختيار مناسب لخطة المؤامرة واستمالة العمال بدفع أجورهم، واستخدام السحر والدور الذى لعبته سيدات القصر أثناء تلك المؤامرة ومدى تأثيرهن على المحيطين بهن، ووجود قوات تحت امرة أحد المتآمرين فإن المؤامرة قد فشلت وانكشف أمرها، ويصدر الفرعون أمره بتكوين المحكمة من موظفين مختلفين من موظفى القصر، ولكنهم جميعا محل ثقته، وكانت هيئة المحكمة تضم بين أعضائها : المشرف على الخزانة (منتومتاوى)، والمشرف على الخزانة (نفروى) وحامل العلم (كارا)، والساقى (بى ايوش)، والساقى (حجوت رخ نفر) ومساعد الملك (بن رنوت) والكاتب (مساى)، وكاتب السجلات (بى رع ما جاب) وحامل علم المشاة (حورى)

وهذه المحكمة قسمت إلى ثلاث مجموعات، ويلاحظ أن ثلاثة من الموظفين الكبار تحولوا إلى متهمين فى الجزء الرابع والخامس من المحاكمة لانهم تقابلوا مع بعض المتهمين وانهمكوا معهم فى الشراب الامر الذى لا يتفق

ومهام الامانة المكلفين بالتحقيق فيها، وتم التحقيق معهم وتوقعت عليهم عقوبة جدع الأنف وصلم اذنيهم لانهم أهملوا التعليمات التى تلقوها . وتصدر تعليمات الفرعون بإن يبدأوا فى مهمتهم الموكل إليهم تنفيذها حيث أمرهم :

« ...... اذهبوا إليهم وافحصوهم، والمذنب يموت بما اقترف من ذنب، وإن كنت لا اعرف من هم ...... »

وهذا يعنى ان الفرعون لم يكن يعرف بعد ابعاد المؤامرة ضد عرشه ومن المذنب الذى سينزل به العقاب، كما انه يعلن صراحة ان مسئولية عقاب هؤلاء المتامرين تقع على رؤوس القضاة.

ويستمر الملك فى تعليماته قائلا :

« ... احذروا من ان توقع العقوبة على أحد بغير وجه حق من موظف لا يرأسه، هكذا قلت لهم (للقضاه) وكررت القول مرارا، واما ما تم فانهم هم الذين قاموا به ليقع عبء ما قاموا به على رؤوسهم، فإننى معفى ومحمى إلى ابد الأبدين بوصفى واحد من الملوك العدول فى حضرة آمون رع ملك الآلهة، وفى حضرة اوزير حاكم الابدية » .

ويرى البعض ان هذه التعليمات تعكس وفاة الملك والاصرار على القاء مسئولية توقيع العقاب العادل على عاتق هيئة المحكمة بدلا من ترك الانتقام لابنه وخليفته على العرش، كما انها تدل على تدهور مكانة الملك وسلطاته، فى نفس الوقت الذى تعكس فيه تقدير هذا الفرعون ودولته لقيمة العدالة وخاصة ان المقصود بتلك المؤامرة هو شخص الفرعون نفسه .

ويجئ بالاشخاص المتهمون بعد ان اقروا بجريمتهم إلى مكان المحاكمة في حضرة المحكمين ليتم مناقشتهم وفحص جرائمهم ويلاحظ ان كل الاسماء قد جردت من ألقابها واستبدلت الاسماء الحقيقية بأسماء أخرى، ووضعت حيثيات اتهام كل مذنب والجرم الذى ارتكبه ومن أمثلة ذلك العدو الاكبر- «مسد سورع» الساقى أحضر بسبب اتهامه بالتآمر مع «باى -باك - كامن» (باى يكامون) الذى كان كبيرا للأمناء ووجهت إليه تهمة الاتصال بالملكة «تى» والتآمر معها وأيضا مع الحريم لجمع الأعداء من أجل عصيان الملك، وقد سيق أمام اعضاء هيئة المحكمة ووجد انه مذنب، وهناك ايضا موظفان آخران من الحريم الملكي انطبق عليهم نفس الوضع.

كذلك العدو الأكبر «با - تى - أم دى - آمون» الذى كان مبعوث الحريم فى الرتنو، أحضر إلى قاعة المحكمة بسبب استماعه إلى الكلمات التى تآمر بها الرجال مع الحريم ولم يخبر أحد بما سمع، وقد أحضر إلى المحكمة ومعه تسعة من موظفى القصر أدينوا جميعا بسبب معرفتهم بالمؤامرة وعدم الاخبار عنها، ونفس الشئ بالنسبة لزوجات رجال بوابات قصر الحريم الذين انضموا إلى الرجال المشتركين فى المؤامرة وعددهم ستة سيدات، وكذلك العدو الأكبر «با ايرى» بسبب اتصاله مع «بن حاوى» بن المتآمر، وغيرهم قائد القوات المصرية فى النوبة التى كتبت إليه أخته قائلة :

«أجمع الشعب، كون الأعداء (للملك) ثم أعلن

العصيان ضد الملك ...»

ثم (موساى) كاتب بيت الحياة أى الأرشيف حيث يحتفظ بالكتابات السحرية السرية، «بارع كمنوف» الذى كان رئيسا للكهنة المختصين بامور السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالاضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين بامور

السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالاضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين فى المؤامرة – «بنتاؤور» – الاسم لا يمثل اسمه الحقيقى – احضر بسبب تآمره مع تى «امه» التى اتفقت مع الحريم للقيام بثورة ضد الملك ومصيره كان السماح له بالانتحار.

أما عن الشخصية الرئيسية فى المؤامرة الملكة «تى» فلقد أغفلت البردية العقاب الذى حل بها أو مثولها امام هيئة المحكمة، وربما شكلت لها محاكمة خاصة مثلما كان الحال فى نهاية الأسرة السادسة مع الملكة «ايمتس».

أما عن مصير الفرعون «رعمسيس الثالث» من جراء تلك المؤامرة، فلقد اعتقد البعض أن المؤامرة قد نجحت فى القضاء عليه وأن المحاكمة ونتيجتها قد تمت بمعرفة ابنه وخليفته بعد وفاته بينما يرى البعض أنه قد عاش بعد المؤامرة وهو الذى أمر باقامة المحاكمة وتوجيه قضائه للتعامل معها تبعا للعدالة.

ويذهب «ويلسون» إلى أن الملك قد مات من جراء تلك المؤامرة ويؤكد رأيه بأن نصوص محاكمة المتهمين تدل فى فقرات كثيرة على ذلك، حيث أن الفرعون يرفض أن يكون مسئولا فى حضرة الآلهة عن حياة هؤلاء الجناة، ويرى «برستد» أن الفرعون قد أصيب اصابة خطيرة ولكنه عاش فترة قصيرة شكلت اثناءها المحاكمة وأن المؤامرة عجلت بنهاية الملك المسن الذى وصف «بالاله العظيم» وهو لقب أطلقه الفراعنة على الملوك المتوفين، أما «جودكة» فيرى أن المؤامرة قد وصلت إلى هدفها بشأن اغتيال «رعمسيس الثالث» ولكنها فشلت فى تنصيب «بنتاؤر» على العرش ربما بسبب نجاح خليفته (رمسيس الرابع) فى القضاء على المؤامرة وهى ما زالت فى البداية، وقد قام «دى بيك» باعادة فحص بردية تورين، وانتهى إلى نتيجة أن «رعمسيس الثالث» قد توفى نتيجة لهذه المؤامرة وإن خليفته «رعمسيس الرابع» هو الذى أوصى بكتابه تلك

الوثيقة على لسان أبيه وإن العقوبات التى أنزلت على المتآمرين كانت نتيجة تلك المحاكمة التى لم تكن له يد فيها.

بينما يرى جاردنر» أن النصوص التاريخية الخاصة بتلك المؤامرة لا يوجد فيها ما يشير إلى أن الفرعون قد لاقى حتفه بسببها.

وارجح إلى أن الملك «رعمسيس الثالث» قد كتب له أن ينجو فعلا من تلك المؤامرة، بدليل العثور على مومياؤه فى خبيئة الدير البحرى خالية من أى جروح، ووفاته بعدها بفترة قليلة، حيث خلفه ابنه «رعمسيس الرابع» الذى يؤكد شرعيته وحقه فى الوراثة فى لوحة «رعمسيس الرابع» الموجودة فى بيدوس حيث يشير النص :

«أنا الملك الشرعى لم أغتصب العرش، أنا فى مكان الذى أنجبنى كما كان ابن أزيس».

بعد رمسيس الثالث، تولى عدد من الملوك الضعاف لم يحكموا إلا حوالى ٧٥ عاماً، ظلت الأمور تسير من سئ إلى أسوا، وكثرت حوادث السرقة والرشوة، وابتداء عن عهد رمسيس الرابع إلى عهد رمسيس الحادى آخر ملوك الأسرة واصبحوا العوبة فى يد كهنة آمون وفى النهاية فقد اضطر آخر ملوك هذه الأسرة – رعمسيس الحادى عشر– إلى الفرار من مقر مملكته فى الشمال والالتجاء إلى كبير الكهنة فى طيبة.

نهاية الأسرة ونهاية عصر الدولة الحديثة :

حينما توفى رعمسيس الثالث فى اليوم الخامس عشر فى الشهر الثالث من فصل الصيف حوالى العام الثانى والثلاثين من حكمه لم يكن أحد يتصور أن برحيل هذا الفرعون العظيم سوف تنتهى فى مصر سلسلة من الفراعين العظام للامبراطورية المصرية، وفى الحقيقة فقد بدأت أيام تلك الامبراطورية فى الذهاب بدون عودة، حيث تبعه فى الحكم ثمانية ملوك ضعاف حملوا كلهم اسم رعمسيس لكنهم لم يستحقوا ذلك الاسم العظيم .

الملك رعمسيس الرابع احتمال قرابته لرعمسيس الثالث لكن درجة قرابته غير واضحة ، والكثير من أعماله تتعلق بارضاء المعبودات وبنشاط ملحوظ فى وادى الحمامات خلال الأعوام الثلاثة الأولى من حكمه ، ففى البعثة الأولى إلى محاجر وادى الحمامات التى كان الهدف منها البحث عن أحجار جيدة لتشيد معبده، والثانية لاحضار حجارة لتمثال الملك، ثم حملة ثالثة بواسطة الكاهن الأعظم «لمونت» تكونت من ٨٣٦٨ من الأفراد ، ومع الاحتياطات الكبيرة لهذا العدد الكبير واستعمال عشر عجلات يجر كل منها ستة ثيران فقد توفى من أفراد الحملة ما يزيد على تسعمائه نسمة من شدة القيظ والظروف الطبيعية، ولم نهتد للآن إلى السبب الذى استعملت فيه الأحجار المقطوعة من وادى الحمامات ، وكل ما بقى من آثار رعمسيس الرابع هو امتداد الحجرات الخلفية لمعبد «خونسو» بالكرنك ، كما ترك لوحة فى أبيدوس تقديراً للإله «أوزير» أيضا عثر علي اسمه منقوشا علي عدد من اثار مناجم الفيروز فى سرابيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء ، كما عثر على خريطة مصرية قديمة لمنطقة وادى الحمامات محفوظة بمتحف تورين (بردية تؤرخ بحكم رعمسيس الرابع) ، كما عثر على اسمه شمال قلعة بوهن فى الجنوب وفى أماكن عدة بجانب اسماء

اسلافه من الملوك العظام [١].

بوفاة رعمسيس الرابع تبعه في الحكم رعمسيس الخامس وهناك وثيقة هامة تؤرخ بالعام الرابع من حكمه تحتويها بردية ويلبور (Wilbour) طولها حوالى ١٠ أمتار ، وتصها الرئيسى فى أربع مجموعات متتالية تشغل المجموعة منها عدة صفوف رصدت بها مقاييس وضرائب الحقول الممتدة من مدينة الفيوم إلى الجنوب على بعد قليل من المنيا (الحالية) أى مسافة تبلغ ٩٠ ميلا تقريبا [٢].

تبع رعمسيس الخامس الملك رعمسيس السادس (نب ماعت رع مريت آمون) وصلتهما برمسيس الثالث غير مؤكدة فبينما يرى عدد من المؤرخين ان الأول كان ابنا له، والثانى كان حفيداً له من ابن لم يلى العرش [٣]، فإن « تشرنى » يرى أنهما من ابناءه [٤].

تبع رمسيس السادس رمسيس السابع ثم الثامن وهى فترات غامضة جداً، بينما تولى رمسيس التاسع لمدة ١٧ عام، تلاه رمسيس العاشر (خبر ماع رع ستب ان رع) الذى استمر فى الحكم ثلاث سنوات .

آخر الرعامسة فى الأسرة رمسيس الحادى عشر (ماع رع ستب ان بتاح) والذى حكم نحو من سبع وعشرين عاما زادت فيه مظاهر اضطراب الأمور

---

(١) Cerny, J., Egypt From The Death of Ramesse III to the Twenty First Dynasty, CAH, Vo., 2, P. 2 , P. 606.

(٢) Ibid., P. 611 .

وكذا :

Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, P. 296 .

(٣) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥٠ .

(٤) Cerny, J., Op. Cit., P. 611.

وتدهور الأحوال الاقتصادية ، وتعددت اضرابات العمال (عهد رمسيس التاسع) وسرقات المقابر، بالرغم من استمرار بذخ الملوك وتشييدهم لمقابرهم في وادى الملوك بغرب طيبه، وظهر من أصحاب النفوذ كاهن آمون رع في طيبة « أمنحوتب » الذى دخل في صراع مع « بانحسى » نائب الملك في كوش ، واستمر هذا الصراع المدعوم من اتباعهما حيث تشير النصوص إلى وجود اسم « بانحسى » في طيبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر ولكن ليس أبعد من العام التاسع عشر حيث بدأ اسم الكاهن الأكبر لآمون رع « حريحور » في الظهور .

غير معروف اصل حريحور وتاريخه المبكر ، حيث ظهر في النقوش ككاهن أول لآمون رع، لم يذكر ابدا اسم والديه مما يعنى انه لم يكن من أسرة كبيرة، اسمه يعني حور هو الرئيس، وهو من الاسماء النادرة ويبدو انه كان له وظيفة عسكرية قبل تقلده الوظائف الدينية، واحتمال كونه ابن « أمنحوتب » الكاهن الأعظم لآمون رع الذى سبق الإشارة إليه [1].

تعاظم نفوذ « حريحور » الدينى والمدنى وخاصة بعد أن حمل بجانب القابه لقب « نائب الملك في النوبة » حتى يتقى ان يشغله من يقضى على آماله، كما اتخذ لقب وزير طيبة لبعض الوقت، ظهر إلى جانب الفرعون في عدد من المناظر والنصوص في المبانى التى اشرف على تنفيذها في معبد الإله « خنسو » في الكرنك [2]، في ستة مناظر وحمل لقب « الكاهن الأول لآمون في المقدمة، ابن آمون حريحور » ، ثم تمادى وسجل اسمه في القاعة وحده يحمل الألقاب الملكية بالرغم من وجود الملك الضعيف على قيد الحياة، وحينما توفى « حريحور » حمل ابنه « بى عنخ » القاب « قائد القوات، الكاهن الأكبر لآمون رع »

(١) Ibid., PP. 635 - 636.

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

وكان ذلك فى العام الخامس والعشرين من حكم رمسيس الحادى عشر الذى انتهت معه أيام الامبراطورية .

صحيح أنه بعد وفاة رمسيس الثالث فقدت مصر نفوذها في فلسطين وسورية بالرغم من وجود بعض البقايا الأثرية تحمل اسماء رمسيس الرابع والسادس فى عدة أماكن ، والعلاقة تنبطق تماما على الحالة المتردية التى وضحت فى قصة « ون آمون » عند مقابلته لحاكم بيبلوس بكل ما تحمله من معانى متعددة [١]، تمثلت فى تلك الرحلة التى بدأها الكاهن « ون آمون » من طيبة بناء على أوامر من كاهن آمون الأكبر لجلب أخشاب من لبنان لتجديد مركب الاله المقدس، وتدل القصة على مدى ضعف النفوذ المصرى فى سورية فى تلك الفترة مع نهاية عصر الامبراطورية فى مصر القديمة .

---

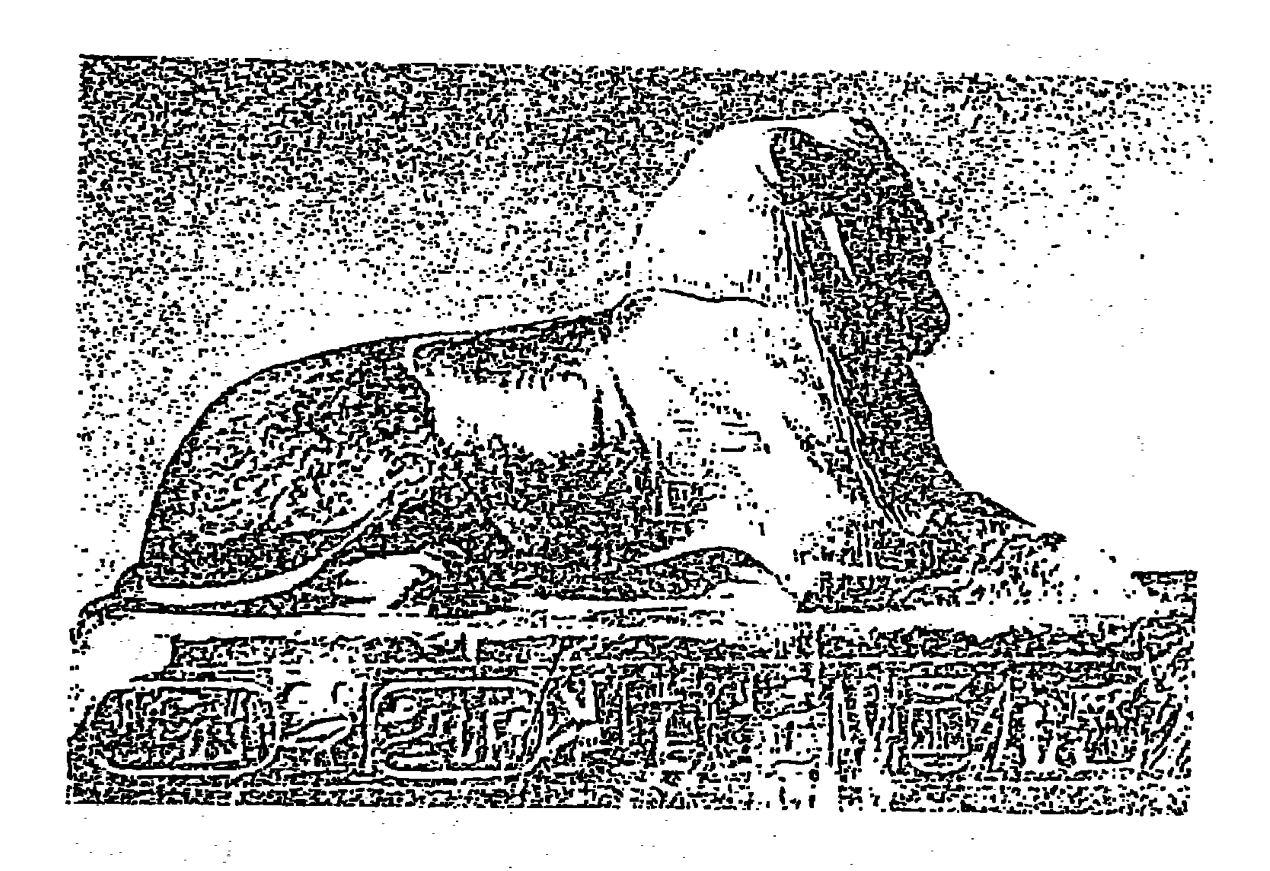
(١) Cerny, J., Op. Cit., PP. 637 - 638.



(شكل ١٧-أ)



(شكل ١٧-ب)
رأس الملك «سنوسرت الثالث»، وعبرت ملامح وجه الملك عن الأحوال السياسية والاجتماعية التي سادت في عصر الدولة الوسطى .
(نقلا عن : المتحف المصرى القاهرة)



(شكل ١٨)

تمثال للملك « أمنمحات الثالث » عثر عليه في تانيس بشرق الدلتا

وصور فيه على هيئة أبو الهول بجسم أسد ورأس انسان .

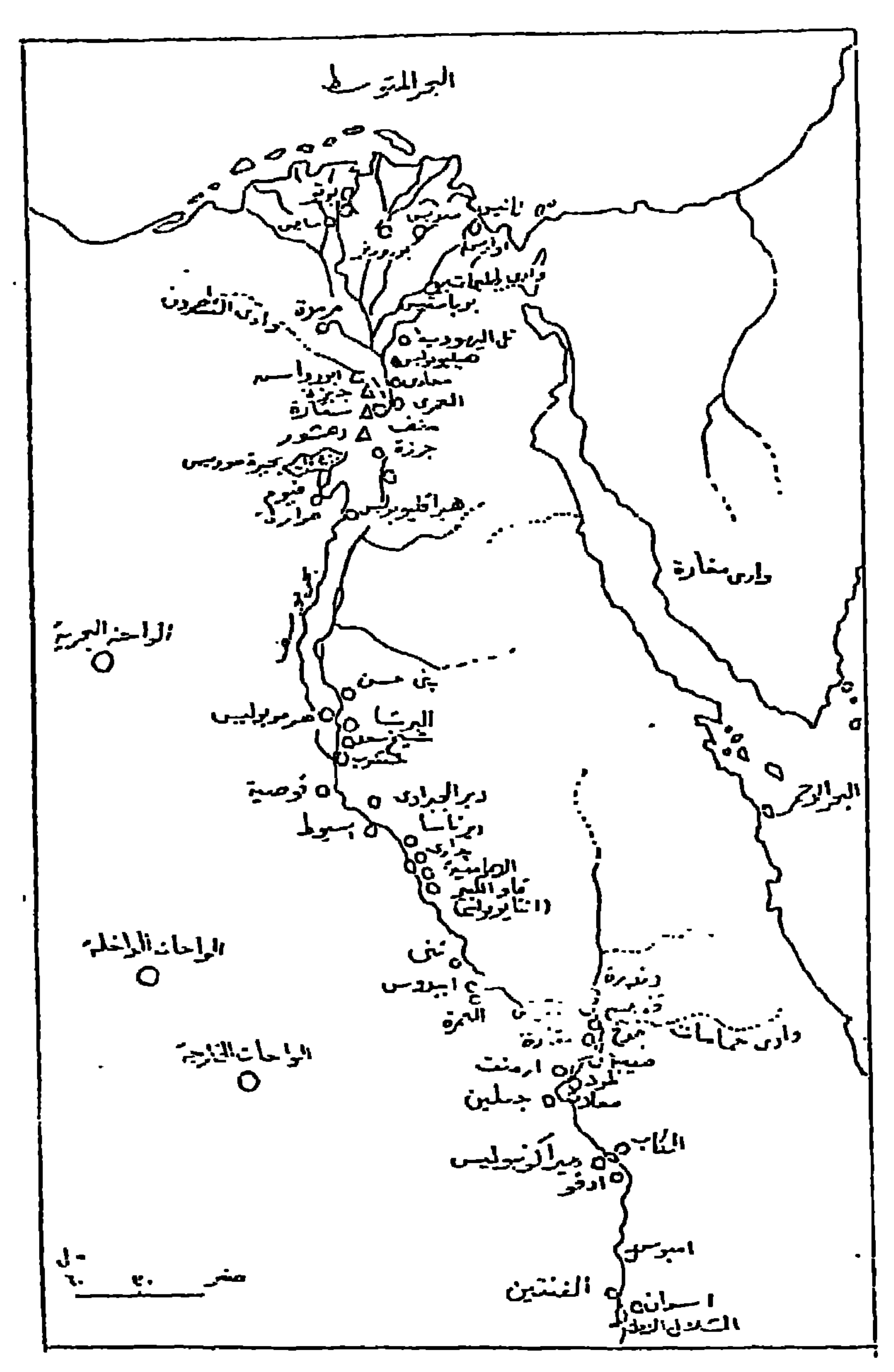
(نقلا عن : المتحف المصرى القاهرة)



(شكل ١٩)

وجه تمثال الملك «أمنمحات الثالث» على هيئة أبو الهول ويلاحظ فيه تمثيل معرفة الأسد والشعر الكثيف حول الرقبة كناية عن البطش والقوة والجبروت لصاحب التمثال.

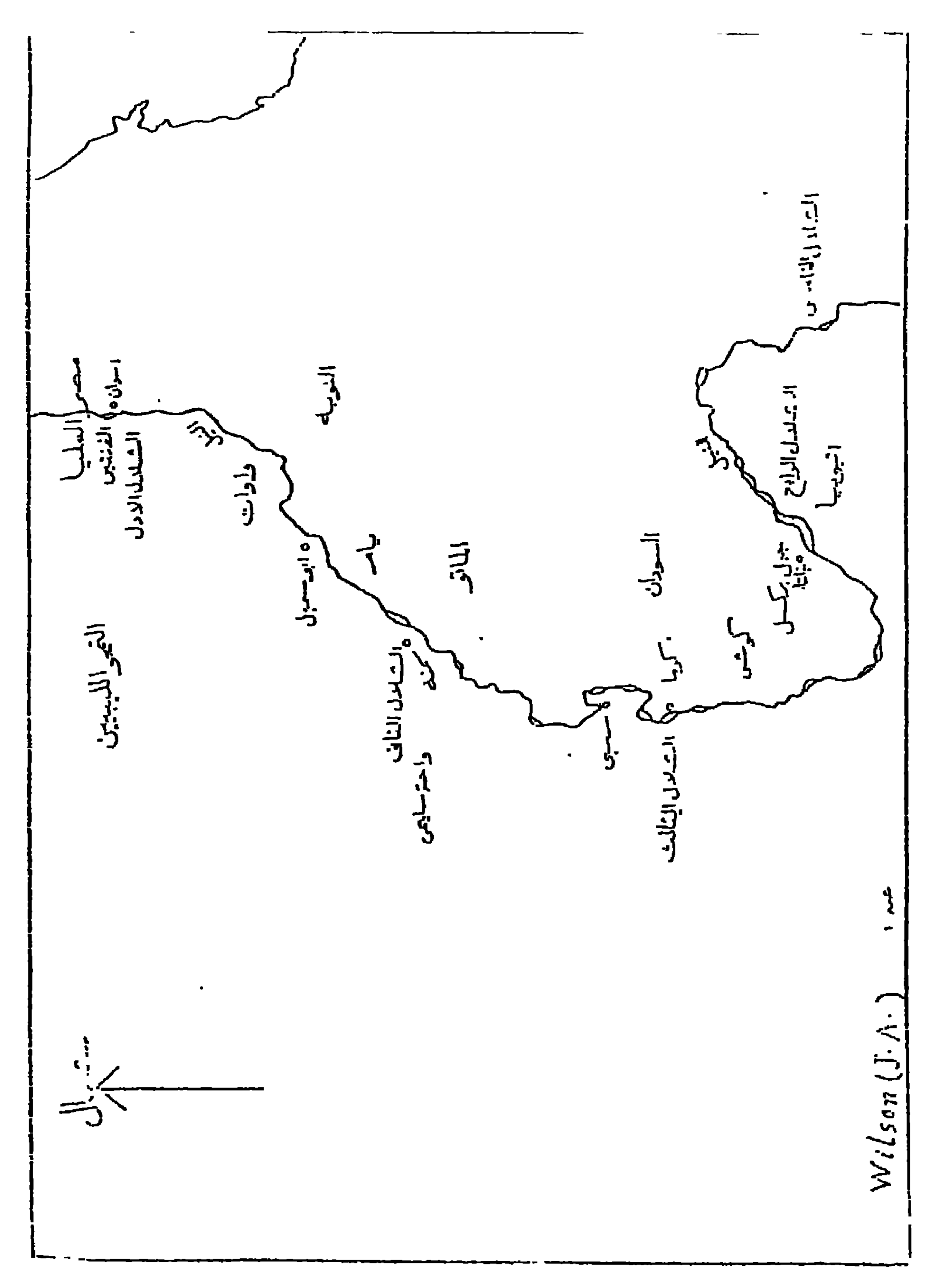
(نقلا عن : المتحف المصرى القاهرة)



مصر فى عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى

خريطة رقم (٣)

عن : Vercoutter , J.



خريطة رقم (٤)

عن : Wilson (J.A.)

أولا : المراجع العربية

أولا : المراجع العربية :

أحمد أمين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٩ .

أحمد بـــدوى: فى موكب الشمس ، جـ ٢ ، ١٩٥٠ .

أحمد فخـــرى : مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٥٧ .

———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، طبعة ثانية، القاهرة، ١٩٦٣ .

———— : الاهرامات المصرية، القاهرة ، ١٩٦٣ .

———— : الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول.

رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقية، جـ١ ، بيروت، ١٩٦٨ .

———— : التطور التاريخى للفكر الدينى، بيروت ، ١٩٦٩ .

سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٤ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

———— :مصر القديمة، جـ٥ ، القاهرة، ١٩٤٨ .

———— : مصر القديمة، جـ٦ ، القاهرة، ١٩٤٩ .

سليمان حزين : حضارة مصر أرض الكنانة، القاهرة، ١٩٩١ .

سيد توفيق : سيد أحمد على الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٠ .

سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، القاهرة، ١٩٨٧ .

ضحى محمود مصطفى : دراسة تاريخية وأثرية لمنطقة مدينة هابو، رسالة دكتوراه غير منشورة، الاسكندرية، ١٩٨٥ .

عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦ .

———— : التسجيلات المصرية القديمة، وثائق تاريخية، عرض وتحليل لبعض الفقرات ، الكويت ، ١٩٧٣ .

عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، القاهرة، ١٩٦١ .

———— : الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، جـ١ ، القاهرة، ١٩٦٧.

———— : حضارة مصر القديمة وآثارها، جـ١ ، القاهرة، ١٩٨٠ .

محمد أنور شكرى : نفرتارى الملكة المؤلهة الجميلة، مجلة المجلة، العدد ٧٣، القاهرة، ١٩٦٣ .

———— : العمارة فى مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠ .

محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ، ١٩٨٤ .

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية (حركات التحرير) الاسكندرية، ١٩٨١ .

———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١ ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٢ .

———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢ ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٤ .

———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٤ ، اخناتون، الاسكندرية، ١٩٧٩ .

———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٥ ، الحضارة المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٤ .

محمد جمال الدين مختار : لمحة فى تاريخ مصر السياسى والحضارى، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة .

مصطفى عامر : حضارات عصر ما قبل التاريخ، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة .

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة، جـ٤ ، الاسكندرية، ١٩٥٩ .

———— : مصر ، الجزء الثانى ، الاسكندرية، ١٩٦٦ .

———— : مصر والشرق الأدنى القديم، جـ١ ، الاسكندرية، ١٩٦٦ .

ثانيا : المراجع المترجمة

ثانيا : المراجع المترجمة

ألسكندر شارف : تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠ .

أ. أرمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مراجعة محمد أنور شكرى ، القاهرة، ١٩٥٢ .

________: هـ. رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣ .

جان يويوت : مصر الفرعونية، ترجمة زهران، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٦ .

جورج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٢ .

جيمس ، جـ، هـ : كنوز الفراعنة، ترجمة د. أحمد زهير، مراجعة د. محمود ماهر، القاهرة، ١٩٩٥ .

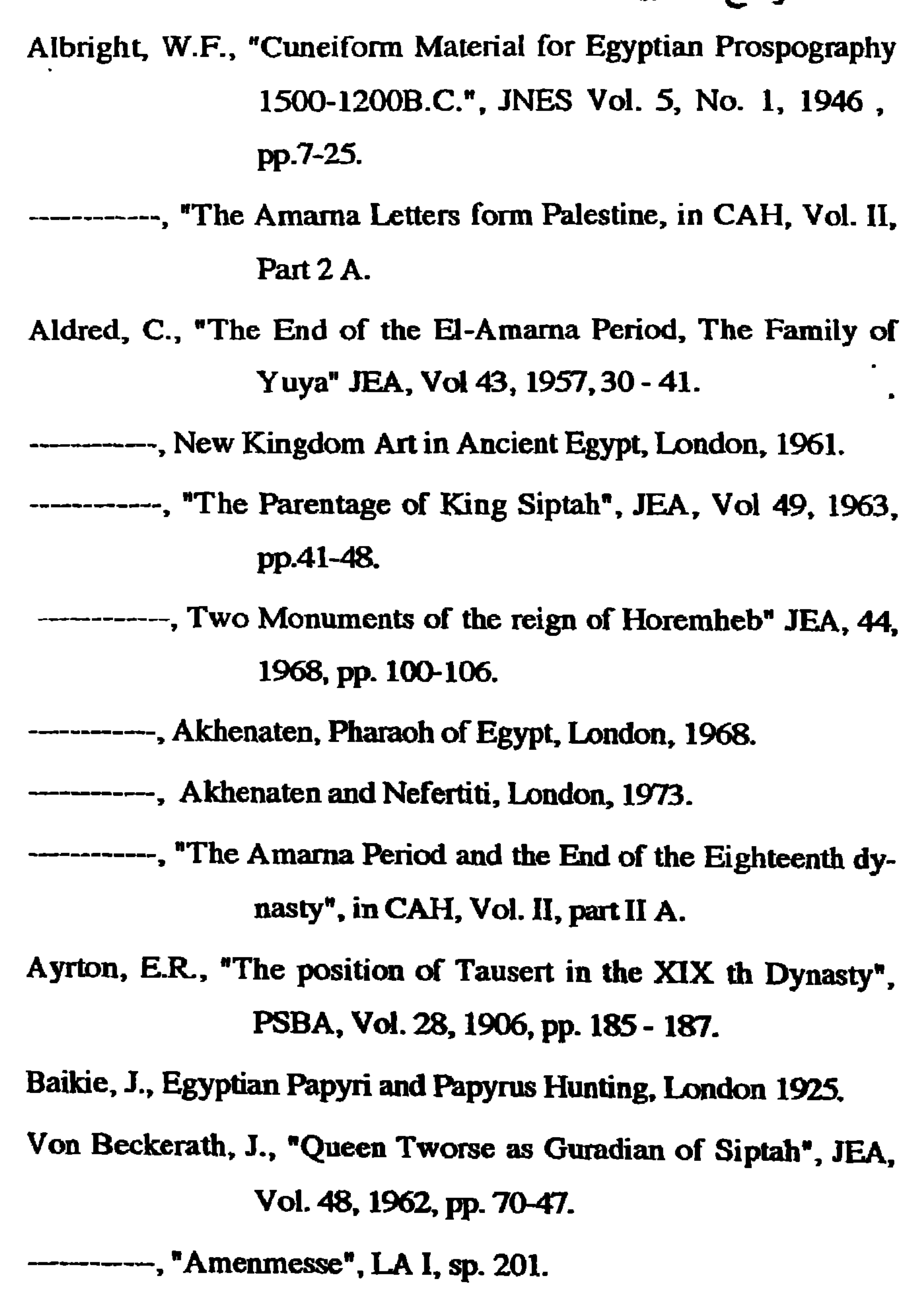
سيريل آلدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويفى ، مراجعة د. أحمد قدرى، القاهرة، ١٩٨٩ .

كريستيان ذ، نويلكور : توت عنخ آمون، ترجمة أحمد رضا، محمود خليل النحاس- مراجعة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، ١٩٧٤ .

مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، مراجعة نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٥٧ .

نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة د. زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣ .

ثالثا : المراجع الأجنبية



ثالثا : المراجع الأجنبية

Albright, W.F., "Cuneiform Material for Egyptian Prospography 1500-1200B.C.", JNES Vol. 5, No. 1, 1946 , pp.7-25.

----------, "The Amarna Letters form Palestine, in CAH, Vol. II, Part 2 A.

Aldred, C., "The End of the El-Amarna Period, The Family of Yuya" JEA, Vol 43, 1957, 30 - 41.

----------, New Kingdom Art in Ancient Egypt, London, 1961.

----------, "The Parentage of King Siptah", JEA, Vol 49, 1963, pp.41-48.

----------, Two Monuments of the reign of Horemheb" JEA, 44, 1968, pp. 100-106.

----------, Akhenaten, Pharaoh of Egypt, London, 1968.

----------, Akhenaten and Nefertiti, London, 1973.

----------, "The Amarna Period and the End of the Eighteenth dynasty", in CAH, Vol. II, part II A.

Ayrton, E.R., "The position of Tausert in the XIX th Dynasty", PSBA, Vol. 28, 1906, pp. 185 - 187.

Baikie, J., Egyptian Papyri and Papyrus Hunting, London 1925.

Von Beckerath, J., "Queen Tworse as Guradian of Siptah", JEA, Vol. 48, 1962, pp. 70-47.

----------, "Amenmesse", LA I, sp. 201.

Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Culture, London, 1937.

------------, "Handbuch der Agyptishcen Konigsnamen, Munster,1984.

Blackman, A, H., On the Position of Women in the Ancient Egyptian Hierarchy" JEA, Vol. 7, 1921, pp. 8-30.

Blankenberg-Von Delden, C., The Large commemorative Scarabs of Amenhotep III, Leiden, 1969.

------------, C., "Additional remarks on Queen Ah-hotep" GM,49,1981, P. 17-25.

------------, " A Genealogical Reconstruction of the Kings and Queens of the Late 17 th and Early 18 th Dynasties ", GM, 54, 1982, PP. 31 - 45.

Breasted, J. H., A History of Egypt, London, 1905.

Bruyere, B., Meret Seger a Deir El Medineh, MIFAO, 58, 1930.

De Buck, A., "The Judical Papyrus of Turin", JEA, Vol. 23, 1937, pp. 152-164.

Budge, E, Book of the Kings, Vol. I, London, 1910.

------------, "The Dwellers on the Nile Valley, London, 1926.

Buttles, J., The Queens of Egypt, London, 1908.

Casson., L., Great ages of Man, Ancient Egypt, Nederland, 1978.

Carter, H., " Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amenhetep I, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914", JEA, III, 1916, pp. 147-154.

Cerny, J., "Papyrus Salt 124. (Brit. Mus. 10055)", JEA, Vol. 15, 1929, pp. 243-248.

------------, Ancient Egyptian Religion, London, 1951.

Cerny, J., "Consanguineous Marriage in Pharaonic Egypt", JEA, Vol. 40, 1954, pp. 23-29.

Charles Cornell, V.S., "A Ramesside Ostracon of Queen Isis", JNES, Vol. 33, 1974, pp. 149-153.

Christophe, L., "Les Temples d'Abou-Simbel et la. Famille de Ramses II, "BIE, 38, 1965, pp. 1-138.

Cruz-Wibe, E., "The father of Ramses I", JNES, vol. 37, 1978, pp.237-244.

Daressy, G., "Sur la reine A Ahmes Henttamahou", ASAE, 9, 1908, pp. 95-96.

-----------, "Les Parents de la Reine Teta-Chera", ASAE, Vol. 9, 1908, pp. 137-138.

------------, "Le Carcueil de Khu-N- Aten", BIFAO, 12, 1916, PP.61-63.

Davies, N. de G., Rock Tombs of El Amarna, Part I, The Tomb of Meryra, London, 1903, Part II. The Tombs of Panehesy and Meryra II, London, 1905. Part III, The Tomb of Huya and Ahmes, with Appendix by De Riccl, S., London,1905.

Davis, T., The Tomb of Queen Tiye, Cairo, 1908.

Drioton, E, "Cryptogrammes de La Reine Nefertari", ASAE, 39, 1939, pp. 133-144.

-----------, "Notes Diverses, ASAE, 45, 1947, pp. 53-92.

Driotoη, E et Vandire, J., L'Egypte, Paris, 1938.

Drower, M.S., "Syria 1550-1400 B.C., "CAH, Vol. II, Part I.

Eedgerton, W.F., "The Thutmosid Succession", SAOC, 8, Chicago, 1933, pp. 1-43.

-----------, "The Strikesin Ramses III,'s Twentieth year", JNES, Vol. 10, 1951, pp. 137-145.

Edwards I.E.S., The Pyramids of Egypt, London, 1947.

-----------, "The Early Dynastic Period in Egypt", CAH, Vol. I, Part,2.

El Amir, M. , "Monodomy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage" BIFAO, 62,1964, pp. 103-107.

Eleonore Billde, Mot, The age of Akhenaten, London, 1965.

Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, Part II, London,1945

-----------, Archaic Egypt, London, 1967.

Engelbach, R., "Material for Arvistion of the Heresy Period of the XVIII th Dynasty", ASAE, 40, 1940, pp. 133-164.

Fairman, H.W., and Gradseloff, E.,"Texts of Hatshepsut and Sethos Inside Speos Artemidos", JEA, Vol. 33, 1947, pp. 12-33.

Fakhry , A ., "A New Speos from the Regin of Hatshepsut and Tuthmosis III at Beni Hassan"ASAE, 39,1939,pp.709-723

Faulknr, R.O., The Wars of Sethos I" JEA, Vol. 33, 1947, pp.34-39

-----------, Egypt from the Incqation of the "ninetenth Dynasty to the Death of Ramisses III" CAH, Vol. II,Part 2 A.

Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

-----------, Ancient Egyptian Religion, New York, 1961.

Gardiner, A.H., "The Delta Residence of the Ramessides", JEA, Vol. 5, 1919, pp. 127, 179, 242.

-----------, Egyptian Grammar, Oxford, 1927.

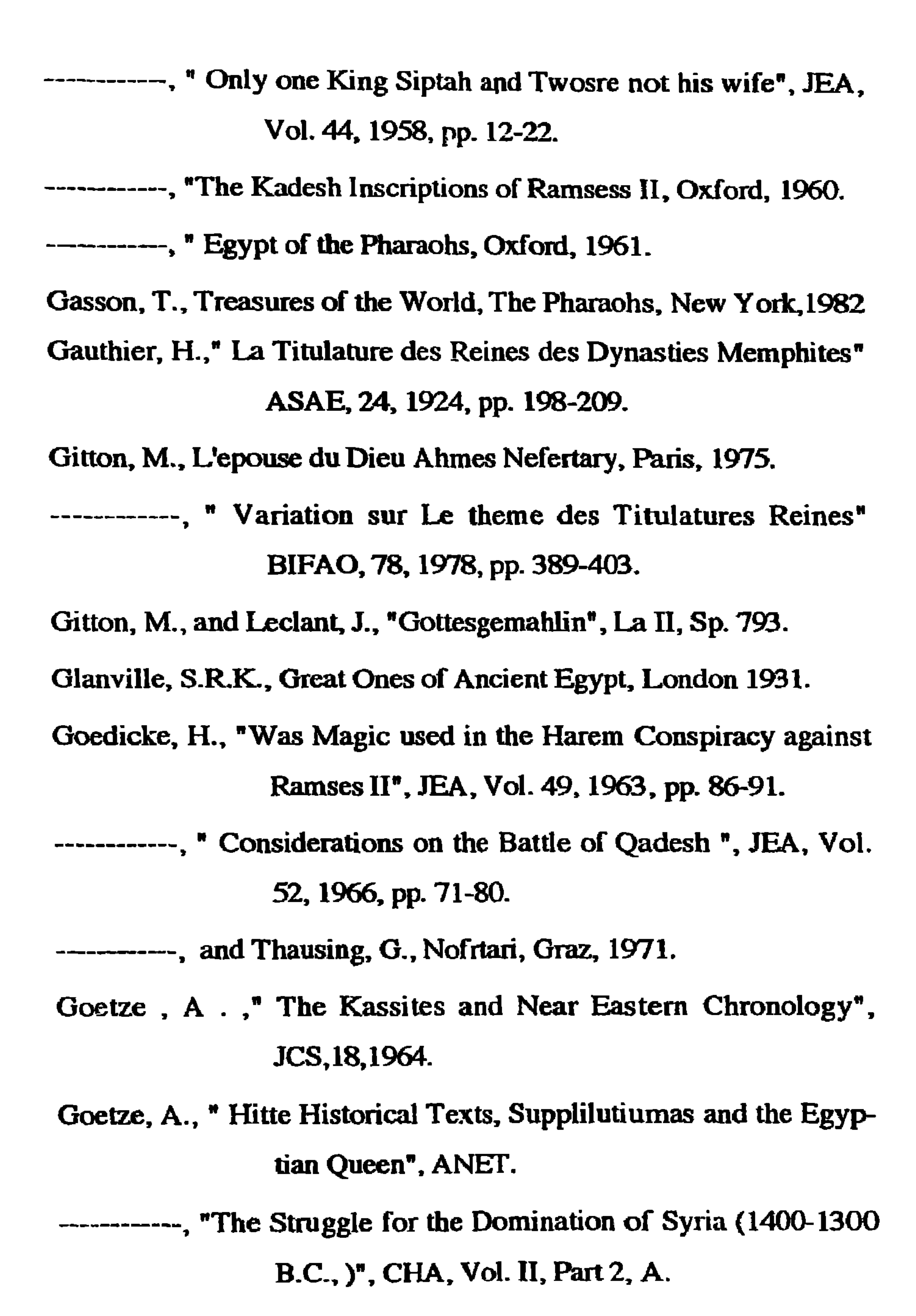
-----------, " The Graffite from Tomb of Pere", JEA, 14, 1928, pp.10-17.

-----------, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, I, II, Oxford, 1947.

-----------, "The Tomb of Queen Twosre", JEA, Vol. 40, 1954, pp.40-44.

-----------, Peet E. and Cerny, J., Inscription of Sinai, Part II, London, 1955.

-----------, "The So-Called Tomb of Queen Tiyie", JEA, Vol. 43, 1957, pp. 10-25.


-----------, " Only one King Siptah and Twosre not his wife", JEA, Vol. 44, 1958, pp. 12-22.

-----------, "The Kadesh Inscriptions of Ramsess II, Oxford, 1960.

-----------, " Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.

Gasson, T., Treasures of the World, The Pharaohs, New York,1982

Gauthier, H.," La Titulature des Reines des Dynasties Memphites" ASAE, 24, 1924, pp. 198-209.

Gitton, M., L'epouse du Dieu Ahmes Nefertary, Paris, 1975.

-----------, " Variation sur Le theme des Titulatures Reines" BIFAO, 78, 1978, pp. 389-403.

Gitton, M., and Leclant, J., "Gottesgemahlin", La II, Sp. 793.

Glanville, S.R.K., Great Ones of Ancient Egypt, London 1931.

Goedicke, H., "Was Magic used in the Harem Conspiracy against Ramses II", JEA, Vol. 49, 1963, pp. 86-91.

-----------, " Considerations on the Battle of Qadesh ", JEA, Vol. 52, 1966, pp. 71-80.

-----------, and Thausing, G., Nofrtari, Graz, 1971.

Goetze , A . ," The Kassites and Near Eastern Chronology", JCS,18,1964.

Goetze, A., " Hitte Historical Texts, Supplilutiumas and the Egyptian Queen", ANET.

-----------, "The Struggle for the Domination of Syria (1400-1300 B.C.,)", CHA, Vol. II, Part 2, A.

-----------, Suppiluliumas and the Egyptian Queen", ANET"

-----------, "Treaty between Hattusilis and Ramses II", ANET.

Goetze, A., "The Hittites and Syria (1300-1200 B.C.)", CAH, Vo,. II, Part 2. A.

Griffith, F. L., "Stela in Honour of Amenphis III and Taya From Tell El-Amarna", JEA, Vol. 21, 1926, pp. 1-2.

Grist, J., "The Identity of Queen Tyti" JEA, Vol. 71, 1985,pp.71-82

Gundlach, R., "Mutemwia", LA IV, Sp. 252.

Gunn, B., "Notes on Ammenemes I", JEA, Vol. 27, 1941, pp. 2-6.

Gurney, O. R., "Anatolia, 1750- 1600 B.C.", CAH, Vol. II, Part I.

Habachi, L., "Khatana-Qantir : Importance " ASAE, 52, 1954, pp.444-479.

Hall, H.R., The Anceint History of the Near East, London, 1963.

Harri, R., Horemheb et la reine Mutnedjemet au la fin d'une dynastie, Geneva, 1965.

Harries, J., "Nefertiti Rediviva ", Acta Orientalia,36,1974,pp.16-22.

-----------, and Wente, E., An x-Ray Atlas of the Rayal Mummies, Chicago, 1980.

Hassan, S., Excavations at Giza, IV, Cairo, 1943.

Hawkes, J., First Great Civilization, London, 1973.

Hayes, W.C., Royal Sarcophagie of the XVIII Dynasty, New York,1935

-----------, "Varia from the Time of "Hatshepsout", MDAIK, 15, 1957, pp. 78-90.

-----------, The Scepter of Egypt, Part II, New York, 1959.

-----------,"Egypt from the Death of Ammenemes III to Seqenenre II", CAH. Vol. II, Part I.

-----------, Egypt : Internal affairs from Tuthmosis I, to the death of Amenophis III, "CAH. Vol. II, Part I".

Helck, H.W., "Eine Stile des Vizekonigs Wsr. St", JNES, Vol. XIV, 1955 pp. 27-29.

-----------," Probleme der Zeit Haremhebs", Cde, 46, No. 96, 1973, pp. 251-255.

Hornung, E., Amenophis III" LA I, Sp. 206-210.

James, T.G.H., "Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I", CAH, Vol. II, Part I.

Junker, H., "Die Gtabungen Der Universitat Cairo Auf Pyramiden Feld Von Giza, MDAIK, III, 1932, pp. 129-130.

-----------, Giza II, Wien und Leipzig, 1934.

Kamil, J., The Ancient Egyptians, How They Lived and Worked, Canada, 1976.

Kaplen, H., "Problem of the Dynastic Position of Meryet-Nit" JNES, Vol. 38, 1979, pp. 23-27.

Kitchen, K.A., Suppiluliuma and the Amarana Pharaohs, Liverpool, 1962.

------------, and Gaballa, G.A., "Ramesside Varia II, The Second Hittite Marriage of Ramsses II", ZAS, 96, 1969, pp. 14-28.

------------, Ramsside Inscriptions, Historical and Biograohical, II, Oxford, 1971.

------------, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kuentz, C., "La Stele de Mariage de Ramses II", ASAE, 25, 1925, pp. 181-238.

Lamberg, C.C. & Sabloff, J., Ancient Civilization, London, 1979.

Langdon, M.A. and Gardiner, A.H., "The Treaty of Alliance between Hattusili, King of the Hittites anf the Pharaoh Ramsses II of Egypt", JEA, Vol. VI, 1920, pp. 179-205.

Lefebvre, G., Histoire de Grands Pretres d'Amon de Karnak Jusqu'a l'XXI Dynastie, Paris, 1929.

Legrain, G., "Second Rapport Sur Les Travaux Exeutees a Karnak, Fouilles a La Face Sud Du VIII Pylone, ASAE, 4, 1903, pp. 25-32.

Leibovitch, J., "Une Nouvelle representation d'une Sphinge de La Reine Tiy" ASAE, 42, 1943, pp. 93-105.

Martin, G. T., "The Royal Tomb at El Amarna I", ASE, 35, London, 1974, pp. 6-22.

------------, "Queen Mutnodjmet at Memphis and El-Amarna", L'Egyptologie en 1979. Tome 2, Paris, 1982, pp.277-278.

Maspero, G.; Les Momies Royales de Deir El-Bahari, MMAF,4,1979.

Maspero, G., Histoire de L'Egypte, II, Paris, 1897.

Mespero, G., New Light on Ancient Egypt, Translated by Lee, E., London, 1909.

Menu, B., "La Stele D'Ahmes Neferary dans Son Contexte Historique et Juridque" BIFAO, 77, 1977, pp. 89-99

Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablettes, I, Tronto, 1939.

Middleton, R., "Brother, Sister and Father Daughter Marriage in Ancinet Egypt", ASR., Vol. 27, 1962, pp. 603-612.

Monnet, J., Qui etaient Les pere et Mere de Ramses IV", BIFAO, Vol. 63, 1963, pp. 217-227.

Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, 1927.

Munn-Rankin, J.M., "Assyrian Military Power 1300-1200 B.C.", CAH Vol. II, Part, 2 A.

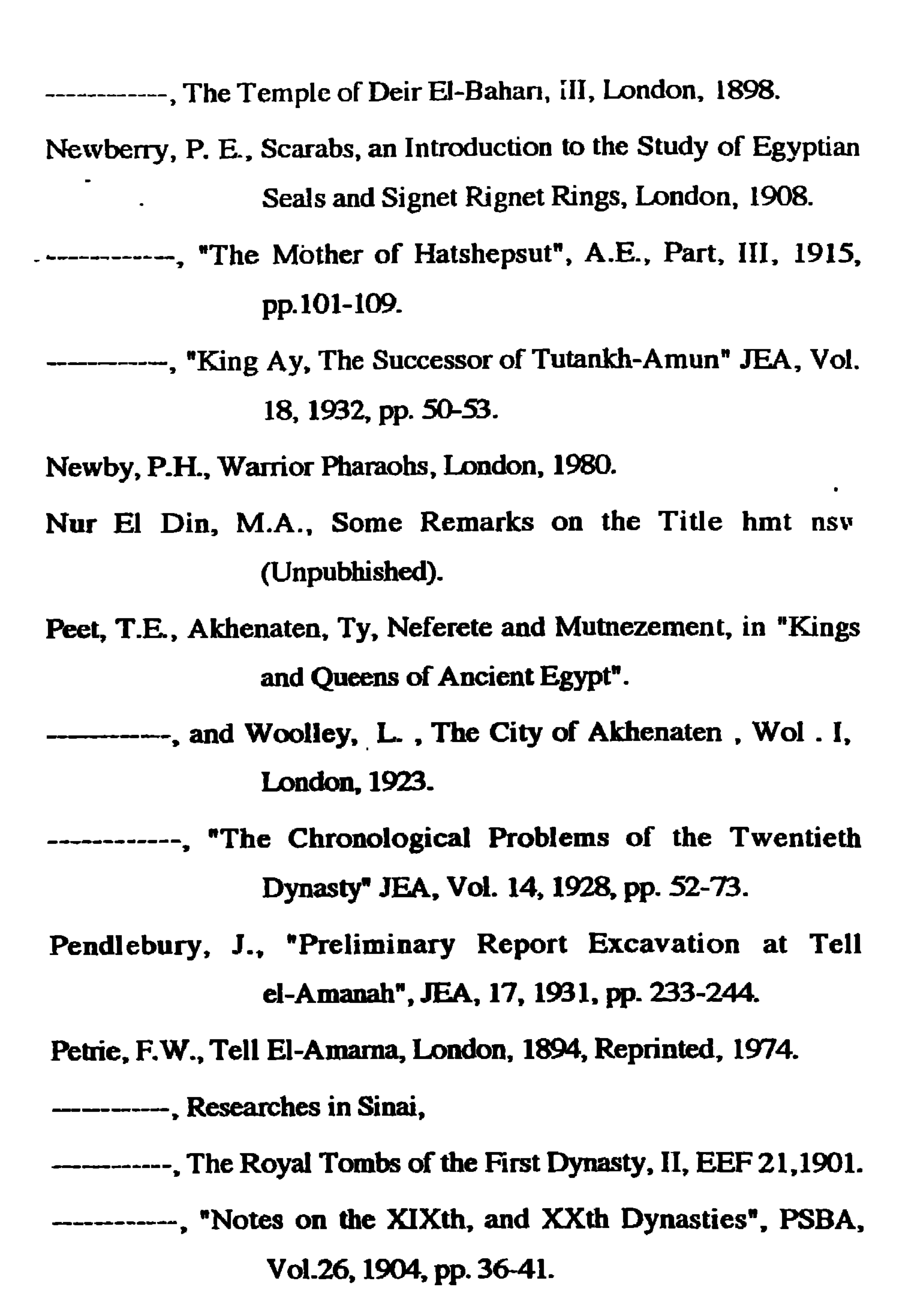
Murnane, W., Ancient Egyptian Coregencies, Chicago, 1977.

Murray, M.A., Index of Names and Titles of the Old Kingdom, London, 1908.

-----------, "Royal Inheritance in the XIX Dynasty", AE, Part IV, 1925, pp. 100-104.

Murray, M.A., "Queen Taty-Shery", AE, No. 19, Part 2, 1934, pp.6-7, 65-69.

Naville, E., The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896.



-----------, The Temple of Deir El-Bahari, III, London, 1898.

Newberry, P. E., Scarabs, an Introduction to the Study of Egyptian Seals and Signet Rignet Rings, London, 1908.

-----------, "The Mother of Hatshepsut", A.E., Part, III, 1915, pp.101-109.

-----------, "King Ay, The Successor of Tutankh-Amun" JEA, Vol. 18, 1932, pp. 50-53.

Newby, P.H., Warrior Pharaohs, London, 1980.

Nur El Din, M.A., Some Remarks on the Title hmt nsw (Unpubhished).

Peet, T.E., Akhenaten, Ty, Neferete and Mutnezement, in "Kings and Queens of Ancient Egypt".

-----------, and Woolley, L., The City of Akhenaten, Wol. I, London, 1923.

-----------, "The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty" JEA, Vol. 14, 1928, pp. 52-73.

Pendlebury, J., "Preliminary Report Excavation at Tell el-Amanah", JEA, 17, 1931, pp. 233-244.

Petrie, F.W., Tell El-Amarna, London, 1894, Reprinted, 1974.

-----------, Researches in Sinai,

-----------, The Royal Tombs of the First Dynasty, II, EEF 21,1901.

-----------, "Notes on the XIXth, and XXth Dynasties", PSBA, Vol.26, 1904, pp. 36-41.

-----------, Abydos, III, London, 1904.

Pirenne , J ., La Religion et la Morale dans L'Egypte Antique , Paris,1962.

Radwan, A., Die Darstellungen de Regiremden Konigs und Seiner Familienan Gehorigen in den Privatgrabern, der 18. Dynastie, Munchner Agyptologische Studen 21, 1969.

Ratie, S., Un Personnage Enigmatique Le reine Hatchepsout, Societe D'Egytpologic, Bull. 5, 1981, pp. 69-72.

Redford, D.E., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, Toranto, 1967.

-----------, "Reconstructing the Temples of Heretical Pharaoh", Archaeology, 28, 1975, p. 16.

Reeves, C.V.," A Further Occurrence of Nefertiti as hmt nsw c3t" GM, 30, 1978, pp. 61-69.

Robins, G., "The Relationship Specified by Egyptian Kingship terms of the Middle and Newkingdoms", CdE, Tome 54, 1979, pp.197-217.

-----------, "Ah Hotpe I, II and III", GM, 56, 1982, pp. 71-77.

-----------, "Meritamun, Daughtter of Ahmose, and Meritamun Daughter of Thutomse III", GM, 56, 1982, pp.79-87.

-----------, A Critical Examination of the Theory that the right to the Throne in Ancient Egypt passed through the Female Line" GM, 62, 1983, pp. 67-77.

Samson, J., "The History of the Myster Akhenaten's Successor", in

L'Egyptologie en 1979, Paris, 1982.

Sander - Hansen , C . E . , Das Gottesweib des Amun , Kobenhavn , 1940.

Sauneron, S., La Tradition Officielle Relative a La XVIII dynastie d'apres un Ostracon de La Vallee de Rois, Paris, 1951.

Sayce, A.H., "What Happend After the Death of Tutankhamun", JEA, Vol. 26, 1912, pp. 168-170.

Schmitz, B., "Une Tersuchungen Zur Zwei Koniginnen der Fruhei 18 Dynastie Ah-Hotep und Ahmose", CdE 53, 1978, pp. 207-220.

Schulman, A., "Diplomatic Marriage in Egyptian New Kingdom", JNES, 28, No. 3, 1979, pp. 177-193.

Selle, K., The Coregency of Ramses II With Seti I and the date the Great Hypostyle Hall at Krnk, Chicago, 1910.

-----------, :King Ay and the Close of the Amarna Age" JNES, XIV, 1955, pp. 168-176.

Seipel, W., "Ah-hotep I" LA I, Sp. 09-99.

-----------, "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1105.

-----------, "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1052.

-----------, "Konigsmutter" LA III, Sp. 1105.

Sherry, I. M., "Kia the Second Pharaoh", in Egyptologie en 1979, Paris 1982.

Smith, C.E., "Report on the Physical Character", ASAE, IV, 1903,

pp. 156-160.

Smith, W.S., Interconnections in the Near East, London, 1965.

-----------, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom , London, 1946 .

Steindorff, G. & Seel, K., When Egypt Rulled the East, London,1942.

Tanner, R., "Bemerkungen Zur Sukzession der Pharaonen in der 12, 17. und 18 Dynastie", Zas, Vol. 102, 1975, pp. 50-58.

Tawfik, S., "The Reversed Aton in the Long Name of Nefertite" MDAIK, 29, 1973, pp. 77-86.

Tefnin, R. "L'an 7 de Tauthmosis III er d'Hatshepsout", CdE, Tome XL VIII, No 96, 1973, pp. 232-242.

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949.

-----------, Manuel d'archeologie Egyptienne, Tome II, Paris, 1955.

Vercoutter, J., "New Egyptian Texts From the Sudan", Kush, 4, 1959, pp. 77-78.

----------, The Near East : The Early Civilization, London, 1967.

Weddel, W.G., Manetho, English Translation, London, 1940.

-----------, Herodotus , London, 1939 .

Weigall, R.E., "A Resport on Some Report on some objects Recently found in Sebakh and other Diggings", ASAE, 8 , 1909, pp. 46 - 47.

-----------, A History of the Pharaohs, London, 1927.

-----------, Historie de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968.

Weill, R., "The Problem of the Site of Avaris, Translated by Burny, E.V., "JEA, Vol. 21, 1935, pp. 10-25.

Wenig, S., The Wamen in Egyptian Art, Translated by Fisher, B., Leipzig, 1969.

Wente, E., "A Letter of Complaint to the Vizier To", JNES, Vol. 20, 1961, pp. 252-257.

-----------, "Thutmose III, Succession and the Beginning of the New Kingdom" , JNES , Vol . 34 , 1975 , pp.265-272.

-----------, Some Graffiti from The Reign of Hatshepsut, JNES, Vol. 43, No. I, 1984, pp. 47-54.

White, J.E.M., Ancient Egypt, Its Culture and History, New York,1970.

Wilkenson, G., Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, 1878.

Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

-----------, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1962.

-----------, "Peace Between Egypt And Hatti", ANET.

-----------, "Results of Atrail for Conspiricy", ANET.

-----------, "A Syrian Interregnum", ANET.

Winlock, H.E., "On Queen Tetisheri, Grandmother of Ahmose I", A.E., No. 6, Part I, 1921, pp 14-16.

------------, Kings and Queens of Egypt, London, 1924.

------------, "The Tombs of the Kings of the Seventeeth Dynasty at Thebes", JEA, Vol. 10, 1924, pp. 217-277.

------------, "Notes on the reburial of Tuthmosis I" JEA, Vol. 15, 1929, pp. 60-66.

Wittmann, G., "Was there a Coregency of Ahmose With Amenophis I", JEA, Vol. 60, 1974, pp. 250- 51.

Yoyotte, J., Annuaire de L'Ecole pratique des Hautes Etudes Paris, 1965.

قائمة الاختصارات

List of Abbreviations
of Periodicals
and Collections

AE	=	Ancient Egypt, London.
ASAE	=	Annales du Service des Antiquites de Egypte, Le Caire.
ASE	=	Archaelogical Survey of Egypt, London.
ASR	=	American Sociological Review .
Breasted, J., ARE.	=	Breasted J.H., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906-1907.
BIE	=	Bulletin de L'Institut d'Egypte, a 1920, Bulletin de L'Institut Egyptien, Le Caire.
BIFAO	=	Bulletin de L'Institute Francais d'Archeologie Orientale , Le Caire.
CAH	=	Cambridge Ancient History, Cambridge.
CdE	=	Chronique d'Egypte, Brussel .
C.G.	=	Catalogue General des Antiquites Egyptiennes du Musee du Caire, Le Caire.
EEF	=	Egypt Exploration Fund, London.
Gauthier, H., L.R.	=	Gauthier, H., Livre de Rois d'Egypte, 5 Tompes, MIFAO 17-21, 1907-17 .
	·	Gottinger Miszellen, Gottengen.
GM	=	Journal of Cuneiform Studies .
JCS	=	The Journal of Egyptian Archaelogy, London .
JEA	=	Journal of Near Eastern Studies, Chicago .
JNES	=	Lexikon der Agyptologie, Wiesbaden.

L.D.	=	Lepsius, R, Denkmaler aus Agypten, Berlin, 1849 - 1859.
MDAIK	=	Mitteilungen des deustschen Instituts fur Agyptiche Altertumskunde in Cairo, Berlin.
MIFAO	=	Memoires Publies par les Membres de L'Institut Francaise d'Archeologie Orientale du Caire, Le Caire.
MIMAF	=	Memories Publies par le Membres de la Mission Archeologie Francaise au Caire, Paris.
PM	=	Poter, B, and Moss , R.L.B., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7 Vols., Oxford, 1927 - 1957 .
PSBA	=	Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, 40 Vols., London, 1879 - 1918 .
Urk.	=	Steindoref (editor), Urkunden des Agyptischen Altertums, Leipzig : 1 : Sethe, K., Urkunden des alten Reiches, 4 Gase., 1904 - 1919. Sethe, K., and Helck, W., Urkunden der 18. Dysastie, 22 Fase., 1906 - 1909 .
Wb	=	Erman, A. und Grapow, H., Worterbuch der Agyptischcen Sprache, 5 Vols Leipzig, 1926 - 1931 .
ZAS	=	Zeitschrift fur Agyptiche Sprache und Alterfumskunde, Leipzig und Berlin .

الفهارس

قائمة الخرائط

قائمة الأشكال

		صفحة
١	بطاقات صغيرة من العاج	١٣
٢	حجر بالرمو	١٤
٣	قائمة أبيدوس	١٦
٤	حجر رشيد	١٩
٥	تمثالا ممنون	٢٥
٦	فأس يدوية	٣٤
٧ أ	قبضة يد شيلية	٣٤
٧ ب	سكين من الصوان ذو مقبض من العاج	٤٧
٧ جـ	صلاية من حجر الاردواز	٤٧
٨ أ	وجه صلاية الملك نعرمر	٥٨
٨ ب	ظهر صلاية الملك نعرمر	٥٩
٨ جـ	بطاقة من العاج للملك جر	٧٨
٩ أ	آنية من الجرانيت للملك خع سخم	٨٣
٩ ب	آنية من الالباستر	٨٢
١٠ أ	الهرم المدرج	٩٤
١٠ ب	السور الخارجى حول الهرم المدرج	٩٤
١١	الهرم المنحنى	٩٧
١٢	هرم ميدوم	٩٩
١٣	رسم توضيحى لهرم «خوفو»	١٠٤

فهرس المحتويات

الفصل الرابع

عصر الدولة القديمة ٨٧–١٣١

الفصل الخامس

عصر الفترة المتوسطة الأولى ١٣٢–٢٠٠.

